سعيد عشمان

كتاب
الإذاعة والتليفزيون
سلسلة كتب شهرية تصدر عن مجلة
الاذاعة والتليفزيون

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
سعيد عثمان



[٢٤]



أحاديث حول الفكر الذى انتصر

● سعيد عثمان ●

* الاخــراج الفنى :

مكرم شحــاته

مقدمة

في منتصف مايو ١٩٧١ بدأت في مصر مرحلة جديدة .. أو بدأ ميلاد جديد بها .

ا[illegible] سلسلة من الاجراءات ، التى يغلب عليها الطابع القانونى .. بشقيه القضائى والتشريعى . ثم سرعان ما امتدت هذه الاجراءات لتشمل كيان القانون نفسه .. ما يجب أن يتوفر له من قدسية واحترام ، وما يجب أن يكون له من هيمنة على جوانب الحياة وقدرة على فرض العدل .. وهو ما عرف بسيادة القانون ، أو « الشرعية » .

كانت القصة .. التى كشف الرئيس أنور السادات وقائعها يوم ١٤ مايو ، هى قصة الانحراف بثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

وخلاصة ما قاله السادات في ذلك اليوم ، أنه قرر تصحيح هذا الانحراف ، وانه من موقعه ـ كرئيس شرعى للدولة ـ سيعبر عن رغبة [illegible] مصر فى التصدى لهذه المهمة . وانه ـ كثائر حقيقى ـ سيواجه هذا التحدى للثورة ، وسيعمل مع الشعب وبه ، على أن يعود بها الى حقيقتها ويعيد لها أصالتها ومعناها ..

ثورة من اجل مستقبل افضل للشعب فى مصر ، وانتقالا بمصر نفسها الى مستوى العصر ، وعملا فى المجال القومى ، بالاســـلوب وفى الاطار الذى يخدم ويدعم قضايا الوطن الكبير كله .

كان واضحا منذ البداية أن شيئا ((جديدا)) يحدث فى مصر . وأخذهذا الشىء يثير مجموعة من ردود الفعل المتباينة تباينا شديدا ـ سواء من حيث النوعية أو المدى ـ تبعا لاختلاف الفهم أو المواقف .

استقبلت الغالبية ما ـ ث بحماس شديد .. واستقبله البعض بتفاؤل حذر .. ورحب به البعض بتحفظ .

وعلى الجانب الآخر ، ناصبه البعض العداء صراحـــة .. ولجأ آخرون الى أسلوب الهمس والتشكيك .. واكتفى غيرهم بالغمز واللمز .

ولم تكن أصـــداء هذا التطور الحـــاسم ، محصورة فى مصر وحدها ، بل تعدتها الى العالم الخارجى والعالم العربى خاصة .

وفى جميع الأحوال .. فان اختــلاف ردود الفعل الذى استقبلت به الخطـوات الجديدة ، لم يكن له تأثير من أى نوع على الخطوات .. لم يدفعها ما لقيتــــه من حماس زائد ، الى أى شــكل من أشكال المغـالاة ، كما أن ما قوبلت به من عداء سافر أو مستتر ، لم يثنها عن المضى فى طريقهـــا الى غايته فلم تتردد أو تتو أو تتراجع ، أمام أى ظروف .

وكان واضحا لكل مراقب مدقق ، أن المسألة ليست مجرد ((اجراءات)) لا يربط بينها رابط ، ولا يجمعها خيط واحـــد .. وانما هى موقف ثابت ينبع من ((فكر)) معين ، فكر واع يؤمن بما يفعـل ويعرف ما يريد ويثق انه على الطـريق الصحيح ، وبنـــاء على ذلك كله ، يصر على ما ينتويه الى آخر المدى .

كان هذا الفكر حريصا على أن يطرح نفسه بوضوح وبكل صراحة أمام الجميع .. المؤيدين والمعارضين على السـواء ، فى الداخل والخـارج دون تمييز ، الصديق والعدو معا .

ان هذا الفكر قد حمل منذ البداية فى ثناياه ((رسالة)) موجهة الى هدف ثلاثى .. الى شعبه والى عدو أمته والى العالم الخارجى .

الى شـعبه .. أراد هذا الفكر أن يقول ــ وبأسلوب عملى ، باجراءات وأفعـــال ومواقف وليس بمجرد بيانات أو أقوال ــ اننى أشعر بما تشعرون به ، وأنا معكم ، وأوافقكم على أن الأمر يحتـــاج الى ((تغيير)) وان ما نحن فيــه ، أو ما نعانيه ، لا يمكن أن يستمر أو يجب ألا نسمح له أن يستمر بأى شكل ..

.. لا من حيث الاحتـــلال الاسرائيـلى لأراضينا ، الذى جاء نتيجـة هزيمـة قاسـية مريرة لم نستطع ازاءها الا أن نطلق عليها اسما جديدا هو ((النكسة)) .

.. ولا من حيث ((حالة العدل)) فى البلاد ، التى تدهورت الى درجات مؤسـفة ، تمثلت فى

اشـــتداد وطأة الاجراءات الاستثنائية مما أثر بصورة خطـيرة على معنويات الشعب وكرامــة الانسان وحقوقه جميعا .

.. ولا من حيث معدلات التنميـــة ، التى تراجعت الى درجة تنـــذر بالخطر ، وخاصة فى ضوء التزايد السكانى الكبير .

.. ولا من حيث افتقاد الجـدية ، الواجب توافرها فى كل عمل ، والتى هى أشـــد وجوبا لمواجهة مثل هذا الموقف البالغ التعقيد .

والى عدو أمته .. كأن لسان حال هذا الفكر يقول ، لن نسمح بعد الآن أن تفعل فى المنطقة ما تريد (معتمدا على ضعفنا وتخاذلنا أكثر من اعتمادك على قدرتك) .

نحن الآن عازمون على أن نعيدك الى حجمك الحقيقى ، وقادرون على ذلك .

يدك الطويلة التى كنت تعربد بها فى المنطقة .. سنقطعها .

اذا كنت تظن انك تستطيع أن تســـتمر فى احتلال أرضنا ، لأنك أنت والمتحدثون باسمك ، تخيفوننا من الحرب ، فان ذلك قد انتهى عهده ، ومن اليوم ، أنت الذى ستخشى الحرب معنا .. رغم كل طبيعتك العدوانيــة ، والســلاح الذى دججت به الى قدميك .

لن تكون الحرب معنا نزهة يوم واحـــد ، ينتهى بتبـادل الانخاب فى ((ليـلة الجنرالات)) المنتصرين . العـرب المتحدون يستطيعون أن يقلبوا الحفـــلة غما عليكم ، وأن يحيـلوها الى

((نكسة)) عندكم تتبـادلون فيها الاتهامات ومسـئولية الهزيمـة في ((حرب الجنرالات)) المهزومين .

(ولعل ما جاء في تقرير معهـد الدراسـات الاستراتيجية الدولية في لندن عن عام ١٩٧٣ هو أبلغ تعبير عن هذه الحقيقة . فقد جاء في التقرير .. ان العرب استطاعوا بحرب أكتوبر أن يؤكدوا حقيقة هامة ، وهى أن احتفاظ اسرائيل بأراض تحتلها بالقوة المسلحة بدعوى صيانة أمنهـا ، ترف لا تستطيعه) .

والى العالم الخارجى .. فال الفكر الجديد يجب أن تعيدوا حساباتكم وتعيدوا - بالتالى - تحديد موافقكم .

اذا كنتم حقا ترسمون سياساتكم على ضوء مصالحكم ، فان مصالحكم هنا وليست فى اسرائيل .
نستطيع أن نتعاون معكم لخير جميع الأطراف ، ونستطيع أيضا أن ننزل بكم العقاب اذا ذهبتم فى تأييدكم لهذا الكيان الشاذ وسط أمتنا ، الى حد الأساءة الينا .

نحن دعاة سلام وأمن واستقرار ، هذا حق ، ولكننا أيضا قادرون على الدفاع عن حقوقنـا ، مستعدون للبذل فى سبيلها .

اننا من الثقة بأنفسنا بحيث لا نخشى الصداقة معكم .. بل اننا حريصون على هذه الصداقة . لا نسعى الى عداوة معكم ((لا مبرر لها)) ولا نلقى هزيمتنا فوق رؤوسكم ، وانما بأيدينا نستطيع أن نغسل عار هذه الهزيمة .

نحن ((مفتوحو الفكر)) على الجميع .. موقفنا متوازن وحيادنا حقيقى . علاقتنا بأى منكم صداقة وكرامة ، وليست تسلطا أو وصاية من جانب ، وخضوعا واذعانا من الجانب الآخر .

شئوننا كلها نحن أصحاب القرار فيها .. نحن وحدنا . وعندما نتخذ قرار الحرب ـ وفق حساباتنا وعلى ضوء ظروفنا ـ فانما نتخذه بارادتنا المنفردة ، لأنناوحدنا الذين نتحمل أعباءه .

. . . . . .

. . . . . .

هذه الرسالة ((الثلاثية الاتجاه)) لم تكن أبدا ثلاث رسائل منفصلة يتجه كل منها الى هدف ، هى رسالة واحدة .. كلمتها واحدة ومضمونها واحد ، وتستمد المنطق الذى تخاطب به الجهات الموجهة اليها من معين واحد .

فالرسالة الموجهة الى مصر والى عدوها والى العالم كله ، تحمل فكر ((التصحيح)) فى كل شىء .

التصحيح فى أوضاع مصر الداخلية وموقف ((الانسان)) فيها .

التصحيح فى أسلوب مواجهتنا العدو .

التصحيح فى موقفنا من العالم على اتساعه .

ولأنها كانت دائما رسالة ((عملية)) .. مواقف وأفعال وقرارات ، وصلت كاملة .

ولأنها بدأت صادقة ومخلصة ومتجردة . . واستمرت كذلك ، فقد بلغت هدفها .. وتحقق للفكر الذى تحمله النصر .

. . . .

. . . .

وهذا ا ب .. سياحة فى تيار هذا الفكر ، من منبعه فى ١٥ مايو ١٩٧١ الى مصبه فى ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣

وبين المنبع والمصب تدفقت أمواج هذا الفكر .. غزيرة قوية ، واثقة و ة .

ومهما واجه هذا التيار من صعاب أو اعترضه من عوائق .. فانه كان دائما يشق طريقه باصرار الى هدفه المرسوم ، ولا يسمح لنفسه أن ينحرف .. حتى لتفادى ما يعترض مساره الأصلى من عقبات !

لم يكن أبدا جدولا شديد الصخب لأنه ضحل وسطحى .. كان هادئا لأنه عميق .

ان السياحة أو السباحة فى هذا التيار ، تكشف بكل وضوح أن ((الأعمال)) أو مجموعة القرارات والمواقف التى تشكله ، كانت دائما أقوى وأعلى صوتا من أى ((أقوال)) .

ان الذى حدث كان أروع من أى كلام قيل .. أو يقال !

وهنا .. فى سياحتنا مع هذا التيار ، محاولة للانتقال معه فى رحلته ـ المحدودة المدة ولكن البعيدة الأثر ـ من بدايته مع حركة التصحيح ، الى انتصاره فى حرب أكتوبر . وهى مقالات حاولت ا ق بالأحداث ((فى أوقاتها)) ، لتفسيرها والقاء الضوء عليها واستخلاص مغزاها ، كما حاولت استشراف المستقبل فى معنى كل مايحدث .

((سعيد عثمان))



التصحيح

- أنور السادات .. وعودة الروح الى مصر .

- اشتراكية وتحرر فى ظل الشرعية .

- شعب . فى لحظة مواجهة النفس .

- .. ولا تناقض .

- من هنا نبدأ .

أنور السادات ..
وعودة الروح إلى مصر

ان تحرير الوطن لا يستطيع أن ينهض به الا مواطنون أحرار . وان روح الأمة شرط أساسى لقدرتها على مواجهة معاركها . وان القوة الذاتية للامة هي العامل الحاسم فى النصر .

« ١ يناير ١٩٧٢ »

فى حياة الشعوب سنوات تظل على الدوام محفورة فى تاريخها، متوهجةبما تحمله من شحنات قوية لاحداث حفلت بها .

وقد تكون هذه الأحداث أنتصارات كبرى .. كما قد تكون هزائم مريرة .. وفى الحالين تبقى السنوات التى شهدت هذه الاحداث علامات مميزة فى تاريخ الشعوب ومعالم على طريقها .

وفى تاريخنا القومى الحديث عدد من هذه السنوات .. منها عام ١٨٨٢ الذى تم فيه احتلال بريطانيا لمصر . عام ١٩١٩ الذى شهد الثورة الشعبية على هذا الاحتلال . وعام ١٩٣٦ الذى وافقت فيه حكومة مصر على توقيع معاهدة تضفى صبغة شرعية على بقاء الاحتلال . وعام ١٩٥١ الذى شهد مدا ثوريا شعبيا جارفا ، اكتسح أمامه هذه المعاهدة على المستوى الرسمى ، وبدأ — على المستوى الشعبى — يعكر صفو قوات الاحتلال البريطانى فى منطقة قناة السويس ، مما أدى الى مؤامرة حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ وما تلاها من فرض الاحكام العرفية لغل يد الثورة التى كانت نذرها قد بدأت تقلق المستعمر والقصر على السواء .

وفى هذا العام المجيد ١٩٥٢ .. تكلل كفاح الشعب المصرى ضد الاحتلال وضد الفساد السياسى بصورة عامة ، بخروج طلائع الشعب من ضباط جيشه الأحرار ليلة ٢٣ يوليو لتنفيذ المهمة باسم الشعب ومن أجل الشعب . وبضربة واحدة حاسمة نجح جمال عبد الناصر ورفاقه فى تخليص مصر من أسرة حاكمة خاضعة للمستعمر وضالعة معه فى هدف استغلال الأمة ومن فساد سياسى وفوضى حزبية كانت مصر تعيش فى ظلها دون أى تخطيط جدى للمستقبل أو أى محاولة ولو متواضعة لانتهاج أسلوب للتنمية سواء على المستوى الاجتماعى أو الاقتصادى .

بثورة يوليو عام ١٩٥٢ تحررت ارادة مصر وتخلصت من السلبيات التى كانت تعوق حركتها ، فعرفت — لأول مرة — التخطيط

الذى يهدف الى مواجهة تحديات المستقبل ، وبدات تسعى الى بناء مجتمعها على أسس جديدة وتحاول تعويض ماض طويل من التخلف، واللحاق بركب الحياة المعاصرة .

وكان من أهم النتائج المباشرة لتحرر ارادة مصر أنها استطاعت ازاحة الاحتلال البريطانى ، وخرج آخر جندى من جنود هذا الاحتلال فى ١٨ يونيو عام ١٩٥٦ ــ العام الذى دخل تاريخ مصر بهذه المناسبة، وبمناسبات أخرى تالية ، هى تأميم شركة قناة السويس البحرية ، وما أعقب ذلك من عدوان اشتركت فيه بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل، ثم نجاح مصر فى دحر هذا العدوان وتفويت أهدافه ، والخروج من الموقف كله منتصرة .

وجاء عام ١٩٦٧ بهزيمة قاسية .. استطاع التآمر الاستعمارى الصهيونى المتربص أن يستغل الظرف المناسب لتوجيه ضربة مباغتة الى قوات مصر المسلحة واحتلال جزء من أراضيها ، الى جانب اجزاء من بلاد عربية أخرى .

وبرغم أن هذا العدوان لم ينجح فى كسر ارادة مصر وفرض الاستسلام عليها ، فانه كشف الكثير من العوامل التى كانت ــ اذا سمح لها أن تستمر ــ ستقضى على روح مصر وتسىء أشد الاساءة الى حق شعبها فى أن يحيا حياة حرة ويشارك فى بناء مستقبله .. ويحرر أرضه من هذا الاحتلال الجديد .

ومن موقعه فى القيادة ، وبكل ما له من ماض وطنى وثورى ، اكتشف أنور السادات هذه العوامل وصمم على أن يخلص مصر منها .

وجد أنور السادات أن شر ما يهدد مصير الأمة هو غياب الشرعية وافتقاد الجدية فى العمل العام وضياع الحقيقة الديمقراطية بفعل عناصر فى موقع السلطة لم يكن يعنيها من الأمر كله سوى

تثبيت نفوذها وتحقيق مكاسبها الشخصية ، دون اي مراعاة لحق الشعب فى حياة آمنة كريمة ، وفى تجاهل تام ... بسيطة ، وهى أن تحرير الوطن لا يستطيع أن ينهض به الا مواطنون احرار ، وان روح الأمة شرط أساسى لقدرتها على مواجهة معاركها ، وان الجبهة الداخلية هى العامل ا... سم فى النصر .

بهذا المنطق التاريخى وبهذا الوعى السليم بمعنى الثورة ، بدأ أنور السادات يبشر بسيادة القانون ويعلن تصميمه على الشرعية منذ أوائل عام ١٩٧١ . وفى عديد من لقاءاته مع الشعب وفى الجامعات وفى ساحات العدل ، أوضح بكل جلاء اصراره على ازالة كل تناقض افتعلته هذه العناصر بين الشرعية وأهداف الشعب .

ولقد عبر أنور السادات عن هذه الحقيقة ، فى برنامجه للعمل الوطنى الذى تقدم به الى المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى عندما قال :

((ولربما كان أخطر ما واجهنا فكريا خلال السنوات الماضية ، ذلك التناقض المصطنع بين الإشتراكية والحرية ، والذى افتعله اعداء الحرية والاشتراكية على حد سواء . ان مراكز القوة التى لا يمكن لها أن تظهر أو تعيش ـ بل لابد وأن تختنق ـ فى جو الحرية والديمقراطية وجماعية القيادة ، اتخذت من الاشتراكية ودعوى حمايتها ... لتكميم الأفواه ولاسكات كل صاحب فكر ، ولتفرغ مؤسسات الشعب من مضمونها الثورى لكى تشق طريقها الى الانفراد بالسلطة والتحكم فى مصير البلاد بما يحقق اطماعهـا ونزواتها)) .

فى هذا الاطار بدأ تحرك هذه العناصر ضد أنور السادات لضرب كل ما يمثله .. دعوة الحرية التى ينادى بها للشعب ، شعار سيادة القانون الذى يصر عليه ، تصميمه على مواجهة الموقف الخطير الذى تمر به بلاده بما يناسبه من جدية وموضوعية وترفع عن الغوغائية التى كانت الطابع الغالب على اسلوب وتصرفات مراكز القوى .

وكان انور السادات من الثقة فى متانة حق أمته ، والايمان بحق شعبه ، وكان يقينه ثابتا فى حتمية التاريخ وضرورة انتصار قضية الحرية على أعداء الحرية .. بحيث قبل التحدى وبدأ ثورته التصحيحية الكبرى التى وقف فيها الى جانب الشعب يحطم معه كل القيود التى تكبل انطلاقه لتحرير أرضه ومواجهة الموقف البالغ الخطورة ، الناجم عن طبيعة المشكلة وطبيعة ظروفها المحلية والدولية، حيث تتداخل النوايا العدوانية التوسعية الاسرائيلية مع الأهداف الامبريالية فى المنطقة ، ولا يكون أمام شعب مصر الا أن يواجه مصيره ومصير أجياله المقبلة ، باستعداد جاد ودائب لتحرير أرضه ، ثم بالتقدم الى المعركة بجدية وحساب واع ، وهذا هو ما تفعله مصر الآن ، واثقة انها بذلك لابد أن تنتصر ..

ان عام ١٩٧١ الذى شهد عودة الروح الى مصر ، هو العـام ا سم فى سنوات ما بعد النكسة ، وسيظل كذلك لآجال طويلة . فى هذا العام أمكن اتخاذ قرار التحرير فى اطار جهد فائق سياسى وعسكرى لأمة لم يعد هناك قيد على تحركها ، تحت قيادة رشيدة تؤمن بأنها عندما تقود شعبها لابد ان تقوده الى النصر والى مستقبل أفضـل .

شتراكية وتحرر فى ظل الشرعية

ان عملية التصحيح الشاملة التى يتوجها اليوم اقرار الدستور ، تنفى حياتنا من كل ما اكتنفها من سلبيات وتحرر ارادة الانسان المصرى من كل ما يكبلها فننطلق بطاقاته نحو تحقيق اهدافه فى التقدم الاجتماعى والاقتصادى وفى تحرير الأرض دون اهدار للشرعية .. بل فى اطارها وتحت مظلة حمايتها .

« ١١ سبتمبر ١٩٧١ »

باتمام عمليـة الاستفتاء الشـعبى على الدسـتور اليـوم ، تكتمل اخر حلقة فى سلسلة الاجراءات الجذرية التى بدأت يوم ١٤ مايو مستهدفة تصحيح الاوضاع فى مصر وتخليص البلاد من المعوقات التى اعترضت مسيرتها الثورية .. بل وهددت هذه المسيرة كلية ..

وقد بدأت هذه الاجراءات بمكاشـفة واعية من الرئيس انور السادات للشعب بحقائق مذهلة عن الكيفية التى كانت تجرى بها الامور فى مستويات عليا فى هـذا الوطن فى الايام الأخيرة . وتلتها مجموعة من الاجراءات المترتبة على هذه الحقائق والتى تحتمهـا ضرورة مواجهتها .

اعيد تكوين الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة بانتخابات حرة تماما لم تتدخل فيها السلطة الا بالحزم الكافى لضمان حيادها .

بدأت عملية تخليص الحياة العامة من العناصر التى شوهت وجه مصر وأسـاءت إلى مسـيرتها الاشتراكية وعملت فى خدمة المتآمرين المقامرين بمستقبل هذا الشعب .

تم اقرار دستور دولة اتحاد الجمهوريات العربية وقام هذا الكيان الكبير الذى كان المتآمرون يعارضونه لسببين .. أولا لانهم يقاومون مثل هذا المشروع القومى لما يتوجسـون فيه من تهديد لمخططاتهم غير المسئولة ، وثانيا لانهم توهموا أن فى تحركهم ضده فرصـة مواتية للعمل ضـد الرئيس الشرعى للدولة الذى كانوا يتربصون به ويتحينون المناسبة لاختبار قوتهم فى مواجهته .

واليوم .. باقرار الشعب لدستور مصر المبرأة من عيوب هذا الماضي المؤسف . تكتمل معالم هذه الثورة التصحيحية الشـاملة فتفسح المجال لظهور ملامح الدولة الجديدة ، دولة الانسان الحر المطمئن الى يومه وغده .

والدستور الذى نقره اليوم هو نتاج إرادتنا لصبة ، انه انعكاس لتصميم الشعب على رفض كل انحراف بثورته وإصراره على تعديل مسارها في جدية نحو أهدافها الاساسية وهي بناء مستقبل افضل لهذا الشعب ومواجهة المشروعات الامبريالية فى مصر وفى المنطقة كلها . وبعبارة أخرى فان الاشتراكية باعتبارها الصيغة المثلى لتحقيق التحول الاقتصادى والاجتماعى ، والاستعداد للمعركة باعتباره الوسيلة الوحيدة لردع اسرائيل بوصفها حجر الزاوية فى المشروعات الامبريالية فى الوطن العربي فضلا عن عدوانها الفعلى ثم على صدر البلاد ، هما الهدفان الرئيسيان للشعب من أجلهما قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ومن اجلهما ايضا قامت عملية التصحيح الكبرى فى مايو عام ١٩٧١ .

ولقد كان من الظواهر الملفتة للنظر ذلك الاقبال الشعبي الكبير على المشاركة في عملية وضع الدستور رغم السلبية الشديدة التى كانت قد بدأت تتفشى بين الشعب قبل عملية التصحيح . ولعل الدلالة الهامة لهذه الظاهرة المبشرة هي أن الشعب قد استطاع بحسه المرهف ان يميز النغمة الصادقة من الشعارات الجوفاء ، وأن يتبين حبل النجاة وسط ظلام كثيف من التضليل والتزييف ولذا فانه نتيجة لهذا الإدراك وإنطلاقا منه شهدت مصر كلها حوارا جادا ومناقشات خصبة حول أحكام الدستور الجديد . وكانت الصفة الغالبة فى عملية تفاعل الاراء على المستوى الشعبى الى جانب الدراسات المتأنية على مستوى المتخصصين هى الحرص على تحديد موقف الفرد ازاء السلطة وضمان حقوقه وحرياته الاساسية فى مواجهتها ، وذلك بطبيعة الحال الى جانب تنظيم العلاقة بين سلطات الدولة المختلفة على نحو يصون أيضا حقوق الشعب كله ويحمى مسيرته نحو أهدافه .

ذلك انه باسم تحقيق الاشـتراكية اهدرت حقوق الكثير من ابناء هذا الشعب بواسطة بعض الذين وصـلوا الى موقع السلطة فاتخذوا منها وسيلة لتكوين مراكز قوة يستغلونها لتكريس نفوذهم وتحقيق اكبر قدر من المزايا لانفسهم ولمن يعملون فى خدمة اهدافهم ومخططاتهم ، كما انه باسم المعركة انتهكت حريات واخمدت اصوات .. باسم الهدفين النبيلين الكبيرين هددت الشرعية وضاعت سيادة القانون .

وقد استشعر انور السادات كزعيم مسئول للشعب خطر غياب الشرعية على مستقبل هذه الامة وعلى اهدافها نفسها ، ونبه الى ذلك اكثر من مرة . وفى لقاءاته مع رجال العلم والقضاء وفى المؤتمرات الشـعبية أوضـح اصراره على ازالة كل تنـاقض يفتعله بعض من يتولون مراكز القيادة ـ سواء بالجهل أو بسوء القصد ـ بين الشرعية وأهداف الشعب .

ان عملية التصحيح الشاملة ، التى يتوجها اليوم اقرار الدستور تنقى حياتنا من كل ما اكتنفها من سلبيات وتحرر ارادة الانسان المصرى من كل ما يكبلها فتنطلق بطاقاته نحو تحقيق أهدافه فى التقدم الاجتماعى والاقتصادى وفى تحرير الأرض دون اهدار الشرعية .. بل فى اطارها وتحت حمايتها .

شعب فى لحظة مواجهة النفس

اذا لم نقدم على آداء واجبنا ، وهو فى نفس الوقت ممارسة لحقنا .. فماذا سنقول عن أنفسنا لأجيالنا القادمة . بل ماذا ستقوله عنا تلك الأجيال ؟

« ٢٥ سبتمبر ١٩٧١ »

التغيرات الشاملة التي تشهدها بلادنا هذه الايام هي في صتها بالنسبة لشعبنا [illegible] مواجهة نفس .

فبصرف النظر عن الأسباب المباشرة التي دعت الى هذه الاجراءات ابتداء من منتصف مايو الماضي ، فان الحقيقة هي انه كان هناك خطأ ما .. وكان لابد من مواجهته بصدق وشجاعة وبمكاشفة كاملة للحقائق أو « بعلمنا جميعا » على حد تعبير الرئيس أنور السادات .

لقد كشفت الهزيمة القاسية في حرب عام ١٩٦٧ أن هناك نوعا من الخلل وانه لابد من عمل شيء لاصلاحه .. ولذلك فان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وقف في أول خطاب له بعد النكسة يقول .. **ان الشعب يطالب بالتغيير وانا مع الشعب في مطلب التغيير .**

ليس عيبا أن نخطيء فالحياة سلسلة من التجارب والاجتهادات التي تحتمل الخطأ والصواب ، ولكن العيب هو أن نسكت على الخطأ أو لا نحاول اصلاحه .

المهم هو أن نبدأ عملية التصحيح أوعلى الاقل محاولة التصحيح ، ولقد بدأناها بقوة دفع كبيرة وبدرجة طيبة من الاصالة والجدية . ومع ذلك فانه يجب أن نتنبه أن آثار هذه العملية التاريخية لن تظهر في يوم او أيام ، ان عملية كهذه ليس من شأنها أن تأتي ثمارها بشكل فوري ، ولكن الذي نشك فيه أننا اذا أعطيناها ما تستحقه من الجهد والتجرد **فان مصر ستشهد في السنوات القليلة القادمة تغيرا كاملا في أوضاعها الداخلية والدولية وسيلمس الجيل لي آثار البناء الذي يضع اليوم لبناته الاولى من أجل اجياله القادمة .**

ان المهمة ليست يسيرة ، والطريق بطبيعته طويل وشاق وحافل [illegible] . ان الذي نشهده اليوم ليس مجرد تغيير في شكل مؤسسات الحكم أو الادارة أو الانتاج . انه في المقام الأول تغيير

فى مفهوم العمل العام وفى الأسلوب الذى نواجه به كل جزئية من جزئيات حياتنا ، فضلا عن قضايانا الكبرى ، التى لا تحتمل اى عبث أو عدم تقدير المسئولية ، كالذى كانت تمثله تصرفات مراكز القوة التى جربنا حياتنا منها .

كيان الانسان المصرى وقدرته ، واطلاق طاقاته للمشاركة فى بناء بلده وفى صنع القرارات المتعلقة بمصيره .. هى محور عملية التصحيح . أسلوب العمل فى الاجهزة المختلفة من أكبر المستويات الى أصغرها هو هدف هذه العملية . دولتنا الجديدة لا يستطيع أن ينفرد بالقرار فيها رأى مراكز القوة أو أى جماعة أو فرد ، لن تستطيع أى جهة من هذه الجهات بعد الان أن تأخذ سلطة الدولة فى يدها .. كما أعلن أنور السادات .

لن يستطيع انسان بعد اليوم أن يقول « انا الدولة » كما كان يقول لويس الرابع عشر فى فرنسا ، فالدولة دولة مؤسسات دستورية ومجالس متخصصة ، والقرار اى قرار على اى مستوى هو نتاج دراسات هذه الاجهزة وتفاعل الرأى فيها بالاسلوب ديمقراطى .

ولكن .. هل يمكن ان تشغلنا عملية التصحيح واعادة البناء هذه عن المعركة أو تصرفنا عن الاستعداد لها ؟ الحقيقة ان العكس هو الصحيح . فالمعركة ذاتها هى أول ما يفرض علينا عملية اعادة ترتيب أوضاعنا وتنقية حياتنا من كل ما شابها من عيوب وأخطاء . بل لعل الجولة الاولى التى هزمنا فيها من المعركة هى التى أيقظت فينا الوعى بهذه الاخطاء والتصميم على ازالتها . **وبغير عملية التصحيح لن نستطيع مواجهة الجولات القادمة من المعركة بل ولن نقدر على اتخاذ القرار السليم بشأن المعركة نفسها** . اننا باعادة ترتيب الدولة على أساس علمى وديمقراطى ، نكتسب حصانة ضد الارتجال أو المزايدة غير المسئولة فى مثل هذا القرار الخطير ..

ولقد ثبت من التحقيقات أن بعض المتهمين فى قضية المؤامرة والانحراف السياسى **كانوا يزجون بالمعركة فى مهاتراتهم الرخيصة ، وكانوا فى بعض الاحيان على استعداد للمقامرة بها من أجل اغراض لا تمت بصلة الى هدفها الوطني النبيل .**

من أجل هذه المعركة ــ بشرف ومسئولية ــ كل مسعانا وعملنا الوطنى فى هذه المرحلة الحاسمة ، وكل مانأخذ به نفسنا من جدية وما نوجهه لها من نقد . ولقد كان من الواجب ان نقف بشجاعة وقفة محاسبة النفس . فمن هنا ننطلق فى عملية التصحيح حتى نصل بها الى مداها ومن هذا المنطلق يجب أن تأتى المشاركة الشعبية الحقيقية فى العمل الكبير الذى بدأه القائد . **فالقضية قضية الشعب كله والمصير مصيره . الطريق الى الامل والمستقبل مفتوح أمامنا وفرصة المشاركة فى البناء كاملة ، واذا لم نقدم على اداء واجبنا الذى هو فى الوقت نفسه ممارسة لحقنا . فلن نعرف ماذا سنقول عن أنفسنا لاجيالنا القادمة .. أو ماذا ستقوله عنا تلك الأجيال !!**

.. ولا تناقض ..

.. لا تناقض على الاطلاق بين بناء الدولة الجديدة وتحرير الأرض . بل انه بغير الدولة العلمية المؤمنة لن نستطيع تحرير الأرض . ومالم نحرر الأرض فلن تقوم لنا دولة .

« ٨ ابريل ١٩٧٢ »

هل هناك حقا أى تنــاقض بين هدف بنــاء الدولة وهدف تحرير الارض ..

وهل يقال ان الدعوة الى بناء الدولة تحمل معنى التغــاضى عن هدف تحرير الارض .

وهل يكون السؤال الكبير فى حياتنا الآن هو .. أيهما نبدأ به بناء الدولة أم تحرير الارض ؟!

حقيقة أن الحركة الوطنية المصرية فى أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات رفعت هذا التساؤل . فلقد كان الضمير الوطنى فى مصر ينوء تحت ضغطين كبيرين .. الاحتلال الأجنبى وفساد الحياة السياسية الداخلية . وكان فى مصر من يتساءل ، هل نبدأ بطرد الاحتلال وبذا تتحرر ارادة الشعب فيتمكن من تصحيح الاوضــاع الفاسدة واعادة صياغة حياته .. أم نبدأ بتطهير الحياة السياسية داخل مصر فنتمكن بذلك من تحقيق المهمة الاخرى .. اخـراج الاحتلال الاجنبى .

ولقد ظل التساؤل يدور فى اطاره النظرى .. فى السفسطةوفى المناقشات ، دون محاولة عملية لايجاد حل ، وبقيت المشــكلة بجناحيها ، الفساد الداخلى والاحتلال الأجنبى ، حتى جاءت الثورة فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، فكانت الاجابة العملية والمنطقية الوحيدة للمشكلة برمتها .. خلصت مصر لابنائها وأسقطت الحكم الذى كان يحمى وجود الاحتلال الاجنبى ، وبدأت مهمة التنمية . اى بنــاء الدولة .

ولو اننا ظللنا ندور حول انفسنا باحثين عن اى المهمتين نبدأ بها .. حل المشكلة الداخلية أم حل المشكلة الخارجية ، لمكثنا أبدا فى هذه الحلقة المفرغة دون أن نصل الى نتيجة ، ولانقضت الايام والسنون ونحن لا نعرف من أين نبدأ ، وحتى اذا بدأنا بمسعى فى

ايهما لاصطدمت خطانا بالعقبات التى يفرضها وجود المشكلة الاخرى . . .

ان امة تواجه تحديات متعددة ، عليها ان تحل مشاكل داخلية واخرى خارجية .. لا تستطيع تجزئة الحلول ، وليس الاسلوب الصحيح لعملها الوطنى هو أن ترجىء التصدى لمشكلة ا... لحل مشكلات اخرى . فالمشكلات كلها متداخلة ومترابطة ارتباط السبب بالنتيجة .. ولا يمكن حلها كلها أو حل أى منها الا بموقف جاد صلب وعلمى منها جميعا ، أى بخطة شاملة ومتكاملة ، تأخذ فى اعتبارها كل الظروف المحلية والدولية وتجند طاقات الامة كلها وتوجهها وجهة واحدة . المهم هو أن توجد هذه ا... ، وأن يبدأ على الفور تنفيذها . فالقضية بشقيها ـ بناء الدولة وتحرير الأرض ـ لا تحتمل التأجيل . أما تقديم اجراء على اجزاء أو خطوة على أخرى ، فهو مسألة اولويات تنفيذية فى اطار مخطط شامل ، وكل مخطط لابد لتنفيذه من اولويات ، وهى لا تعنى ان هدفا من إهداف الخطة العامة يضحى به لحساب هدف آخر ..

.. بمعنى .. أن بناء الدولة العصرية ـ وهو هدف فى حد ذاته ـ لا يمكن أن يكون سببا لإرجاء مسعى تحرير الارض .. وبالمثل فان المسعى المقدس لتحرير الارض والتصدى للمواجهة الخارجية يجب الا يتناقض مع مهمة بناء الدولة العصرية أو يضعها فى مرتبة ثانية من الاهمية .

واذا كان احتلال الارض التى نريد اليوم ان نحررها يرجع الى اسباب خارجية صرفة لا دخل لنا فيها ولا مسئولية علينا ، فان وسيلتنا لتصحيح الوضع واسترداد الارض هى بناء القوة ا... ية القادرة على أداء المهمة .. أى الارتفاع بقدرتنا السياسية والعسكرية والاقتصادية والدبلوماسية الى مستوى هذا ا... ى

ا ٠ رجى الخطير الذى يواجهنا . ومعنى ذلك أن « الظرف » الذى نمر به يحتم علينا خلق « الظروف » التى تمكننا من تعويض الفارق بين قدراتنا وضخامة المؤامرة علينا ، أى خلق المجتمع السوى والدولة العصرية .

أما اذا كان علينا أى قدر من مسئولية ما نحن فيه ، واذا كنا ندرك ـ بعد الدرس والتجربة ـ ان غياب التخطيط الواعى بعيد المدى وعدم وجود استراتيجية عربية واضحة فى مواجهة مخطط العدو ، كان من أسباب الموقف الذى نعانيه اليوم ، فان اعادة ترتيب بيتنا ، اى خلق المجتمع المعاصر والدولة الجديدة يكون « من باب أولى » .

ولا تناقض .. لا تناقض على الاطلاق بين بناء الدولة الجديدة وتحرير الارض . بل انه بغير الدولة العلمية المؤمنة لن نستطيع تحرير الأرض . وما لم نحرر الأرض فلن تقوم لنا دولة . واذا تبينا ذلك ووضعناه نصب أعيننا وأفرغناه فى خطة محددة واعية وطموحة ... مة لكل ما بين أيدينا من قدرات حاضرة وامكانيات مستقبلية .. فسنحرر الأرض ونبنى عليها الدولة الجديدة .

من هنا نبدأ..

انا في الحقيقة نحتاج الى عملية اصلاح شاملة للريف تضرب بجذورها في صميم مسائله ، ولا نكتفي بالمشروعات السطحية ، وتتنزه عن الارتجال . يجب أن نضع على الفور اجابات محددة لمسائل الريف المصرى المتأصلة .

« ٢ أكتوبر ١٩٧١ »

ريف مصر حيث يعيش ثلثا شعبها على الاقل ، وحيث المصدر الرئيسى لانتاجها الزراعى كله ، وأهم مورد لانتاجها الصناعى .. **هو البداية الرئيسية بل الوحيدة لاى عمل جاد نريد القيام به لبناء دولتنا الحديثة .**

لقد أعددنا تشكيل الاتحاد الاشتراكى ، ووضعنا الدستور الدائم وصدرت القوانين والقرارات الخاصة باعادة تنظيم الدولة .. أى تم التخطيط لهذه المهمة الكبرى ورسم اطارها ... ولم يبق الا التنفيذ .

ان قوانين اعادة التنظيم تغطى مختلف جوانب الحياة فى مصر ، ومن الطبيعى بالنسبة لمثل هذه العملية ، أن يبدأ تنفيذها كلها فى وقت واحد .

ولكن هذه القاعدة العامة يجب الا تخفى عنا حقيقة انه فى كل عمل توجد أولويات يجب مراعاتها . وبديهى أن الاولوية تتحدد وفق الاهمية ، ولذا فمن الواجب ان نبحث عن أكثر الامور اهمية وأشدها الحاحا ، لنضعها فى مكانها من الاولوية .. اى لنبدأ بها .

ان تحديد نقطة البداية لكى يكون واعيا ، يجب ان يبنى على تصور واع وشامل لما نريد بالضبط .. **والذى نريده على وجه اليقين هو بناء دولة تعيش عصرها وتخلص حياتها من جوانب القصور التى توارثتها على مر السنين .**

لذلك فان أول ما يجب أن نبحث عنه كنقطة بداية للعمل الكبير ، هو تلك المناطق من حياتنا التى يشتد فيها البعد عن واقع عصرها والتى تظهر فيها جوانب التخلف اكثر من غيرها .

وبدون أى عناء وبمجرد نظرة خاطفة .. نجد أن الريف هو نقطة البداية التى لا بداية لنا غيرها .

انا ــ كما قال الرئيس أنور السادات ــ **((لا يمكن ان نتكلم عن بناء الدولة الجـديدة طالما ظلت حياة ا ح ، منتج الغذاء ين والخامات ملين بالصناعة ، على ما هى عليه))** .

انه لا يمكن تصور دولة حديثة دون ريف حديث أو على الأقل ليس شديد التخلف .

فما هو واقع الريف المصرى ، وما هى حقيقة هذه المنطقة من حياتنا ، التى تعيش فيها الاغلبية الكبرى من شعبنا ؟

ان الريف المصرى ــ نتيجة تراكم ظروف تاريخية عديدة من القهر والاهمال والاستغلال ــ يعيش فى كثير من أرجائه حالة مؤسفة من التأخر .. ومن الغريب **أن بعض سكان الاجزاء الشديدة التخلف ، قد لا يشعرون بمدى هــذا التخلف وقد لا يدركون ما بينهم وبين عصرهم من بعد ،** فتخلفهم نفسه قد حجب عنهم ادراك ما يجرى فى الدنيا من حولهم ، فهم لا يرون غير واقعهم ، وبؤسهم يحول بينهم وبين معرفة حتى ما هم فيه من بؤس .. وهنا الخطورة فى الامر .

ان هذه الحالة تؤدى الى غياب عنصر الامل وافتقاد الطموح والرغبة فى التحسين ، وهى عوامل لا غنى عنهــا فى أى عملية اصــلاح . فالاصلاح يحتاج الى المشــاركة المتحمســة والكفء ، الى جانب التخطيط المستنير .

واذا عرفنا أن المهمة بالنسبة النهوض بالريف ، وبالنسبة لاكثر مناطقه تخلفا بصورة خاصة ، ليست مسألة انسانية فقط ، وانما هى ضرورة من ضرورات التنمية العامة للبلاد .. لتبينا مدى جسامة المسئولية **وضرورة البدء فورا فى عملية الاصلاح فى الريف .**

أضف الى ذلك ان الفارق الحضــارى بين ريف مصر ومدنهــا ــ والعاصمة بصورة خاصة ــ فارق هائل وغير معتاد فى اى دولة من دول العالم . وقد كان ذلك مفهوما فى عهود سحيقة أو فى عصــور

الظلام والقهر والاستبداد ، ولكنه غير مقبول ولا متصور الان ... فنحن فى النصف الثانى من القرن العشرين ، والفارق بين الريف والحضر فى معظم دول العالم طفيف وغير صارخ ، ان كان ثمة فارق على الاطلاق . كما اننا نعيش فى مجتمع اشتراكى يفترض المساواة وتكافؤ الفرص للجميع ، ويعمل على تعبئة موارد البلاد كلها بأسلوب علمى للتنمية الشاملة .

وقد اكد الرئيس انور السادات الحاجة الى البدء فورا فى بذل جهود جديدة للنهوض بالريف ، فى برنامجه للعمل الوطنى الذى تقدم به الى المؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى . قال **« ان اسلوب الحياة اليومية لفلاحينا الذين يكونون غالبية الشعب ، لم يلحقه تغيير حقيقى ، لافى وسائل واسلوب الانتاج ولا فى السكن والغذاء والصحة ، ولا فى تحصيل العلم والثقافة »** .

اننا فى الحقيقة نحتاج الى عملية اصلاح شاملة للريف تضرب بجذورها فى صميم مشاكله ولا تكتفى بالمشروعات السطحية وتتنزه عن الارتجال .. يجب ان نضع على الفور اجابات محددة لمشاكل الريف المصرى المتأصلة كالامية التى تصل نسبتها فى كثير من المناطق الى مايزيد على التسعين فى المائة ، والامراض المنفشية وكثير منها امراض متوطنة لابد لها من علاج حاسم يقطع دابرها والبطالة السافرة والمقنعة ، والعادات السيئة وانتشار الخرافات والشعوذة .

ان المهمة تاريخية وجليلة .. وجديرة بكل ما يبذل فيها من جهد . والجهد يتألف من مجموعة من العناصر التى يجب حشدها جميعا لاتمام هذا العمل الكبير .. وهذه خطوطها الرئيسية .

تخطيط مركزى واع وجاد يشفعه تنفيذ محلى يكفل له اكبر درجة من المشاركة الشعبية .

اعتماد أكبر قدر ممكن من الموارد المالية .

توجيه أفضل العناصر الفنية وأقدر ا ' ءات للعمل فى هذا الميـدان .

ان مثل هذا الجهد هو أفضل ما نبذله فى عملنا الوطنى من أجل بناء دولتنا الجديدة .. انه أحسن استثمار على المستويين الانسانى والاقتصادى ، وعائده مضمون وكبير .

فاذا كنا نريد بناء مصر الحديثة ، يجب أن ندخل الكهرباء والمياه الصالحة للشرب فى كل أرجائها ، وان نبنى القرى الجـديدة ونمد بينها شبكة المواصلات الحديثة ، ونبنى فى كل قرية مدرسة على الاقل ووحدة صحية ومصنعا صغيرا للصناعات البيئية .

ويجب فى الوقت نفسه أن نمد خطوط الاتصال بين سكان الريف والحياة المعاصرة ، بالتعليم والثقافة ونشر الوعى ، فبذلك نضمن مشاركتهم فى عملية تطوير بيئتهم ، وهى مشاركة مطلوبة وضرورية .

من هنا نبدأ .. وعلينا أن نبدأ على الفور .

نحن وإسرائيل

- السياسة .. والدعاية .. والحرب .

- استراتيجية اسرائيل وموقفنا منها على المدى البعيد .

- اعرف عدوك .

- كيف تنظر اسرائيل الى عامل الزمن .

- الحوار مع العدو .

- ضمير الأمة العربية واذابة الثلوج .

- الساخن والبارد .. بيننا وبين اسرائيل .

- ضرب جنوب لبنان .. هل هو انتقام لميونيخ ؟

السياسة.. والدعاية.. والحرب

ان اسرائيل كبان مزعزع وجسد
هزيل على المدى البعيد . ان هذا
الجسد الذى نظهر فى المنطقة كمارد
جبار ، يقف فى الحقيقة على ساقين
خشبيتين . واذا أحسنا مواجهته
فلا بد للسوس الذاتى أن ينخر هذا
الخشب ويقصمه فيسقط الجسد .

١٩٧١ » .

نحن الآن فى أواخر عام ١٩٧١ .. أو ما اصطلح على تسميته بالسنة الحاسمة فى أزمة الشرق الأوسط .

وفى الأيام المتبقية من العام الحاسم ، تنشط العوامل المؤثرة فى الموقف المتصلة به أوثق الاتصال ..

اتسع حجم الاتصالات الدولية الثنائية ، فقد عقدت القيادة السياسية المصرية سلسلة من المشاورات فى مجموعة من العواصم مع عدد كبير من زعماء العالم المتصلين بالأزمة اتصالا مباشرا أو غير مباشر . وفى الوقت نفسه تجرى اتصالات دولية جماعية بالغة الأهمية ، فى شكل انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة ، واقتراب موعد بحث مسألة الشرق الأوسط فيها ، واحتمالات تقديم مشروع قرار أو أكثر ، مما قد يكون له أثر فورى فى وضع أسس التسوية ، أو فقدان الأمل نهائيا فى حل المشكلة على هذا المستوى .. أى بعيدا عن ساحة القتال .

الخلاصة أن هذه الأيام ستشهد مدى قدرتنا على التعامل مع الموقف فى جدية ومسئولية ، وعلى ذلك فان مسألة الحسم هنا ذاتية أكثر منها أي شيء آخر ، ومستقبل التطورات كلها يتوقف على ما سنفعله نحن فى مواجهتنا لهذا الموقف .

معنى ذلك أننا يجب أن نتعامل مع حقائق الموقف فى وضوح وفى واقعية وشجاعة .

والحقيقة الأولى فى الموقف انه فى اطار المعركة المستمرة بين الأمة العربية ونحن جزء منها ، وبين اسرائيل ـ الجسم الأجنبى الغريب المغروس غرسا وسط هذا ا ـ ن ـ كسبت اسرائيل جولة هامة فى الصراع . المليونان والنصف من الغرباء عن المنطقة وعن بعضهم البعض حتى عهد قريب ، غلبوا المائة مليون من أصحاب الحق وابناء الأرض والعشيرة والأهل من آلاف السنين !

كيف حدث ذلك الذى قد يبدو شاذا وغير مفهوم ؟ ! الحقيقة انه لا يبدو غريبا الا للنظرة السطحية . فالأمر ، ببساطة أن الجسم الضئيل الغريب يتمتع بدعم خارجى هائل يقابله تفريط هائل وعدم جدية هائل من الكيان الكبير صاحب الحق .

وقد وقعت المواجهة بين الطرفين فى ميدان شاسع متعدد الجبهات .. وهى جبهات رغم تعددها تنحصر فى ثلاثة ميادين اساسية ، هى السياسة ، والدعاية ، والحرب .

كل فريق يعمل فى هذه الميادين ، لا بوصفها أهدافا فى حد ذاتها ، بل باعتبارها أدوات لتحقيق الارادة وبلوغ الأهداف .

ومن الضرورى ، أن نلاحظ أن هناك تداخلا كبيرا بين هذه الميادين ، حتى أن الحدود الفاصلة بينها تكاد ألا تتضح أحيانا ، وتضيع المعالم بينها تماما ، والعين المدققة والتقدير السياسى السليم ، هما وحدهما القادران على تبين هذه الحدود ووضع كل موقف وكل تصرف فى [illegible] ت فى مكانه الصحيح ، وهو أمر لازم فى الحسابات السليمة التى يجب أن تنبنى عليها القرارت .

ومن الامثلة على التداخل فى الميادين الثلاثة . . السياسة والدعاية والحرب ، ان أحد الاطراف قد يقوم بعمل عسكرى ولكنه لا يستهدف به أى نتيجة عسكرية ، كالعمل الاجرامى الذى قامت به اسرائيل عسكريا ضد مدرسة بحرالبقر أو مصنع أبو زعبل أو الجسر فى نجع حمادى . كذلك فهناك تصرفات قد تبدو فى طابعها بعيدة عن الاعتبارات العسكرية ، بينما المغزى العسكرى هو هدفها الوحيد ، والامثلة على ذلك كثيرة فى تصرفات اسرائيل فى الاراضى التى تحتلها حيث تجرى من التغييرات ما تزعم أن هدفها منه هو التحسين المعمارى أو التنشيط الاقتصادى والحقيقة أن هدفها هو تحقيق المزايا العسكرية والاستراتيجية بصورة اساسية .

ونفس الشيء نلاحظه على تصرفات الولايات المتحدةفى مساندتها غير المحدودة لاسرائيل ، فهى لاعتبارات سياسية تقول أنها لاتساعد اسرائيل على العدوان وانما تمدها فقط بأسباب حفظ أمنها وردع أى تهديد لها ، وتكون النتيجة مخالفة لذلك تماما ، اذ يسفر هذا الموقف عن دعمعسكرىمبالغ فيه لاسرائيل يغريها بالعدوان والمغامرة من جهة ويزيدها صلفا وغرورا من جهة أخرى مما يضاعف من عنادها فى مساعى التسوية ، أى يزيد من تعقيد الموقف وشحنه باحتمالات الخطر على سلام المنطقة وربما سلام العالم كله .

يقولون .. ان هدفهم من الدعم العسكرى حفظ النوازن فقط.

والحقيقة .. انهم بذلك يؤكدون التفوق ويشجعون العناد . هكذا وهكذا الكثير من التداخل والتشابك فى الميادين السياسية والدعائية والحربية ، وكل طرف يعمل أو يجب أن يعمل فى الميادين جميعا لتحقيق أهدافه وفرض ارادته .

على هذا الضوء يجب أن ننظر الى الأمر نظرة شاملة ، واعية وغير متشنجة ، فبهذا الادراك نستطيع أن نفوت على العدو أهدافه ومناوراته ونزيد من قدرتنا على المناورة .

ولا مفر لنا من أن نتعامل مع الموقف بجدية وعلى مستوى الأجيال .. فالقضية قضيتنا وحلها لن يكون الا بأيدينا وبارادتنا ويجب ألا نسمح للعدو بأن يفرض علينا قراراتنا فيها . كما انه يجب ألا نسمح لمناوراته أن تدفعنا الى مواقف غير محسوبة ، أو محسوبة من ناحيته بحيث تحقق له ما يبتغى من مزايا .

ان اسرائيل ــ مهما كان موقفها الحالى وفى ظل ظروف ليست من واقع المنطقة ــ كيان مزعزع وجسد هزيل على المدى البعيد . ان هذا الجسد الذى يريد أن يظهر فى المنطقة كمارد جبار ، يقف فى الحقيقة على ساقين خشبيتين ، واذا أحسنا مواجهته فلا بد للسوس الذاتى أن ينخر هذا الخشب ويقصفه فيسقط الجسد .

احدى هاتين الساقين الخشبيتين اللتين تتوكأ عليهما اسرائيل .. دعم خارجى كبير يضم عناصر كبيرة سياسية ودعائية وعسكرية . وقد برعت اسرائيل براعة كبيرة فى استخدام جميع الاعتبارات التى تؤمن لها هذا الدعم واستمراره .. فى الظروف الراهنة . أما الساق الأخرى التى تقف عليها اسرائيل فتتمثل فى جهدها لاستيعاب أعداد كبيرة من الوافدين الجدد وصهرهم فى مجتمعها الشاذ بطبيعة تكوينه ثم استخدامهم بعد ذلك فى تحقيق الأهداف التوسعية .

فى اطار هذا الفهم تكون مواجهتنا لاسرائيل وللموقف كله أكثر جدوى وفاعلية .

وفى هذا الاطار تتحرك جهودنا السياسية والاعلامية والعسكرية بأكبر قدر من الجدية والمسئولية .

نحن لا نصرخ بالمعركة وانما نستعد لجولاتها المقبلة ..

نحن لا نقول اننا سنمحو اسرائيل من الخارطة وانما نعمل على نشر سيقانها الخشبية التى ترفعها الى الوضع الذى يسمح لها بالعدوان ، وبالتصدى بالعناد والصلف لكل مساعى انهاء حالة العدوان وازالة آثاره .

ونحن .. أخيرا ، نعيد ترتيب بيتنا لنتمكن من مواجهة هذا العبء كله بارادة متحررة من كل ما يكبلها أو يعوق انطلاقتها .

استراتيجية إسرائيل
وموقفنا منها على المدى البعيد

يجب أن تكون قراراتنا ومواقفنا جميعا نابعة من استراتيجية شاملة ترسم سياستها على المدى البعيد ، وتتناول الموقف تناولا تاريخيا ، ولا تتخبط تخبطا محموما توحى به اللحظة ويأباه التخطيط الهادىء المستنير .

وبعد خبرتنا الطويله مع اسرائيل ، لا بد أن يكون لدينا تصور واضح لاستراتيجيتها ، لأننا بهذا وحده نستطيع ان نرسم استراتيجيتنا المقابلة .

« ٦ نوفمبر ١٩٧١ » .

الأيام التى نعيشها .. والأيام المقبلة حتى نهاية هذا العـام ، هى بالتأكيد أخطـر أوقات أزمة الشرق الأوسط ــ رغم تاريخها الطويل ــ وأبعـدها أثرا فى مستقبل النطـورات التى ستشهدها المنطقة .

ومع اقتراب نهاية العام ، أى مع قرب الأجل المحدد ، يزداد توتر الأعصاب وتشتد حالة التأهب على جميع المستويات ووسط هذا الجو المشحون تظهر نغمات عديدة ينسجم بعضها مع حقائق الموقف ، ويناقضها بعضه الآخر .. ويأتى بعضها نشازا تاما .

ومن الطبيعى أن تتباين النغمات ، فمصـادر العزف مختلفة والدوافع التى تحركها متناقضة بل ومتصادمة لأنهـا بالضرورة انعكاس لمصالح متعارضة .

لذا فانه من الضرورى أن نتنبه الى النوايا التى تختفى وراء كل كلمـة تقال وكل خبر يوعز به ، وأن نضبط أعصـابنا تماما ولا نسمح لأنفسنا بأن تجرنا حملات الاعلام البـارعة التخطيط والتنفيذ الى مواقف أو قرارات لا تكون نتيجة حسابات واعيـة وتقدير دقيق للموقف .

حرب أم سلام . حرب شاملة أم معارك محدودة على الجبهة .. استمرار لوقف اطلاق النـار أم استئناف للتراشق عبر قنـاة السويس .. اعادة فتح القناة وعبور القوات المصرية أم بقاء الوضع على ما هو عليه .. اتفاق على هذه المرحلة من التسوية كما تنص مبادرة الرئيس السادات فى اطار تسوية شاملة تقضى بالانسحاب الكامل ، أم الوقوف حاليا عند هذا القدر من الترتيبات وفصـله

عن التسوية العامة .. وغيرها من عشرات الأسئلة التى تبحث عن اجابات ، بعضها أسئلة تلقائية بريئة القصد والهدف وبعضها جزء من حرب نفسية عنيفة لها خبراؤها المتمرسون فيها والذين جربوها معنا فى الماضى وعرفوا كيف يلعبون أوراقها ببراعة فائقة .

المهم .. هو كيف نواجه نحن هذا الموقف ، وما هو نوع الحسم المطلوب ..

ومنذ أيام دعيت الى المشاركة فى برنامج تليفزيونى حول الموقف الراهن لأزمة الشرق الأوسط . وكانت نقطة البداية فى المناقشة ما تناقلته وكالات الأنباء فى الأيام الأخيرة من أخبار ((متفائلة)) تشير الى احتمالات حل الأزمة سلميا .

ودار الحديث حول نغمة التفاؤل هذه .. وبعد استعراض لما يكمن وراءها من دوافع ، اتفقت الآراء على أنه ليس هناك من التطورات فى الموقف ما يبررها . فهذا الحديث عن التفاؤل لا أساس له من واقع الحال وقد يكون الهدف منه مجرد تخدير الأعصاب .. تخدير أعصابنا لننصرف عن الاستعداد للمواجهة الشاملة ، وتخدير الرأى العام العالمى الذى أصبح يدين موقف اسرائيل ويضيق به ، ويقدر مواقفنا الأخيرة التى تتمثل فى مبادراتنا السلمية دون تفريط فى حقوقنا أو حقوق شعب فلسطين ، واصرارنا على تحرير أراضينا المحتلة مع استعدادنا لقبول الترتيبات التى ارتضاها الضمير العالمى ممثلة فى قرار مجلس الأمن كأساس لاقرار سلام دائم فى المنطقة .

وعند هذه النقطة من الحديث طلبت مذيعة البرنامج الرأى فى كيفية مواجهة الموقف على هذا الضوء .

وشعرت أنه ليس من حقى ولا من حق أى انسان يجلس فى ستوديو مكيف الهواء أن يتحدث عن الحرب من هذا الموقع أو يدلى بتصريحات ملتهبة حول هذا الأمر المصيرى الخطير ! ان المسألة أجل

واكثر خطورة من أن تتناول بصورة عابرة ومن غير المعقول ان تكون محل حديث غير متخصص ولا مسئول .

حديث الحــرب تنطق به فوهات المدافع يقف وراءها الرجال وابصارهم فى اتجاه العدو أربعا وعشرين ساعة كل يوم فى انتظار ساعة العزم والحسم . حديث الحرب ينضح به عرق هؤلاء الرجال فى التدريب الشاق المتواصل ليل نهار ، وتسيل به دماؤهم عند الاشتباك .. هؤلاء الرجال أنفسهم هم الذين سيــتولون حديث الحرب ، وهم الذين تحدث عنهم أنور السادات بمسئولية القــائد التاريخى فى مرحلة فاصلة من مصير أمته ، فأوضح أنه اذا كانت مواصلة جهود السلام والحل السياسى ستحفظ حياة رجل واحد منهم فقط ، فان ذلك وحده كاف لعدم اغلاق الباب أمام أى مسعى دولى يحقق هذا الهدف النبيل .

وبعــد ذلك .. بعــد استنفاد كل وسيلة للســلام ، لا يبقى الا حديث الحرب .

وللحرب حساباتها وتقــديراتها . وأول هـــذه الحسابات والتقديرات معرفة كيف يفكر العدو فى حربه معنا وكيف يستعد لها واسلوبه فى قتالنا . **اننا لا يمكن أن نتعامل مع العدو تعاملا مجديا ومسئولا الا اذا وضعنا خططنا لمواجهته على أسس واقعية بعيدة عن الغوغائية ومستفيدة من سابق خبراتنا معه ومن الدروس التى تلقيناها من أخطائنا السابقة .**

يجب أن تكون قرارتنا ومواقفنا جميعا نابعة من استراتيجية شاملة ترسم سياستها على المدى البعيد وتتناول الموقف تنــاولا تاريخيا ولا تتخبط تخطبا محموما توحى به ا [illegible] وياباه التـ[illegible]ـيط الهادىء المستنير .

وفى اليوم الذى يدرك فيه العدو ذلك ، فانه سيأتى الى شروطنا وسيضطر الى التخلى عن غلوائه ، لأنه سيعرف أن الذى حقق له

النصر علينا وسلاحه الرئيسى فى كل مواجهة معنا ـ وهو ضعفنا لا قوته ـ لم يعد له وجود ولن يستطيع الاعتماد عليه بعد الآن .

ان العدو لا يستطيع المخاطرة بحرب معنا اذا لم يكن واثقا من النصر فيها ، فاسرائيل ـ كما أعلنت رئيسة وزرائها جولدا مائير ـ لا تحتمل هزيمة واحدة أمام العرب . وعلى ذلك فانه اذا ساورت اسرائيل المخاوف للحظة واحدة أن نتيجة الحرب قد لا تكون فى صالحها ، فانها لن تقدم عليها بأى صورة وفى أى حال .

ومعنى ذلك أن وسيلتنا للحل السلمى ، ليست قاصرة على الجهود السياسية والدبلوماسية ، فهذه الجهود لن تكون لها أى قيمة اذا لم تكن مستندة الى وضع عسكرى بالغ القوة يجعل العدو يعيد النظر فى حساباته كلها .

ولقد كانت الميزة التى """ لاسرائيل التفوق فيما مضى ، أنها كانت أقدر من العرب على الحسابات الاستراتيجية ـ أى بعيدة المدى ـ فى جميع المجالات السياسية والحربية والدعائية .

وبعد خبرتنا الطويلة مع اسرائيل ، لابد أن يكون لدينا تصوير واضح لاستراتيجيتها ، لأننا بهذا وحده نستطيع أن نرسم استراتيجيتنا المقابلة .

وأول حقائق الاستراتيجية الاسرائيلية هى أن مجتمعها نفسه قام على أساس الحرب والاستعداد القتال فى كل وقت ، منذ الأيام الأولى للاستيطان اليهودى فى فلسطين ، كان زعماء الحركة الصهيونية يختارون أماكن المستوطنات على أساس استراتيجى يراعى احتمالات الدخول فى اشتباكات فى المستقبل ، ولا يكتفى بالاسس البيئية المواتية للاستغلال الزراعى او النشاط التجارى وغيرها من الاعتبارات المتعلقة بالازدهار المحلى لسكانها .

والمستوطنات الجديدة التى كانوا يزمعون اقامتها فى مناطق جديدة وخاصة فى المناطق النائية عن مراكز التجمع اليهودى ـ

لاعتبارات استراتيجية أيضا — كانوا يبنونها جاهزة وينقلونها سرا بالليل ليستيقظ الأهالى العرب فى الصباح مفاجئين بقرية بين ظهرانيهم محاطة بالأسلاك الشائكة يرتفع فى وسطها برج مراقبة مسلح به مدافع رشاشة وكشاف كهربائى .

ومن هذه الأيام الأولى أرسوا قواعد استراتيجيتهم الحربية والنفسية فى مواجهة العرب .. **كانوا يعمدون عند كل هجوم عربى عليهم الى الخروج للقتال فى الخلاء المكشوف غير مكتفين بالدفاع من وراء المتاريس ، رغم ماقد يؤدى اليه ذلك من زيادة نسبة خسائرهم ، توخيا لأحداث أثر نفسى له حساباته فى استراتيجيتهم العامة ، التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم** « نقل المعركة الى أرض العدو » .

أن ادراكنا مثلا لهذا الجانب من التفكير الاستراتيجى للعدو يجعلنا نضع من الخطط ما يكفل لنا مواجهته .. وليس سرا اننا نجحنا فى احاطة خطوطنا بشبكة بالغة التقدم من أجهزة الانذار المبكر ووسائل الدفاع الجوى الصاروخى ، وأن لدينا من وسائل النقل الجوى بعيد المدى ما يمكننا من توجيه الضربات المدمرة الى أرض العدو .. أو ما عبر عنه الرئيس السادات بأن « العمق بالعمق » اى أن تخطيطنا الاستراتيجى يعمل على حرمان العدو من هذه الميزة أو على الأقل اضعاف أثرها .

واهتمت اسرائيل أيضا بشبكة مواصلاتها الداخلية ومدتها بحيث تخدم جهدها الحربى . وقد توخت اسرائيل فى هذه الشبكة أن تخدم بكفاءة عالية فى نقل وحداتها المسلحة من جبهة من جبهات القتال العربية المحيطة بها الى جبهة أخرى بأكبر قدر من السرعة .

ولعل فى دخولنا مع سوريا فى دولة الاتحاد وقيام قيادة موحدة للقوات المسلحة المصرية والسورية أبلغ رد على التخطيط الاسرائيلى فى هذا الشأن . أن فاعلية الجهد العسكري الموحد بين سوريا ومصر

ضد اسرائيل ، لا تكون كاملة الا اذا خضعت العمليات كلها على الجبهتين لغرفة عمليات واحدة وقيادة واحدة .. لا تكتفى بالتعاون أو مجرد التنسيق .

ومن الجوانب النشطة فى الاستراتيجية الاسرائيلية ـ والاستراتيجية ليست مجرد الجهد الحربى ولكن كل الخطط التى تساعد على [illegible]يق الأهداف فى المدى البعيد ـ الحرص على اكتساب تعاطف الرأى العام العالمى معها ، بالادعاء دائما بأنها هى المعتدى عليها أو المعرضة للخطر .

ونستطيع أن نطمئن أنه بالنسبة لهذه النقطة بالذات ، حققنا فى الأيام الأخيرة ميزة واضحة على أسرائيل ، فنحن لم نترك سبيلا للسلام الا طرقناه ، وأبدينا الاستعداد بكل وضوح وفى شجاعة كاملة مع أنفسنا أساسا للدخول فى ترتيبات معقولة ـ ليس فيها أى تفريط فى حقوقنا ـ لانهاء هذا الوضع المشحون بالأخطار . ولا شك أن الضمير العالمى غير المغرض كله يقدر موقفنا الآن ، وينظر الى جهودنا لتحرير أراضينا واستعادة حقوقنا نظرته الى حركة تحرير وطنى تحظى بكل التأييد والاحترام .

لقد كان هذا المجال ـ وأعنى به الرأى العام العالمى ـ ساحة ترتع فيها اسرائيل وحدها وتمارس تأثيرها فيه بكل ما تملك من أساليب التضليل والتشويش على الحقوق . كانت اسرائيل تعتدى وتجد من يقف الى جانبها ليقول « ان اسرائيل قد وجدت لتبقى » رغم أن القضية ليست قضية بقاء ولكن قضية عدوان واضح لا يملك أى [illegible] ازاءه الا الادانة الوا[illegible] .

و[illegible] النقطة من استراتيجية اسرائيل ، وهى الارتباط الوثيق بدولة قوية والحصول على أكبر قدر من التأييد المادى والمعنوى منها ، من أهم معالم استراتيجية اسرائيل منذ قيامها ، وحتى قبل قيامها .

كانت بريطانيا تمثل التأييد من ايام وعد بلفور ، وفى سياسة حكومة الانتداب التي سمحت بالتوسع فى الهجرة اليهودية الى فلسطين . وظل هذا يد البريطانى لاسرائيل بعد قيامها واضيف اليه تأييد فرنسا الذى أتسع بصورة صارخة فى الخمسينات . وترتبط اسرائيل نفسها اليوم ارتباطا كاملا بعجلة السياسة الأمريكية التى أيدتها على الخط منذ قيامها .

واجابتنا الاستراتيجية على هذا الجانب من استراتيجية اسرائيل هى فى دعم علاقاتنا مع اوسع قاعدة ممكنة من دول العالم ، أن نجاحنا فى هذا المسعى يزيد من قدرتنا على مواجهة التحالف الأمريكى ـ الاسرائيلى ـ ويحقق لنا من تأييد هؤلاء الأصدقاء الذين يقفون الى جانبنا الآن مزيدا من العون يوازى تأييد الولايات المتحدة لاسرائيل ويبطل أثره فى الحسابات الدولية .

اما الولايات المتحدة فانه اذا لم تكن هناك جدوى للجهود التى بذلك لاقناعها بتصحيح موقفها المؤيد تأييدا كاملا لاسرائيل .. فان جهودنا والجهد العربى الشامل الذى يهدف الى تحييدها مستخدما كل وسائل الضغط على مصالحها فى المنطقة سياسيا واقتصاديا ، لابد أن تؤتى ثمارها ان عاجلا او آجلا . واذا لم تفهم الولايات المتحدة ذلك فلا تلومن الا نفسها .

اننا بهذا المنطق الذى يحسب كل جزئية فى استراتيجية العدو ويضع أسلوب مواجهتها ، قادرون على الدخول فى هذا التحدى الكبير . وهو تحد حضارى يراعى اعتبارات الجدية ويستشعر المسئولية ويرقى الى مستوى الموقف الخطير .

اننا بذلك نتعامل مع الموقف بما له من بعد تاريخى وعلى مستوى الأجيال .. ليس من وحى اللحظة ولا بحساب اليوم فقط .

إعــرفــــ عـــــدوك

وهنا لابد من تحذير ..
ان كل ما يصدر عن اسرائيل أو من اسرائيل لا يحمل بالضرورة «الحقيقة» كاملة . ان الكثير منه يتعمد لوى رقبة الحقيقــة أو تحريفها بهــدف احداث أثر معين .
ولذا فانه يجب ان نستقبله بهــذا الوعى وبهذا التنبه . وان كان ذلك لايمنع من ان نستخلص منه «الحقيقة» الخالصة التى يجب ان نبنى حساباتنا وخططنا عليها .

« ٨ يناير ١٩٧٢ » .

من ملامح الجدية التى أ [illegible] ـ والتى يجب أن تكون على الدوام ـ طابع نظرتنا الى التحدى المصيرى الذى نواجهه ، أننا نتعامل الآن مع القضية على أساس بعيد المدى وعلى مستوى الاجيال .. تماما كما يفعل العـدو ، الذى وضع مخططاته ضد أمتنا على أساس بعيد المدى .

وفى هذا الاطار .. فان من المهم أن نعرف دائما كيف يفكر العدو وما هى الدوافع التى تحركه والعوامل التى يعتمد عليها وجوانب القوة والضعف فيه .. نعرف كل ذلك دون تهويل أو تهوين ، أى الحقيقة بالضبط لكى نضع حساباتنا على أساس صحيح وبأقرب ما يكون الى الواقع .

ولعل القرار الذى اتخذ أخيرا بالسماح بتداول الكتب والمطبوعات التى تتحدث عن اسرائيل أو التى تصدر فى اسرائيل خطوة هامة فى هذا السبيل .

ان الاطلاع على ما يكتب فى العالم عن اسرائيل وعلى ما يكتبه الاسرائيليون أنفسهم ـ سواء كانوا فى الحكم أو المعارضة ـ أمر لازم ولا غنى عنه لمعرفة أسلوب تفكير العدو واتجاهات القاعدة العالمية التى يعتمد عليها فى مواجهته لنا .

وهنا لابد من كلمة تحذير .. ان كل ما يصدر عن اسرائيل أو من اسرائيل لا يحمل بالضرورة « الحقيقة » كاملة ، ان الكثير منه يتعمد لوى رقبة الحقيقة أو تحريفها بهدف احداث أثر معين . ولذا فانه يجب أن نستقبله بهذا الوعى وهذا التنبه ، وان كان ذلك لايمنع من أن نستخلص منه « الحقيقة » الخالصـة التى يجب أن نبنى حسباتنا وخططنا عليها ، وعليها وحدها .

والامثلة كثيرة على مدى الفائدة التى تعود علينا من الاطلاع على ما يكتب عن اسرائيل أو يصدر من داخلها من كتابات .

فى عام ١٩٦٥ كتب دافيد بن جوريون كتابا عن قصة قيام اسرائيل سماه « سنوات التحدى » وجاء فى هذا الكتاب فصل كامل عن حملة سيناء عام ١٩٥٦ .

وبطبيعة الحال تعمد بن جوريون تحريف الحقيقة تماما فيما يتعلق بالتواطؤ البريطانى الفرنسى مع اسرائيل فى هذه الحملة ، غير أن سرده لخطوط تفكيره فى العملية ـ وهو مهندسها الأساسى ـ كشف الكثير من اتجاهات الاستراتيجية الاسرائيلية ازاء مصر ، وخشيتها من أزدياد قوة جيشها ، وحرصها المستميت على توجيه ضربة خاطفة الى قواتها الجوية ، لتجريد هذا الجيش من غطائه الجوى بعد الانفراد به فى صحراء سيناء .

والمؤلم .. أنه بعد ذلك بعامين فقط ، نفذت اسرائيل هذه الاستراتيجية بحذافيرها فى معارك يونيو عام ١٩٦٧ التى سميت حرب الايام الستة ، وكان تصرف الجانب العربى فيها تصرف المفاجأ تماما بهذا الاسلوب ، وكأنه لم يسبق له خبرة به أو لم يكن لديه أدنى فكرة عن خطوط واتجاهات التفكير الاسرائيلى بهذا الشأن .

وبعد هذا النصر العسكرى الجديد الذى أهديناه لاسرائيل .. توالت الكتابات من المصادر الاسرائيلية ومن أصدقاء اسرائيل فى الخارج تحلل هذا النصر وتصف طبيعة المجتمع الاسرائيلى الذى يقوم أساسا على الاستعداد للحرب وعلى وضع كافة مرافق الدولة فى خدمة المجهود الحربى .

ومن بين هذه الكتابات كتاب هام ألفه ايجال آلون نائب رئيسة وزراء اسرائيل الآن ، والقائد السابق للهاجاناة التى تحولت يوم ١٥ مايو عام ١٩٤٨ الى أول جيش نظامى لاسرائيل .

يقول ايجال آلون فى هذا الكتاب .. أنه لا يوجد فى اسرائيل جيش وشعب ، فجيش اسرائيل هو شعبها كله ، ولكنه جيش فى اجازة ١١ شهرا كل عام .

اى أن كل انسان فى اسرائيل تحت السلاح .. يخدم فى وحدته بالجيش ، ويتلقى تدريباته بها ويعيش فيها شهرا كاملا كل عام .. أما بقية العام فيمارس حياته المدنية المعتادة .

وفى حالات الطوارىء فان هناك نظاما بالغ الكفاءة للتعبئة العامة ودعوة الاحتياط ، بحيث يكون كل فرد فى وحدته وفى موقعه أو فى الطريق اليه خلال ٢٤ ساعة من قرار التعبئة . وفى حالة التعبئة ايضا تقوم شبكة المواصلات المدنية بخدمة عمليات النقل العسكرى — وهى معدة خصيصا لذلك كما تتحول الصناعات المدنية الى صناعات حربية .

وبصرف النظر عما قد يكون فى هذه الأقوال من محاولات التباهى واظهار القوة ، فانها فى الواقع تحمل الكثير من « الحقيقة » عن عدونا الذى نواجهه والذى يجب أن نعرفه على حقيقته ، ليكون استعدادنا لمواجهته متمشيا مع هذه الحقيقة .

وفى هذه الفترة الاخيرة .. فترة ما بعد حرب ١٩٦٧ صدر ايضا كتاب هام للفيلسوف اليهودى الفرنسى مكسيم رودنسون بعنوان « اسرائيل والعرب » . ورغم أن الكاتب غربى ويهودى فان ادراكه السليم لحركة التاريخ ونظرته العلمية الواقعية للصراع ، هدته الى الخلوص الى نتيجة محتمة ، وهى أنه لا حق للصهيونية — فى الماضى أو الحاضر — فى اقامة دولتها المصطنعة وسط العالم العربى . فهؤلاء الاسرائيليون غرباء عن هذه الارض ، استوطنوها وأقاموا دولتهم بها بقوة السلاح وضد رغبة شعبها وشعوب المنطقة المحيطة بها ، ولا فرصة لهم على الاطلاق ، مهما طال الزمن ، فى أن يحظوا برضى عام من أهل المنطقة على وجود دولتهم بين ظهرانيهم .

وبعد .. فليس الهدف من هذا المقال سرد مختلف ا بات التى نكتب عن اسرائيل أو التى تصدر منها .. ولا حتى مجرد تلخيصها، فذلك يحتاج الى مجال أوسع . وأرجوا أن أقوم به ويشارك فيه غيرى فى المستقبل ، ولكن الذى أريد أن أقوله والذى استشهدت عليه بأمثلة بسيطة ، هو أن مصلحتنا تقتضينا أن نعرف عدونا جيدا، نعرفه من وا ومما يكتب عنه ومما يكتبه عن نفسه . لا يوجد ما نخشى معرفته أو نحاول اخفاءه على أنفسنا ، بل ان ذلك هو ا . والصحيح هو ما تقرر من فتح ا ل واسعا لمعرفة الحقيقة فعلى ضوئها الآن قراراتنا كلها .

كيف تنظر إسرائيل إلى عامل الزمن؟

تنظر اسرائيل الى عامل الوقت بصفة عامة على أنه عامل فى غير مصلحتها . فهى تدرك المفارقة الهائلة بين حجمها وحجم العالم العربى ، سواء من حيث المساحة أو عدد السكان . يضاف الى ذلك ان ازدياد نسبة التعليم فى البلاد العربية وارتفاع مستويات المعيشة فيها ودخول التكنولوجيا ، يحقق لها مزايا ((كيفية)) اذا أضيفت الى ما للعالم المصرى من ميزة ((كمية)) كان معنى ذلك أنه لن ينقضى وقت طويل حتى تكون البلاد العربية قد حققت تفوقا يمكنها من الدخول معها فى مواجهة قد تؤدى الى تدميرها .

((١٢ فبراير ١٩٧٢))

ستظل الدعوة الى معرفة المزيد عن العدو الاسرائيلى من أهم ملا مرحلة الجدية التى لا بديل لنا عنها فى ساحة المواجهة العريضة التى يدور فيها صراعنا المصيرى مع الصهيونية الدولية و ن الغريب الذى . " فى اقامته على الأرض العربية .

بل ان مجرد ادراكنا لاتساع ساحة المواجهة ولما لها من أبعاد دولية ومحلية ، تاريخية ومعاصرة .. هو فى حد ذاته علامة طيبة وايجابية فهى تعنى أن الأمة العربية التى خسرت الكثير بتهاونها أمام هذا التهديد الحقيقى والخطير ، قد تيقظت الى ضرورة تحويل هزائمها وخسائرها الى دروس ، وشعرت بحاجتها الى بداية جديدة جادة ، تستفيد فيها من كل شىء حتى من سلبيات ماضى المواجهة ، فى محاولة لانتزاع ايجابيات منها لمستقبل الصراع .

ولأن هذه الدعوة جادة ومتعقلة ، بل ولأنها ضرورة حتمية فى هذه المرحلة التى يكتسب فيها الصراع عوامل تشحنه بمزيد من الخطورة والحسم .. فقد أثارت صدى فوريا وعميقا ، تمثل فى قرار رفع الحظر عن الكتب التى تتناول الأوضاع فى اسرائيل وتلك التى تكتب بأقلام ساستها وزعمائها ، وكذلك فى العديد من البرامج الاذاعية والتليفزيونية والمقالات وعروض الكتب التى تنشرها الصحف ، وأخيرا فى المطالبة بادراج مادة التعريف بالعدو فى مناهج الدراسة ، على نحو ما حدث فى مجلس الشعب .

وليس المهم هو معرفة بعض الحقائق العامة عن الأحوال فى اسرائيل .. تعداد السكان أن أسماء الأحزاب واتجاهات الصحف وشكل الحكم أو النظام النيابى أو الحركة العمالية وأسلوب العمل والحياة فى القرى التعاونية « الكيبوتز » . وكذلك ليس المطلوب هنا ــ فى عملية استيعاب العقل العربى لحقائق عدوه ــ مجرد معرفة عدد الجيش العامل وقوات الاحتياط أو عدد الطائرات ونوعها وخصائصها أو غيرها من معدات القتال أو وسائل الاستعداد للحرب

كالصناعات الحربية الكاملة أو صناعات التجميع التى تعتمد على أجزاء رئيسية ترد اليها من الخارج .

ان وتلك حقائق ... الاحاطة بها بطبيعة ل ، بل ان الجزء الخاص بالمجهود الحربى لا بد وان يكون موضع اهتمام كبير وتفصيلى من الأجهزة المختصة بالمواجهة العسكرية ، ولكن الذى يجب الالمام به على نطاق واسع فى العالم العربى واستيعابه تماما ، هو كيفية تفكير العدو . ان هذا الفكر هو الذى يرسم له خطواته ويفرض عليه قراراته ويحدد أسلوبه فى ادارة الصراع معنا . وهذا هو أول ما يجب علينا معرفته .. للاستعداد له من ناحية ، ورسم خطتنا المضادة ووضع استراتيجيتنا على نحو يكفل احباطه وعدم تحقيق اهدافه من ناحية أخرى .

ولنضرب مثلا على أسلوب التفكير الاسرائيلى فى ناحية تعتبر من أهم جوانب المواجهة العربية الاسرائيلية فى ساحتها الشاسعة ، وبخاصة فيما لها من بعد تاريخى .. وهى عامل الوقت ..

تنظر اسرائيل الى عامل الوقت بصفة عامة على أنه عامل فى غير مصلحتها . فهى تدرك المفارقة الهائلة بين حجمها وحجم العالم العربى الذى تصارعه ، سواء من حيث المساحة أو عدد السكان . وهى تعلم أن معدل الزيادة الحالى فى عدد السكان العرب يزيد من اتساع الهوة بشكل كبير . يضاف الى ذلك أن ازدياد نسبة التعليم فى البلاد العربية وارتفاع مستويات المعيشة فيها ودخول التكنولوجيا ، يحقق لها مزايا « كيفية » اذا أضيفت الى ما للعالم العربى من ميزة « كمية » كان معنى ذلك أنه لن ينقضى وقت طويل حتى تكون البلاد العربية قد عوضت مزايا التفوق الاسرائيلى القائمة ، وانها لن تلبث حتى تحقق تفوقا يمكنها من الدخول معها فى مواجهة قد تؤدى الى تدميرها .

وبالاضافة الى ما لاسرائيل اصلا من نوايا التوسع واكتساب أراض جديدة بالقوة ، فان مثل هذا التفكير يحرك التخطيط

الاستراتيجي الاسرائيلي نحو العدوان .. أو ما تحرص على تسميته « بالمبادرة » الى العمل .

ويمضي التفكير الاسرائيلي على هذا النحو .. ان العرب الآن يحققون تقدما ملموسا فى هذه المجالات ، ولكن معدل التقدم فى التكنولوجيا العسكرية الحديثة أسرع وأكبر . والأسلحة الحديثة ـ بالغة التقدم والتعقيد ـ لا تستطيع استخدامها ولا الافادة منها الا أيد مدربة وصلت الى مستوى معين من التقدم العلمى والاجتماعى . وانه لذلك يجب حرمان العرب دائما من هذه الميزة ، بالمسارعة الى توجيه ضربة ساحقة الى كل ما يستطيعون حشده من سلاح حديث قبل أن تكون لهم القدرة على استخدامه بصورة فعالة . وأى جهد عربى يبذل استعدادا للمواجهة الحاسمة مع اسرائيل ، يرى التفكير الاستراتيجي الاسرائيلى أنه لا بد من اجهاضه بتوجيه ضربة شديدة العنف الى حشد السلاح العربى لتحطيمه قبل أن يكون العنصر البشرى العربى المتفوق من حيث الكم قد وصل الى درجة من التقدم الكيفى تحقق له التفوق فى المواجهة .

ولا يقف التفكير الاسرائيلى فى استغلاله لعامل الزمن عند هذه الحدود العسكرية البحتة .. انه يلعب ببراعة أيضا هذا العامل فى مجالات أخرى عالمية ومحلية .

ففى المجال الدولى نجده يعمد الى استخدام هذا العنصر ـ الذى يعتبره أصلا ضده ـ لمصلحته ، مستفيدا من حقيقة أن تراكم الأيام على أى وضع يكسبه صفة « الأمر الواقع » وبالتالى تتوه (أصول) هذا الوضع عن أعين الضمير العالمى ولا يبقى أمامه سوى (الراهن) الذى يجده أمامه .. فيأخذه على أنه من المسلمات . وبذا يضيع الحق فى جو النسيان وجو الحرص على عدم اثارة النار من تحت الرماد البارد .

وفى المجال المحلى تعمـد اسرائيل الى استخدام عنصر الزمن لصالحها فى الأراضى المحتلة عن طريق خلق مصـالح لسكان هـذه المناطق فى ظل الأوضاع الجديدة وخلق عادات حياة وعلاقات عمل مرتبطة بهذه الأوضاع .

هكذا يؤدى تتبع التفكير الاستراتيجى الاسرائيلى — من واقع كتابات زعماء اسرائيل وساستها انفسهم — الى تفسير وفهم الكثير من الظواهـر فى اتجـاهات سياستها وتحـركها .. أو رفضهـا التحرك !

وبهذا الفهم يستطيع العرب أن يرسموا استراتيجتهم المضادة ، وأن يحرموا اسرائيل من ميزة استغلال عنصر الوقت لصالحها .. لأنه أصلا فى جانبهم ، ... صة ما تخشاه اسرائيل من الوقت هو أن يستخدمه العرب على وجه حضارى . فهو بذلك يتفاعل مع غيره من عناصر القوة العربية ليعطى العرب تفوقا أكيدا يقف فى وجه كل مشروعات اسرائيل وأ... عها فى المنطقة .

الحوار مع العدو

التعامل الوحيد بيننا وبينه هو أن نحاربه .

وحتى عندما لا نحاربه فى وقت من الأوقات ، فان المبرر الوحيد لذلك هو حرصنا على أن نحاربه – عندما نحاربه – على نحو أفضل وبصوره مجدية وبأكبر ضمان ممكن لتحقيق نتيجه ، ان لم تكن فى صالحنا على طول الخط كما نرجو ، فلن تكون أبدا فى صالحه كما حدث فى مرات سابقة .

« ٤ مارس ١٩٧٢ »

[illegible] اصوات ار[illegible] فى الايام [illegible]خيرة تتحدث عن مسالة « الحوار مع الأعداء » ..

صوت يطالب بالمشاركة والحوار فى محافل تمثل فيها الصهيونية العالمية ومع شخصيات تنتمى الى اسرائيل ! .. بعضها يعتبر من زعماء الحركة الصهيونية مثل ناحوم جولدمان رئيس المجلس اليهودى العالمى الآن والرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية .

وصوت يطالب بالحوار مع أطراف أخرى بعضها شديد التحيز لاسرائيل والتأييد لها كالولايات المتحدة الأمريكية .

أما الصوت الثالث فهو يدين الصوتين السابقين ويصفهما بأنهما يصدران من ينبوع حكمة واحد .

ولأن الأمر بالنسبة للقضية التى نعيشها جدى وخطير ، ولأن تحديد أسلوبنا أو أساليبنا فى المواجهة له أكبر الأهمية وعلى ضوئه ستتقرر خطواتنا التى سيكون لها أثرها لا على مستقبل الصراع وحده ، ولكن الى مصير الأمة العربية كلها ..

لذلك فانه من الواجب أن نعالج هذا الموضوع بتأن ، والا نكتفى فيه بالاحكام العامة أو المتعجلة .

من المهم مثلا أن نفرق بين العدو الأساسى ، ذلك الذى فرض علينا القتال معه لأن صراعنا معه قدر ومصير ، فكل مشروعاته ونواياه ومصالحه تتصادم صداما مباشرا مع مصالحنا ومستقبل أمتنا .. والعدو الذى يكتسب تناقضه معنا فى الظروف الحالية ابعادا كبيرة من حقيقة أن عدونا الأساسى تفوق علينا فى جذبه الى معسكره ونجح بالتالى فى تصعيد العداوة بينه وبيننا حتى وصلت الى ذرى بعيدة .

العدو الأساسى لا يمكن ان يكون بيننا وبينه اى نوع من الحوار او اى شكل من اشكال التعامل .

التعامل الوحيد بيننا وبينه هو أن نحاربه .. وحتى عندما لا نحاربه فى وقت من الأوقات ، فان المبرر الوحيد لذلك هو حرصنا على أن نحاربه ـ عندما نحاربه ـ على نحو أفضل وبصورة . ية وبأكبر ضمان ممكن لتحقيق نتيجة ، ان لم تكن فى صالحنا على طول ا ' كما نرجو ، فان تكون أبدا فى صالحه كما حدث فى مرات سابقة عندما حقق من انتصاراته العسكرية مزايا استراتيجية من شأنها أن تجعل فرصته أكبر فى أى جولة تالية ..

كذلك فنحن لا يمكن أن نسمح لأنفسنا بأن نقع فى الفخ الذى ينصبه لنا التخطيط الصهيونى الماكر باظهاره أن هناك أصواتا داخل اسرائيل أو فى دوائر الحركة الصهيونية العالمية تلتقى مع الحق العربى ، وبالتالى تنادى أصوات عربية بالحوار أو التفاهم معها !

ولقد تتذرع هذه الأصوات العربية الغريبة بما يحرص التخطيط الصهيونى على اظهاره من خلافات فى الرأى بين هذه العناصر الصهيونية داخل اسرائيل أو خارجها ، وسياسة حكومة اسرائيل .

وحتى مع افتراض أن هذه . ' فات جادة وحقيقية وليست صورية يقصد بها ايقاعنا فى هذا الفخ فضلا عما فيها من كسب مزيد من التصديق العالمى لدعوى الديمقراطية فى اسرائيل .. فان الحقيقة التى يجب الا يخدع فيها عربى واحد هى أن أى خلافات فى معسكر اسرائيل والصهيونية العالمية ـ وهما شىء واحد ـ تنطلق أساسا من مصلحة اسرائيل ، وتدور حول أفضل الوسائل لتحقيق ا ' الصهيونى البعيد المدى ، أى انها خلافات بين الشركاء فى مؤامرة حول انسب وأجدى الطرق لتنفيذها .. على حساب الضحية بطبيعة ا ل ، أى على حساب مستقبلنا وحقو ' .

أما الحوار بين العرب والدول الأخرى التى تناصر اسرائيل وتنحاز اليها بدرجات متفاوتة ضدنا ، فان الأمر بالنسبة له يختلف تماما .

ان الحوار هنا يتسع ليشمل جميع جوانب التعامل .. أو حتى عدم التعامل ، اذا دلت تقديرات استراتيجية سليمة وحسابات دقيقة ان ذلك فى مصلحتنا . ان أسلوبا معينا من الضغط على المصالح ـ بتهديدها فعلا أو بالتلويح بتهديدها ـ تنصح به دراسات مستفيضة ومتانية ، هو بلا شك نوع من الحوار الجاد والمثمر مع هؤلاء الأعداء ، يهدف الى ارغامهم على اعادة تقدير موقفهم واعادة حساباتهم ـ بوحى من مصالحهم على المدى البعيد ـ مما قد يؤدى الى التخفيف من موقفهم العدائى لنا أو المغالى فى تأييد اسرائيل .

وفى جميع الأحوال فان الحوار المطلوب ، هو حوارنا مع أنفسنا .. يجب أن يسأل العرب أنفسهم لماذا انهزموا وهم كثرة ساحقة ، وهم أصحاب حق . ولماذا انتصرت القلة الباغية وكيف نجحت فى الحصول على ما كسبته من تأييد خارجى رغم عدوانها الظاهر .

ان الاجابة أو الاجابات التى سنخرج بها من هذا الحوار مع النفس الذى هو فى النهاية نوع ضرورى من نقد الذات ، وهى التى سترسم لنا خطواتنا المستقبلة سواء فى تعاملنا مع الموقف محليا ، أى هنا على أرضنا ، أو مع العالم الخارجى كله بلا استثناء .

ضمير الأمة العربية .. وإذابة الثلوج

والدول العربية كلها .. مطالبة بأن تدرك أن وحدة مصيرها قدر لا مفر منه . وأن ما يمس أى جزء منها يمس الباقى بالضرورة . وانه لا أمل لها ـ سواء فى معركة التقدم أو فى الجولات المقبلة من الصراع ـ الا فى وحدة العمل وتنسيقه ان لم يكن بالوحدة الكاملة .

« ١٠ يونو ١٩٧٢ »

أهم عبرة خرجنا بها من درس الهزيمة التى منينا بها فى مثل هذا الأسبوع منذ خمس سنوات ، والتى كنا قد اصطلحنا على تسميتها بالنكسة ، هى أننا قد أصبحنا فى حاجة ملحة الى مراجعة شاملة للكثير من أوضاعنا وأساليب عملنا .. بل ولأسلوب تفكيرنا ذاته .

ان الكثير من أحوالنا الذى كان (محل نظر) قبل النكسة ، أصبح بعدها مباشرة وبسببها (موضع قلق شديد) . لقد كانت الهزيمة القاسية انفجارا هائلا فى أعماق كياننا ، فجر الحقيقة نفسها وقذف بها الى السطح ، فغدا واضحا .. أن الكثير من جزر الثلوج التي كانت تلاحظ طافية على صفحة الحياة العربية ، هى فى الحقيقة مجرد قمم صغيرة لجبال جليد ضخمة غرست نفسها فى أكثر من موضع من مواضع هذه الحياة .

بعد النكسة ، وبما كشفته من حقائق ، لم تعد الملاحظة ولم يعد القلق مقصورين على مستوى الاداء وأسلوب التنفيذ ، ولكن الخطوط العامة للتفكير أصبحت هى الأخرى فى حاجة الى امعان النظر .

ان نتيجة المواجهة العسكرية بين الأمة العربية والعدو ــ سواء فى صحراء سيناء المصرية ، أو مرتفعات الجولان السورية أو فيما تبقى من الأرض الفلسطينية ، كانت صدمة شديدة لضمير الامة العربية كلها ، لا بسبب الهزيمة وحدها ، ولكن بسبب حجم الهزيمة والسرعة التى انتهى بها الأمر كله .

وكان الضمير العربى الواعى ، المشفق على مستقبل هـذه الأمة ، يتوجس الكثير من المخاوف من قبل النكسة ، لأنه كان يدرك حجم المؤامرة المعادية وخطورتها من ناحية ، ويعرف درجة التهاون والتفريط العربى والكثير من سلبيات المعسكر العـربى من ناحية أخرى .

وبالنكسة .. بالهزيمة غير المعقولة ، ...... مخاوف الضمير العربى ، ولم يعد قادرا على تخدير نفسه أو خداعها أو تعليلهـا بالأمانى ، معتمدا على كل ما تملكه الأمة العربية من مزايا ضخمة توفر لوضعها تفوقا حاسمة على وضع عدوها ..

الرقعة الجغرافية الهائلة ذات الامتداد الشاسع عرضا وطولا ، حيث يمتد خطها العرضى من محيط تلامس مياهه شواطىء نصف الكرة الغربى .. الى خليج يشرف على أواسط آسـيا ، ويرتفع خطه الطولى الى ما فوق مدار السرطان ، ويهبط الى ماتحت خط الاستواء .. « بينما يعيش العدو فى شريط ضيق من الأرض، ظهره الى البحر ومحاصر من العرب من كل الجهات » .

وعلى هذه الأرض الفسيحة تعيش خمس عشرة دولة أو وحدة سياسية ، تتحدث لغة واحدة وتنتمى الى تراث واحد او متقارب وتعلن أهدافا واحدة وتضمها كلها منظمة اقليمية واحدة ، وتحلم بأمل واحد هو الوحدة أو الاتحاد أو التنسيق او أى صورة من صور العمل المشترك .. « بينما اسرائيل مجتمع متنافر لاينتمى الى تراث واحد ، ولم يكن أفراده قبل أن يسكنوا هذه الأرض .. يتحدثون لغة واحدة » .

وبالنسبة للمورد البشرى والطبيعى .. يعيش على الأرض العربية حوالى مائة مليون انسان ، ويكمن فيها أكثر من نصف الاحتياطى العالمى للبترول ، وبها من الأنهار الكبرى والأراضى الصالحة للزراعة ومن المعادن ما يوفر لها الإكتفاء الثابت والدائم لاحتياجاتها الأساسية .. « بينما اسرائيل لا بزيد تعدادها على المليونين ونصف المليون — بينهم ما يقرب من مليون عربى — اما مواردها الطبيعية فهى فقيرة الى درجة اليأس ولا تستطيع الحياة الا بالاعتماد على معونة خارجية لا تنقطع » .

كل هذه المزايا فى الوضع العربى مقارنا بوضع اسرائيل ، لم تفلح بعد النكسة — كما كانت تفعل قبلها — فى تهدئة مخاوف الضمير العربى أو بث الطمأنينة فيه بالنسبة لاحتمالات المستقبل ، لأنها — حتى الآن — لم تنجح فى جلب النصر للعرب أو حتى تجنيبهم الهزيمة القاسية .

لقد فجرت الهزيمة حقائق ، فرضت نفسها سواء رضينا بها أم لم نرض . وليس لنا بعد اكتشافها الا أن نواجهها .

وأهم هذه الحقائق .. ان أسلوب الحياة العربية — سواء فى التفكير أو فى الاداء .. فى التخطيط أو التنفيذ — لم يكن الأسلوب الصحيح لمواجهة أو ادارة الحياة المعاصرة ، فضلا عن مواجهة وادارة التحدى الكبير الذى فرضه علينا وجود اسرائيل على أرضنا بكل ما ينطوى عليه هذا الوجود من نوايا المزيد من التوسع ، ومن أهداف ومصالح متشابكة ومتداخلة مع أهداف ومصالح الامبريالية

العالمية ، التى تتناقض بالطبيعة مع مصالحنا الوطنية ومبادئنا ، ولا مفر من الصدام بينها وبيننا .

ولقد كثرت التفسيرات والتحليلات للمسألة المريرة . . وهى أننا هزمنا رغم ان الحقائق الظاهرة للموقف لم تكن تؤدى الى هذه النتيجة غير المعقولة ولا المتوقعة .

ولعل ما يقال من ان الجانب العربى ــ رغم تفوقه الواضح ــ هزم لأنه لم يعرف كيف يواجه الصراع ولأنه لم يتعلم كيف يديره .. هو أقرب تفسير الى الحقيقة ، وان لم يكن الحقيقة كلها .

ان تحسين أسلوبنا فى التصدى للصراع مطلوب وضرورى ، ولكن تحسين أسلوبنا فى مواجهة الحياة أبدى وأهم . بل اننا لن نستطيع مواجهة الصراع وادارته بفاعلية اذا لم نبذل جهدا جادا لمواجهة الحياة كلها وادارة شئوننا كلها .. بأسلوب أفضل .

وهذا الجهد مطلوب فى كل دولة عربية على حدة ، ومن الدول العربية مجتمعة .

أسلوب الحياة ، والعمل داخل كل مجتمع عربى ، يحتاج الى الكثير من التغيير . المجتمعات العربية تحتاج الى اعادة صياغة حياتها فى شكل قدر أكبر من الديمقراطية والمشاركة الشعبية فى اتخاذ القرارات ، ومن التعليم ومن السلوك الحضارى ، ومن التكافل الاجتماعى ، ومن الاحساس العام لا الفردى .. وقدر أقل من الأساليب والمشاعر المتخلفة ومن الاسراف والبذخ الذى لايتفق

مع روح العصر ، ومن الفساد الادارى ومن العشوائية فى التخطيط والتعثر فى التنفيذ .. ومن التواكل والاغراق فى الغيبيات .

والدول العربية كلها .. لبة بأن تدرك ان وحدة مصيرها قدر لا مفر منه ، وان ما يمس أى جزء منها يمس الباقى بالضرورة، وانه لا أمل لها ـ سواء فى معركة التقدم أو فى الجولات المقبلة من الصراع ـ الا فى وحدة العمل وتنسيقه ان لم يكن بالوحدة الكاملة .

واذا كانت النكسة قد كشفت جبال جليد من العوائق التى تعترض مسار أمتنا ، كان لا يبدو منها قبل النكسة الا قممها الصغيرة التى تطفو على السطح .. فقد آن لنا ـ بعد الدرس ـ ان نحطم هذه الجبال ونذيب كل الثلوج . لنطهر مسار ملاحتنا فى عالم عاصف بالأمواج والتيارات والأنواء .

الساخن والبارد
بيننا وبين إسرائيل

ان صراعنا مع اسرائيل هو الصدام الحتمي بين ارادة الغاصب المعتدى ، وارادة المعتدى عليـــه . وما دامت ارادة المعتدى مصرة على الاغتصاب ، فان ارادة المعتدى عليه ستظل مصرة على التصدى .

انه اذن صراع اقدار ومواجهـة من كل الأجيــال وفى كل الأوقات ..

« ٣ مارس ١٩٧٣ »

حاول موشى ديان استغلال العمل الاجرامى الذى قامت به اسرائيل عندما أسقطت طائرة ركاب عربية ضلت طريقها فوق أرض عربية تحتلها القوات الاسرائيلية .. للترويج لمطلب اسرائيلى قديم واحيائه ، وهو انشاء « خط ساخن » بين اسرائيل والعواصم العربية !

وتتعلل اسرائيل فى هذا المطلب بأنه منعا لحدوث أى سوء فهم بين الجانبين ، أو خطأ أحدهما فى تفسير أى تصرف أو تحرك قد يقوم به الآخر ، فانه يجب أن يكون هناك اتصال مباشر وسريع بينهما ، يتيح لهما التعرف الفورى على نوايا بعضهما ، بحيث لا يتسرع أحدهما الى عمل قد لا يكون فى الأحداث الجارية ما يوجبه أو يبرره . !

ويمضى المنطق الاسرائيلى على هذا النحو .. اذا كانت الدول الكبرى مثل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، قد اقتنعت بجدوى الخط الساخن ـ بل وضرورته ـ وأقامته بينهما تفاديا لحدوث صدامات أو كوارث لا مبرر لها ، لمجرد أى خطأ فى التقدير أو سوء فهم للنوايا ، فلماذا لا يقام مماثل بين العرب واسرائيل من أجل الهدف نفسه !

والمغالطة الاسرائيلية هنا واضحة وصارخة .. فان ما اصطلح على تسميته « الخط الساخن » أو التليفون المباشر بين وشنطن

موسكو ، مسألة مختلفة تماما ، وهى عمل مفهوم فى اطار الأوضاع السائدة بينهما ونوع العلاقات أو التناقضات القائمة بينهما واستراتيجيتهما الكونية ودرجة تأهب كل منهما للرد الفورى على الاعتداء وتوجيه الضربات المضادة ، وبالاجمال « سياسة الردع » بالأسلحة غير التقليدية التى أصبحت أساس التوازن العسكرى الدولى ، والتى تجعل من المستحيل حدوث مواجهة عسكرية بين هاتين القوتين المتخمتين بوسائل ومعدات الدمار الشامل . والأمر ليس كذلك بين العرب واسرائيل ــ لا من حيث نوع العلاقة أو التناقض القائم بين الطرفين ولا بالنسبة لسياسات الردع عندها ولا نوع الأسلحة المستخدمة فى المواجهة .

ان فكرة التليفون المباشر بين موسكو ووشنطن قامت على أساس حقائق جغرافية ــ استراتيجية وأوضاع سياسية ليس فى وسع أى منهما انكارها أو تجاهلها .

كل من الطرفين يملك قوة تدميرية تكفى للقضاء على الآخر قضاء تاما .. وهذه القوة غير تقليدية ، أى نووية وميكروبية وكيميائية .

وكل منهما يملك وسائل نقل هذه القوة التدميرية الى أقصى ركن من أرض الطرف الآخر فضلا عن مراكزه الحيوية بطبيعة الحال .

وسائل النقل هذه من التقدم والكفاءة بحيث يصعب بل ويستحيل تحديدها تمهيدا « لاخراجها من العمل » عند ظهور

بوادر تهديد قادم منها .. كيف يمكن مثلا معرفة مكان غواصات الصواريخ بولاريس الأمريكية التى تجوب أعماق المحيطات وقذائفها موجهة أبدا الى أهدافها المقررة ، أو منصات اطلاق الصواريخ السوفيتية عابرة القارات المركبة على قطارات تتحرك طول الوقت على اتساع الأراضى السوفيتية الشاسعة .

بسبب العامل الجغرافى فان هناك مسافة زمنية لابد أن تستغرقها عملية نقل الرءوس المدمرة من مواقع اطلاقها عند أحد الأطراف التى أهدافها لدى الطرف الآخر .. وهو ما يجعل لكل جزء من الثانية قيمته الضخمة فى عملية المواجهة المرعبة هذه .

يترتب على ذلك كله أن يكون لعملية اكتشاف الهجوم أهميتها البالغة ، ويتصل بذلك ولا يقل عنه أهمية « التأكد » من الهجوم أو التيقن بأن ما اكتشف هو هجوم حقيقى وليس وهميا ، وبعبارة أخرى عدم الوقوع فى الخطأ القاتل المبنى على سوء فهم النوايا ، لأن جهاز الردع قد يتحرك فوريا وتلقائيا دون أن يكون هناك داع حقيقى ، مستفزا بالضرورة ردود فعل مضادة ..وتترتب الآثار المدمرة كلها لمجرد خطأ فى التقدير أو سوء فهم النوايا .

هذا الوضع المرعب هو الذى أثار قلق الاستراتيجيين ومخاوفهم ودعاهم الى البحث عن وسيلة لتجنب الكارثة غير المبررة وتفادى حدوث الصدام لمجرد الخطأ فى التعرف على النوايا أى سوء الفهم او التقدير .

وهذا الوضع نفسه هو الذى ألهب خيال الكتاب فكتب أحدهم

قصة طريفة عن الاكتشاف اجهزة الانذار المبكر لهجـــوم انطلقت قذائفه المدمرة من احد الطرفين على الطرف الآخر ، وما يتبع ذلك من تحرك جهاز الردع ، كاتجـاه قاذفات « القيـــادة الجـــوية الاستراتيجية » بما تحمله من شحنات الرءوس النووية الى أهدافها المحددة .. ثم الاكتشاف أن الهجوم المزعوم لم يكن الا نتيجة خطأ وقعت فيه أجهزة الانذار ! وأن الأهداف الرئيسية بما في ذلك المدن الكبرى فى الدولتين ، على وشـك الدمار لمجـرد أن أحدهما كان ضحية خطأ فى التقدير ولم يمكنه التعرف على حقيقة نوايا الطرف الآخر !!

من هنا نشأت فكرة « الخط الساخن » أو التليفون الـذى يرفعه الرئيس الأمريكى فى مكتبه بالبيت الأبيض ، فيرد عليه فورا ومباشرة قادة الاتحاد السوفيتى فى الكرملين .. والعكس . وهى مسألة تنظيمية تمت فى اطار نوع العلاقة أو شكل المواجهة بينهمـا والحقائق الجغرافية ـ الاستراتيجية التى يعيشان فى ظلها ، ونوعية السلاح الذى تحفل به ترسانة كل منهما .

أما بين العرب واسرائيل فان الأمر يختلف بصورة أساسية . فالمواجهة العربية الاسرائيلية ليست مثل المواجهـــة الأمريكية السوفيتية . والصراع يختلف فى أصوله ومجالات ممارستهوأهدافه ووسائله .

ان احدا من طرفى قة او المواجهة السوفيتية الأمريكية ، لم يحتل جزءا من ارض الطرف الآخر ، ولم يقم فيها كيانا لنفسه

مستندا الى « حق الفتح » .. وهو ما اسرائيل فى الأرض العربية

أنهم فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى لا يفكرون فى توسيع رقعة أقاليمهم على حساب أراضى بعضهم .. وفى حالتنا فان اسرائيل مدت خطوطها أكثر من مرة منذ قامت حتى الآن على حساب أرض عربية وهى لا تنكر أو تحاول اخفاء رغبتها فى التوسع ـ حتى فى اطار تسوية عامة ـ مصرة أن أمنها لا يتحقق الا بتعديلات فى الحدود ، تكسبها مزيدا من الأرض .

كذلك فان نوعية السلاح المستخدم فى المواجهة العربية الاسرائيلية تختلف عنها فى المواجهة السوفييتية الأمريكية ـ اذا كانت هناك مواجهة بينهما على الاطلاق . فالذى فرض وضع التليفون المباشر هو وجود الأسلحة غير التقليدية لدى الطرفين واحتمال استخدامها ، وهى تستخدم بالوسائل غير التقليدية أيضا .. كالصواريخ الناقلة التى يستحيل السيطرة عليها بعد اطلاقها .

والأسلحة غير التقليدية ـ النووية والكيميائية والميكروبية ـ أمر غير وارد فى الصراع العربى الاسرائيلى .. على الأقل حتى الآن .

والأهم من ذلك كله أن حقائق المواجهة الأمريكية السوفييتية تختلف اختلافا أساسيا عن المواجهة العربية الاسرائيلية ، ولى تجرى فى مجالات تتراوح بين التنافس العسكرى والاقتصادى ، والصراع على مناطق النفوذ بمعناه العام ، أو حرص كل منهما على ابعاد نفوذ الآخر عن مناطق .. كما تمتد مجالات هذه المواجهة

وتتسع وتتشعب بحيث قد تدور فى نطاق التعاون بين البلدين ، أو العمل معا على مواجهة خصم مشترك .

وليس هذا هو الحال فى المواجهة العربية الاسرائيلية .
أن صراعنا مع اسرائيل هو الصدام الحتمى بين ارادة الغاصب المعتدى وارادة المعتدى عليه . وما دامت ارادة المعتدى مصرة على الاغتصاب ، فان ارادة المعتدى عليه ستظل مصرة على التصدى .
انه اذن صراع أقدار ومواجهة من كل الأجيال وفى كل الأوقات .

والغريب أن اسرائيل تعرف ذلك كله ، وتعرف أن العرب لن يقيموا بينهم وبينها خطا ساخنا ولا باردا ولا أى نوع من أنواع الاتصال .. ومع ذلك فهى تحاول استغلال حادث الطائرة للعودة الى ترديد مطلب مرفوض شكلا وموضوعا بدعوى أنه لو كان هناك مثل هذا الخط المباشر لتغير الحال ولما قامت اسرائيل بضرب الطائرة المنكوبة ولا قتلت مائة من الأبرياء .

خلاصة الأمر أن اسرائيل تريد أن تستفيد من جريمتها البشعة ، التى أدانها عليها أصدقاؤها أنفسهم ، والتى لم تجد رأيا واحـدا مهما كان متعاطفا أو صديقا لها يقبل تبريراتها لها أو يصدق أكاذيبها ومنطقها الأعرج بشأنها .

وقديما قال حكماء القانون .. أن الملوث لا يستفيد بخطئه ، واسرائيل الملوثة مجددا بدماء مائة من الأبرياء تريد أن تستفيد بذلك فى كسر نطاق المقاطعة العربية الشاملة من حولها ، وهى مقاطعة أجيال .. وجزء من صراع أجيال ، ولن تنجح اسرائيل فى اختراقها بخط ساخن أو بارد .. أو حتى فاتر !

ضرب جنوب لبنان.. هل هو انتقام لميونيخ؟

أما العرب .. حكومات وشعوبا ومنظمات فدائيه ، فان عليهم أن يفوتوا على اسرائيل أغراضها ، بأن ينهضوا الى استخدام كل ما فى أيديهم من طاقات ، وكل ما أبيح لهم من ظروف، فى تحريك واع ومحسوب فان كل يوم يمر سيحقق لاسرائيل تنفيذ جزء آخر من مخططها . أى سيزداد الموقف صعوبة !

« ٢٣ سبتمبر ١٩٧٢ »

التحدى الذى يواجهه الآن العرب جميعا ـ حكومات وشعوبا ومنظمات مقاومة ـ خطير وجسيم ، . ـ ^ يحتاج من الجميع الى أقصى درجات الحرص والجدية ودقة الحساب ، فى التعامل مع هذا الموقف المصيرى البالغ الدقة ، وحتى لا تكون تحركاتنا (أو تقاعسنا عن الحركة) مساهمة من جانبنا فى نجاح المؤامرة الصهيونية المطبقة علينا ودفعا لها الى بلوغ أهدافها النهائية وفق برنامجها الزمنى الموضوع لها بعناية .. أو حتى قبل مواعيدها المحددة !

وأولى درجات الجدية فى معالجة الموقف هى أن نعرف جيدا وعلى وجهالتحديد مرامى المؤامرةالصهيونية وأبعادها الاستراتيجية وكذلك خطواتها المرحلية أى تطبيقاتها التكتيكية .. هذا بالنسبة لعدونا . أما بالنسبة لأنفسنا فيجب أن نعرف أبعاد قدرتنا ومدى ما نملك من وسائل التصدى لهذه الغزوة الاستعمارية ، لأن ذلك ضرورى لحسن توظيف ما لدينا من طاقات وامكانيات ــ وهى كثيرة ــ قبل ان يفوت الأوان لاستخدامها على الاطلاق .

ونحن نعرف أهداف المخطط الصهيونى بعيد المدى فى وطننا العربى .. نعرف أنهم يريدون اقامة دولة لهم تمتد من الفرات الى النيل كما تشهد اللافتة التى وضعوها على واجهة برلمانهم (الكنيست).

ان هذا هو هدفهم البعيد ، ويدخل فيه بطبيعة الحال أملهم فى أن تكون لهذه الدولة السيطرة التامة على المنطقة العربية كلها (من الخليج الى المحيط) يتحكمون فى مقدراتها ويوزعون عليها الادوار، ويوجهون اقتصادها ونشاطها الانسانى كله بما يخدم ازدهار دولتهم ويجعل منها قوة كبرى فى العالم كله .. لا فى المنطقة وحدها !

هذه بكل صراحة .. هى حقائق الموقف من وجهة نظر المخطط الصهيونى ، بل ان زعماء الحركة الصهيونية لم يحاولوا اخفاءها أو التستر عليها ، ولقد صدرت منهم التصريحات وخرجت الكتب

التى تؤكد ذلك ولا تنفيه ، وهو الخطير فى الأمر .. لأنه دليل على أنهم أصبحوا يرون أن المرحلة ا لية فى مخططهم هى مرحلة الخروج الى ق نية وان الظرف قد أصبح مهيأ لهم لكى يتبجحوا بما كانوا يحرصون على عدم الجهر به فى مراحل سابقة من عمر خطتهم الذى يزيد الآن على سبعين عاما !

وهجوم اسرائيل الأخير على جنوب لبنان يحمل أكثر من دليل على ذلك . ان المسألة لم تعد مجرد ضرب قواعد العمل الفدائى كما كانت اسرائيل تدعى من قبل .. ليست (تأمين الحدود) كما كان زعمها فى كل عدوان سابق وفقا لما كانت تسميه نظرية « الدفاع النشط » التى تقول فيها ان قواتها ــ دفاعا عن أراضيها ــ تخرج الى ملاقاة القوات المهاجمة وتتبعها الى قواعدها وتضربها حتى وهى فى عقر دارها .

ليس هذا الادعاء صحيحا بأى شكل من الأشكال ولا يمكن ان ينخدع به أحد .

فلم تكن حدود اسرائيل عرضة لأى هجوم فى الأيام الأخيرة من ناحية جنوب لبنان ، وعلى فرض أنه كان هناك أى نوع من أنواع القصف أو العبور الفدائى من هذه الناحية ، فان حجمه لم يكن يبرر الهجوم الاسرائيلى الذى تم على مستوى لواء كامل وخمس كتائب ومئات الطائرات القاذفة المقاتلة .

كذلك فان عملية ميونيخ لم تستفز هذا الهجوم كما تدعى اسرائيل ، ولكن الحقيقة هى ان اسرائيل « استغلت » العملية بكل ما كان لها من صدى عالمى كتوقيت ملائم لبدء عمليتها التى تتوخى من ورائها أهدافا تقع فى صميم مخططها البعيد وتكتيكاتها المرحلية .

ان احتلال جنوبى لبنان جزء أصيل فى المخطط الصهيونى ، وقد ورد النص على ذلك فى جميع المشروعات الصهيونية السابقة على قيام دولة اسرائيل .

فقبل صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ بتأثير النفوذ الصهيونى فى بريطانيــا أصدرت لجنــة « فلسطين » البريطانية نشرة تضمنت تصورها لحدود الدولة التى وعدت بريطانيا بها اليهود كوطن قومى لهم على النحو التالى :

« ان الحـد الطبيعى الاستراتيجى للدولة الجـديدة .. هو القطاع الضيق الذى يقع شمالى صيدا الى أقصى جنوب لبنان . والحد الطبيعى الآخر هو وادى البقاع » .

كذلك كتب كل من اسحق بن زفى أول رئيس لدولة اسرائيل ودافيد بن جوريون أبيها الروحى ، مقالا بعنوان « حدود فلسطين ومساحتها » جاء فيه أن الحـد الشمالى للدولة الصهيونيــة هو جبل لبنان .

وفى مؤتمر السلام الذى عقد فى نهــاية الحرب العالمية الأولى كانت مطامع الحركة الصهيونية فى جنوب لبنــان أهم مطالبهــا من المؤتمر ، وفى المذكرة التى تقـدم بها هربرت صمويل أول مندوب سام بريطانى فى فلســطين الانتداب وهو يهــودى صهيونى ، الى المؤتمر ، طالب بادخال ضفتى الليطانى والحد الشمالى لمنابع نهر الأردن ضمن حدود الوطن القومى الذى سيعطى لليهود .

وهذا الحرص من المخطط الصهيونى على ضم جنوب لبنان الى الأرض المغتصبــة ، تفسره حاجة اسرائيل الى الميــاه ، الى جانب الاعتبارات الاستراتيجية الأخرى .

المسألة اذن هى أن اسرائيـل استغلت ميونيخ للتمهيد لتنفيذ جزء آخـر من مخططها البعيــد ، ويؤكد ذلك ما ذكرته « معاريف » المعبرة عن وجهة نظر الحكومة الاسرائيلية اخيرا ، من انه اذا لم تنجح الغارة فى ابعاد قواعد الفدائيين من جنوب لبنان ، فان الجيش الاسرائيلى ســيعود الى احتلالهــا ولن يخــرج منها هذه المرة !

حقيقة ان ضرب العمل الفـدائى هدف فى حـد ذاته ، وأن اسرائيل تريد اجبار لبنان على القيام بالمهمة نيابة عنها .. ولكن الحقيقة الأهم هى ان اسرائيل تحاول استغلال ما تعتبره ظرفا مواتيا لتنفيذ مراحل جديدة من اهدافها ومشروعاتها القديمة .

أما العرب .. حكومات وشعوبا ومنظمات فدائية ، فان عليهم أن يفوتوا على اسرائيل أغراضها ، بأن ينهضوا الى استخدام كل ما فى أيديهم من طاقات وكل ما أتيح لهم من ظروف ، فى تحرك واع ومحسوب من ناحية ، ومستعد للبـذل ومضح من ناحية اخرى ، لأنهم ان لم يفعلوا ذلك الآن أو لم يحاولوه على الأقل ، فان كل يوم يمر سيحقق لاسرائيل تنفيذ جزء آخر من مخططها .. أى سيزداد الموقف صعوبة ، وعنـدما يستيقظون على حقائقه المـريرة ، قـد يجدون الأوان قد فات ، وعندئذ لن يغنيهم ندم .

الأهداف والوسائل

• أعمال مؤسسة .. وتوقيت مريب

• يوم الرعب في باريس

أعمال مؤسفة .. وتوقيت مريب

فى كل مرة يقع فيها حادث من هذا النوع ، يكسب أعداء العرب دعاية مجانية عالمية .. مئات الساعات من الاذاعات المسموعة والمرئيــة حول العالم ، وملايين الصفحات فى صحف جميــع الدول ، كلهــا تتحدث عن البشاعة وتفيض فى وصف العمل غير المسئول ، وتنتهز الفرصة لكى تقوم « بتعـريف من لا يعـرف بحقيقة العـرب » على حد تعبـير بعض التعليقات الاسرائيلية .

« ٢٢ ديسمبر ١٩٧٢ »

أكثر من مرة كتبت عن حوادث خطف الطائرات وتفجيرها والقاء القنابل فى المطارات ، وتعريض حياة الآمنين لأخطار حقيقية ، أو تركهم لساعات طويلة وأيام نهبا لقلق وجزع وصدمات نفسية مؤلمة .. على فرض أنهم لم يقتلوا أو يصابوا فى هذا النوع من الحوادث . وكان ذلك تحت عنوان .. « تنا يجب ألا تكون طائشة » !

قلت ان هذه الأعمال تؤدى الى تشويه صورة العرب فى لم اجمع ، وبذلك تسىء الى القضية العربية أشد اساءة .. فى وقت هى فيه فى أمس الحاجة الى حشد أكبر قدر من التعاطف لمى ، كما تسىء الى المقاومة الفلسطينية بصفة خاصة لأنها تساعد على تنفيذ كل التدبير الموجه ضدها ..

وأوضحت أن كل « الهجمات » التى تتم ضد المقاومة الفلسطينية تتخذ من هذه الأعمال ـ غير المسئولة ـ مبررا لها وتستغل الجو النفسى الرهيب الذى يعيش فيه العالم أثناء عمليات خطف الطائرات وعلى أثرها مباشرة .. لتوجيه الضربات الفظيعة للمقاومة .

ان مذبحة « أيلول الأسود » الشهيرة تمت فى أعقاب سلسلة من عمليات الخطف والارهاب الجوى اتخذت هدفا لها عدة طائرات لا طائرة واحدة وأقامت للطائرات المختطفة مطارا خاصا فى صحراء الأردن وعاشت المنطقة بل وعاش العالم كله لحظات هلع مرير على حياة مجموعة من الأبرياء .. بينهم شيوخ ونساء وأطفال وأناس كثيرون لا صلة لهم بالمشكلة ولا بالدول الأطراف فى النزاع .

عقب هذه العملية مباشرة شهد العالم وسمع ، عن المدرعات التى تخوض داخل مخيمات اللاجئين والطائرات التى تقصف مقار فصائل المقاومة الفلسطينية .. وربما كان عدم الاكتراث أو كانت

الشماتة هى التعبير الوحيد عن حقيقة مشـاعر قطاعات كبيرة من الراى العام العالمى ازاء هذه « الفظاعة » فى ضرب المقاومة .. لان « فظاعة » خطف الطائرات وتعريض حياة الآمنين ــ الذين لا صلة لهم بالأمر كله ــ كانت لم تزل ماثلة فى الأذهان .

لهذا كان المؤمنون بدور المقاومة الفلسطينية والشفقون عليها من أن تتسبب بتصرفاتها فى الاساءة الى نفسها ينظرون بكثير من الشك والريبة الى عمليات خطف الطائرات وما يتصل بها من أعمال .. كان هذا الشك يصل الى حد الاقتناع بأن « العمليات» ليست مجرد ((أخطاء)) أو تصرفات غير مسئولة وانما هى ((دسيسة)) أو أعمال مشبوهة قامت بها عناصر ليست من المقاومة ولا تريد الخير لها ، بل هى جزء من مخطط معاد لها !

وبعد حادث مطار أثينا البشع ، أحسنت قيادة المقاومة الفلسطينية باعلانها تبرؤها وتنصلها من عمليات خطف الطائرات ، وعزتها صراحة الى تدبير المخابرات الاسرائيلية أو أى جهة معادية للعرب وللمقاومة الفلسطينية .

ان خطف الطائرات المدنية ــ بصرف النظر عن ذلك كله ــ عمل جبان . انه كمن يأخذ طفلا رهينة ويضع المسدس فى ظهره ، ويهدد بقتل الطفل اذا لم يحصل على ما يريد ، فهل يقبل منه ذلك مهما تكن مشروعية ما يريد ؟ !

ونحن أصحاب حقوق مشروعة وأهداف نبيلة و... .. والطبيعى أن تكون مساعينا لتحقيق أهدافنا المشروعة .. مشروعة أيضا ..

وفى كل مرة يقع فيها حادث من هذا النوع ، يكسب أعداء العرب دعاية مجانية عالمية .. مئات الساعات من الاذاعات المسموعة والمرئية حول العالم وملايين الصفحات فى ... جميع الدول ، كلها ... عن البشاعة وتفيض فى و... العمل غير المسئول

وتنتهز الفرصة لكى تقوم (بتعريف من لا يعرف بحقيقة العرب) على حد تعبير بعض التعليقات الاسرائيلية !

ولعل هذا الأثر بالذات هو الذى دعا ياسر عرفات الى وصف العمل الأخير (مجزرة مطار روما الذى راح ضحيتها أبرياء من مختلف الجنسيات بينهم مسئولون عرب) .. بأنه عمل يسىء الى صورة الشعب الفلسطينى بصفة خاصة والقضية العربية بصفة عامة . كما قال عنه أبو أياد أحد زعماء فتح .. انه عمل بعيد عن صلب نضالنا وساحة قتالنا .

والحقيقة أن هذا النوع من الأعمال ــ فضلا عما فيه من جبن وعدوان وبشاعة ــ بعيد عن المسئولية بقدر ما هو بعيد عن ساحة النضال العربية الحقيقية .

ولقد لوحظ أن (توقيت) هذا النوع من الأعمال كبيرا ما بدى بصورة تزيد من بشاعته .. مثل الحوادث التى وقعت يوم افتتاح مؤتمر عدم الانحياز وعشية مؤتمر القمة العربى وأثناء مؤتمر دول المواجهة . وقد جاء توقيت العمل الأخير فى وقت معين ليضيف ظلالا جديدة الى صورته القاتمة أصلا .

لقد وقع الحادث قبل أيام من مؤتمر السلام فى جنيف . والمؤتمر يعقد فى ظل نضال عربى ظافر وعادل ، يحظى بتأييد كل المنصفين وغير الواقعين ضحايا لمغالطات الدعاية الاسرائيلية .. كما يحظى باحترام العالم كله . كان النضال العربى الذى أوصل العرب الى ما لم تكن اسرائيل تقبله (وهو الموافقة على الانسحاب) .. كان هذا النضال يتجه فى خطين . داخل الأرض المحتلة وضد قوات الاحتلال قتال بالسلاح ومواجهة باسلة على أرض المعركة . وفى العالم الخارجى تخفيض تدريجى فى امدادات البترول العربى ، تأثرت به شعوب وحكومات ، لكى تشعر بوطأة ما يقاسيه أصحاب القضية المهدرة ، وتحذير لهم بأنهم سيعانون المزيد اذا هم لم يعملوا

ما فى وسعهم أن يعملوه للمساهمة فى حل الأزمة . وقبيل المؤتمر بدأت أوربا تضغط لتحقيق الانسحاب ، وطالبتها به دولة لها ثقلها الاقتصادى الكبير وهى اليابان .. وشعرت جميع الدول التى تأثرت حياتها بتخفيض البترول ، أن الشىء الوحيد الذى ينقذها من هذا العناء ، ويوقف الخسائر عند هذا الحد ، ويحول دون تفاقم الأمر الى مخاطر حقيقية على أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية كلها .. **هو انسحاب اسرائيل .**

ومع تحول المد بهذا الشكل الواضح فى صالح العرب ، لم يستطع أنصار الصهيونية كسب راى عام عالمى ضد الأمة العربية أو حتى ضد قضية فلسطين .. كل ما استطاعه بعضهم ، هو ان يصف حرب البترول العربية العادلة .. بأنها ابتزاز .

ان القتل بدون تمييز فى المطارات وخطف الرهائن الأبرياء والتهديد بسفك دماء بلا مبرر ، شىء لا يمكن لأحد ان يصفه بأنه عمل عادل أو جزء من نضال .. فالنضال له نبله وشرفه كما أن له ساحته . اما هذا فهو ـ كما قال يم سكرتير الأمم المتحدة ـ عملية قتل وحشية حمقاء !

يوم الرعب فى باريس

الشعب الفرنسى يتساءل :

لماذا يخطف عربٌ عربًا فى باريس؟

كل هذا أعطيناه لأعدائنا مجانا . أهديناه لهم . فهل كان ذلك غباء وحماقه وبلاهه كما وصفته بعض الصحف فى باريس ؟ هل كان مجرد ذلك ؟ أم أنه شىء أبشع وأفظع ؟ شىء مشبوه كريه ، بدأ كئيبا ومثيرا للجزع والمخاوف ، وانتهى خائبا ومثيرا للاشمئزاز ، ولسؤال حائر يبحث عن جواب .. لماذا .. لماذا ..؟ !

« ٢٢ ديسمبر ١٩٧٣ »

كانت البداية كئيبة كبداية فيلم « الموت حبا » الذى جرت احداثه فى باريس عن قصة واقعية شهدتها العاصمة الفرنسية واهتزت لها مدينة النور مرتين .. مرة عندما افتضحت قصة الحب الملتهب بين امرأة فرنسية فى منتصف العمر تعمل بالتدريس وتلميذها القاصر ، مما جعل عائلة التلميذ تقيم الدنيا فى فرنسا كلها ولا تقعدها حتى انتحرت العاشقة فى شقتها الأنيقة . والمرة الثانية عندما أخرجت السينما الفرنسية هذه المأساة فى فيلم بدأت أحداثه المثيرة بنعيق كنعيق البوم تطلقه سيارة اسعاف مسرعة تطوى شوارع باريس الخالية فى الساعات الأولى من الصباح متجهة الى مكان الحادث .. فالفيلم أدى الى « تقليب المواجع » من جديد وتذكير الناس بالمأساة .

كانت بداية « المأساة الملهاة » الجديدة مشابهة لذلك تماما .. مع فارق وحيد هو أن الشوارع لم تكن خالية هذه المرة ، فوقت اكتشاف الحادث أو موعد بداية أحداث السيناريو كان منتصف اليوم ، وكان يوما قائظا من أيام صيف باريس الساخن هذا العام ، بلغت درجة الحرارة فيه ٣٤ ووصلت نسبة الرطوبة الى ٨٥ مما زاد الشعور بحرارة هذا الجو غير المعتاد وغير الطبيعى فى هذا الوقت من السنة .

ولم تكن سيارة اسعاف واحدة هذه المرة ، بل كانت عدة سيارات ، ولأن الشوارع فى هذا الوقت من اليوم تكون مكتظة ، فقد كانت السيارات كلها تطلق أبواقها بصفة متصلة لتفسح لنفسها الطريق ، مما جعل لنعيق البوم وقعا اشد كآبة ، زاد من التوتر المصاحب له ، أصوات سارينات سيارات البوليس التى انطلقت أعداد كبيرة منها من مختلف أنحاء باريس الى الحى « السادس عشر » الهادىء الذى يضم معظم السفارات فى العاصمة الفرنسية .

فى قلب هذا الحى الراقى يقع شارع آندريه باسكال ، والمنزل رقم ٧ فيه هو مقر السفارة السعودية . وقبل ان تنطلق سيارات الاسعاف والبوليس الى هذا العنوان بدقائق .. انطلقت فى حديقة هذا المنزل ، وعلى وجه التحديد فى حديقة القسم القنصلى بسفارة ا[illegible] العربية السعودية ، رصاصات فى الهواء اعقبتها صرخات من داخل البيت .. وقال الشهود ان مجموعة من الرجال المسلحين الملثمين اقتحموا الحديقة وهم يطلقون الرصاص ثم دخلوا القنصلية واوصدوا ابوابها ونوا[illegible] كلها .

وحتى هذه اللحظة لم يكن أحد فى العالم كله خارج هذا المبنى الصغير يعرف شيئا عما يجرى فيه . كان التبليغ فقط عن واقعة الاقتحام وطلقات الرصاص والصرخات وأصوات الاستغاثة ثم اغلاق الأبواب والنوافذ .

كان واضحا أن عملية « استيلاء » قد تمت فى القنصلية السعودية ، لكن من الذين استولوا وما هدفهم وما مصير العاملين فى القنصلية .. كانت كلها أسئلة بغير اجابة .

وجاء الجواب بعد قليل .. اتصل السفير الكويتى بالسلطات الفرنسية وأبلغها أن اتصالا تليفونيا تم معه من مسلحين احتلوا القنصلية السعودية وأخذوا كل من فيها من الموظفين السعوديين والفرنسيين رهائن ، وانهم طلبوا اليه ابلاغ السلطات الفرنسية بمطالبهم .. وهى :

الافراج فورا عن الزعيم الفلسطينى « أبو داود » الذى يقضى حكما بالسجن مدى الحياة فى الأردن .

اعداد طائرة خاصة لنقلهم هم ورهائنهم الى عاصمة عربية لم يحددوها .

انهم يحددون لتنفيذ طلباتهم فترة أقصاها الساعة السادسة من المســاء فاذا انتهت المهلة دون أن نجاب مطالبهم ، فانهم سيقتلون الرهائن واحدا وراء الآخر .

كانت هذه هى بداية الأربع والعشرين ساعة من الرعب والقلق والتوتر والاستياء العام التى عاشتها العاصمة الفرنسية ـ أو فرنسا كلها بفضل الدور الاعلامى الخطير الذى لعبه التليفزيون الفرنسى ـ وانتهت فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الخميس (اليوم التالى للحادث) عندما حلقت الطائرة الكارافيل التابعة للخطوط السورية مقلة المسلحين الخمسة ورهائنهم السعوديين ، بعد أن أطلقوا سراح الرهائن الفرنسيين ، ولم تبق سوى مشاعر الاستهجان وعبارات الاستخفاف ووصف العملية كلها بأنها ليست بشعة " ـ ، ولكنها غبية وكريهة وبلهاء .. فها هم العرب بعــد يوم طويل من الفزع والجزع المرير الذين جعلوا فرنسا تعيشه بلا مبرر مفهوم ، يخرجون منها وقد أخذوا معهم بعض العرب الآخرين !

ولكن كيف جرت الأمور خلال هذه الساعات الأربع والعشرين .. من ظهر يوم الأربعاء ٥ سبتمبر عندما أعلن (الاستيلاء) على القنصلية السعودية فى باريس الى ظهر الخميس عندما شــاهد الشعب الفرنسى على شاشات التليفزيون (الافراج) عن الرهائن الفرنسيات وخروجهن من باب القنصلية وقد بدأ عليهن الاعيــاء الشديد .

حقيقة أن السيناريو لم ينته الا باقلاع الطــائرة السورية من مطار لوبورجيه بعد ذلك بساعتين مقلة الآسرين والأسرى (العرب) الى أرض عربية .. عندئذ فقط انتقلت اذاعات التليفزيون الفرنسى الى داخل الاستوديوهات وبدأت التعليقات والتفسيرات والتهكمات ، ولكن النهاية الحقيقية بالنســبة للشعب الفرنسى الذى تجمع كله أمام أجهزة التليفزيون طوال ساعات الرعب والقلق .. كانت عندما خرجت آخر الرهائن الفرنسيات من الأسر .

وبين لحظة الاستيلاء ولحظة الافراج .. جرت مفاوضات مضنية ومحاورات متعــددة الأطراف شارك فيها عــدد من الدبلوماسيين العرب فى العاصمة الفرنســية كان من أبرزهم سفير العراق الذى عرض تسليم نفســه اعرابا عن صدق نوايا محاولات انهــاء الأزمة بصورة ســلمية لا تراق فيها دماء أى انســان .. عربيــا كان أو فرنسيا . وقد نجح هذا المسعى فى اضفاء جو من الثقة على الاتصالات وجعل الرجال المسلحين الذين أعلنوا أنهم ينتمون الى منظمة اسمها « العقاب » قالوا انها تنتقم لخديعة عملية ميونيخ فى العام الماضى وانهم نفذوا عمليتهم فى ذكراها (٥ سبتمبر) .. جعلتهم هذه الثقة يقبلون مد المهلة ساعتين ، ثم ثلاث ساعات .

وكانت السلطات الفرنسية وعلى رأسها الرئيس بومبيدو على اتصال دائم بالمفاوضات ، وأوضحت أن كلما يعنيها هو ســلامة المواطنــات الفرنســيات المأخوذات ضمن الرهائن ، وان شرطهــا الوحيــد للسماح لمحتلى القنصلية السعودية بالخروج منها ومن فرنسا كلها ، هو اطلاق سراح الرهائن الفرنسيات .

كما كان السفراء العرب من ناحية أخرى على اتصال بعدد من الرؤساء والزعماء العرب الذين كانوا فى الجزائر يشاركون فى مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز الذى بدأ أعماله بعد ظهر نفس اليوم الذى وقع فيه الحادث .

كذلك لعب دورا هاما فى الاتصالات صحفى عراقى يعمل مراسلا لجريدته فى باريس والصحفية المصرية المقيمة فى العاصمة الفرنسية درية عونى التى أعلنت نبأ قبول المسلحين لمد المهلة مرة ثالثة الى الصباح بعد ابلاغهم بموافقة الرئيس السورى حافظ الأسد على أن يستقلوا طائرة الخطوط السورية المقرر وصولها الى باريس ظهر الخميس .

وقد تحول شارع أندريه باسكال الذى تقــع فيه القنصــليه السعودية بل وتحول الحى الســادس عشر كله الى خلبــة نحل

أو مسرح كبير تمثل عليه المأساة الملهاة . ورغم كل محاولات البوليس فى سد المنافذ الى المكان فانها لم تجد فى وقف موجات الزحف الكبير على الشارع والشوارع المحيطة به ، وكان المهرجان شديد التوتر تختلط فيـــه التشــنجات بالصرخات بالنحيب بل وبالضحكات الهستيرية . ولم تكن المهمة صعبة فقط على رجال البوليس الذين كانوا يريدون تهدئة الجو وتقليل الضجيج لافساح فرصة للاتصالات التى كانت تتم عن طريق مكبرات الصوت .. كانت أشد صعوبة على رجال الاذاعة والتليفزيون الذين ظلوا طوال الأربع والعشرين ساعة يحاولون نقل صورة حية وواضحة لكل ما يجرى .

وقد زاد التوتر بصورة مؤلمة ومحطمة للأعصاب عندما سمع صوت طلق نارى من داخل القنصلية أعقبته صرخة مدوية ثم سقوط جسم من الطابق الثانى الى الحديقة .. وقد تبين أنه الملحق الثقافى بالسفارة وكان بين المحتجزين ونجح فى فتح احدى النوافذ والقفز منها وأطلق المسلحون عليه عيارا أثار صرخة واحد أو واحدة من الرهائن . فى هذه اللحظة ــ وكانت أقسى لحظات الرعب فى ساعات الرعب الأربع والعشرين ، توجس الجميع شرا ، ولاحظ المشاهدون على شاشات التليفزيون عددا كبيرا من قوات القناصة المرتدين الخوذات والمدرعين بالقمصان التى لا يخترقها الرصاص يزحفون على المبنى من كل جانب ويتخذون مواقع فى وضع تأهب للانقضاض ، وكأن هذا أخشى ما يخشاه المشفقون من أن تسيل دماء ، فبصرف النظر عن قدرة المعتصمين بالداخل على صد الهجوم فان أول ما قد يفعلونه هو أن يقتلوا الرهائن . ومرت لحظات احتبست فيهـــا الأنفاس وخفت الضجيج لأن الكل كان يصغى تسمعا لصوت الطلقة التالية ومن أين تجىء . ولكن ــ حمدا لله ــ أن هــذه الطلقة لم تنطلق .

ومرت ˙ ¨ والدقائق والساعات بطيئــة ثقيــلة مشحونة بالقلق وتوقع المكروه .. حتى أعلن فى الصباح أن ا رة السورية

فى طريقها الى باريس ، وان المسلحين الذين يحتلون القنصلية قد قبلوا شرط الحكومة الفرنسية الوحيد لخروجهم منها الى المطـار وخروجهم با برة من فرنسا كلها .. وهو اطلاق سراح الرهائن الفرنسيات ..

وقد قبلوا هذا الشرط بشروطهم .. وهى :

أن تخصص لهم سـيارة أتوبيس تغطى نوافذها بالسـتائر ولا يستقلها معهم سوى سائقها وتسير أمامها فى الطريق الى المطار سيارة بوليس واحدة لتفسح لها الطريق ، وتسير خلفهم سيارة واحدة من سـيارات السفراء العرب يستقلها سـفير العراق وغيره ممن يشاء من السفراء .. وألا يعترض هـذا الموكب الصغير اى عائق على طول طريقـه فى شوارع باريس أو تقترب منه أى سيارات بوليس .

أن يخلى شارع أندريه باسكال تماما ، من الجماهير ومن رجال البوليس جميعا وأن يفك الحصار الذى يضربه القناصة حول القنصلية وأن يبتعدجميع المصورين السينمائيين والفوتوغرافيين وعدسات التليفزيون . وأن تغلق جميع النوافذ فى المنـازل المحيطة وفى الشارع كله ولا يقف أحد فى الشرفات .

(وقد خرج أحد المسلحين حاملا مدفعه الرشاش للاطمئنان الى تنفيذ هذا الشرط وأخذ يجوب الشارع ويتطلع الى كل الشرفات والنوافذ مما أخر تنفيذ الاتفاق واطلاق سراح الرهائن الفرنسيات حوالى نصف الساعة لأنه لاحظ احدى عدسـات التليفزيون تلمع فى وهج الشمس من شرفة مبنى « المنظمـة الأوربيـة للتعاون الاقتصـادى والتنمية » الواقع أمام مبنى القنصلية السعودية) .

أن تقف الطائرة التى سيستقلونها من مطار بورجيـه فى موقع بعيد عن مدى الرؤية من اى مبنى من مبانى المطار والا توجد

أى آلات للتصوير فى أى مكان بالمطار يكون فى متناولها التقاط صورهم وهم ينتقلون من الأتوبيس الى الطائرة . وأن تخلى الطائرة من ركابهـا وأمتعتهم ولا يبقى بها سوى أفراد طاقمها وتتزود بالوقود وتكون جاهزة للاقلاع بمجرد وصولهم اليها .

وأعلن المسلحون أنه اذا تخلف تنفيـذ أى شرط من شروطهم أو اذا لاحظوا أى بادرة بمحاولة تلاعب فى الاتفاق أو خديعة ، فانهم سيكونون فى حل من التزامهم بحفظ سلامة الرهائن .

ولم تكن السلطات الفرنسيةفى حاجة الى أىتلاعب أو خديعة. . كان كل ما يعنيها هو خروج رعاياها الرهائن من الأسر المخيف ، وخروج هؤلاء المسلحين من فرنسا بكل ما أثاروه فيها من صراع . . وانتهاء المأساة كلها بأسرع وقت ممكن .

التزمت السلطات الفرنسية بحرفية الاتفاق . . أخلى الشارع من عشرات سيارات البوليس ، وعرف العدد الهائل من القناصة الذين كانوا يضربون الحصار حول القنصلية السعودية ، فقد بدأوا يهبطون أفواجا من الأبنية المحيطة بها ومن خلف أسوارها ومن فوق أشجار الحديقة والشارع . وخلا الشارع تماما الا من عدد قليل من سيارات السـفراء العرب وسـيارة البوليس الوحيـدة التى ستتقدم الركب وسيارة الأتوبيس الصـغيرة (المينى باس) التى سيستقلها المسلحون ورهائنهم الى المطار .

الجهة الوحيدة التى تحايلت على الاتفـاق ــ وبدون أى نوايا سيئة ــ هى التليفزيون الفرنسى . لقد سحب عدساته من الشرفة المواجهة للقنصلية بعد أن اكتشفها المسلحون ، ولكنه بذل جهـدا خارقا لكيلا يحرم مشاهديه من متابعة الحدث ، فوضع الكاميرا فى مكان مختبىء خلف أعمدة احدى شرفات المبنى واستخدم عدسات (الزوم) التى تقرب المشهد ، ورغم أن الزاوية كانت ضيقة جدا حرصا منه على الا يكتشف المسلحون هذا الاخلال باتفاق فانه نجح

فى نقل صورة لا بأس بها ـ وان كانت لا توضح معالم الأشخاص ـ لخروج الرهائن الفرنسيات أولا ثم خروج الرهائن السعوديين الرجال مكبلين ومن ورائهم المسلحون وفى أيديهم أسلحتهم وبتحرك الموكب من الشارع هاج وماج على الفور .. وعادت عدسات التليفزيون الى مواقعها (العلنية) تنقل مظاهر الفرح من عشرات الألوف الذين لا تعرف كيف عادوا فى لحظات الى الشارع يتدافعون لرؤية الرهائن المفرج عنهن .. وكان أكثر المتدافعين نحوهن ممثلو الصحافة والاذاعة والتليفزيون الذين حرصوا على اجراء الأحاديث معهن والتقاط الصور لهن لحظة الافراج .

وكان من نجوم هذا الاحتفال حكمدار شرطة باريس الذى ظل فى مكانه أمام القنصلية طول الليل ولم يغادره الا بعد أن روى وهو فى حالة اجهاد شديد تفاصيل الحادث والاجراءات التى أنهته بسلام .

وتحايل التليفزيون الفرنسى مرة أخرى على شروط المساجين فى مطار بورجيه ووضعوا كاميراته فى مواقع بعيدة عن الطائرة كما طلبوا ولكنه استخدم العدسات المقربة ونقل صورة على البعد لوصول المينى باس اليها ونزول أحد المسلحين منه وصعوده اليها حيث قام بتفتيشها ثم رجوعه الى زملائه وعودتهم جميعا وأمامهم الرهائن الى الطائرة التى أقلعت بهم على الفور .

وهكذا أسدل الستار على أربع وعشرين ساعة من الرعب والتوتر والقلق فى باريس ، أو على الملهاة السخيفة التى شهدتها العاصمة الفرنسية وكان يحتمل أن تكون مأساة حقيقية .. وبانتهاء الملهاة المأساة بدأت التعليقات .

كانت النغمة السائدة فى وصف الصحافة الفرنسية للحادث أنه عمل بغيض جبان وغير مسئول ، وصدرت احدى الصحف تحمل

عنوانا رئيسيا يقول .. « **ملحمة من البشاعة والبلاهة يرتكبها الفلسطينيون** » وكان عنوان صحيفة أخرى « **الارهاب المجنون !** » وقالت ثالثة « **الفلسطينيون يحولون قضيتهم الى قضية كريهة** » .

وتساءل معلق التليفزيون الفرنسى بعد الحادث .. ما هو جدوى هذه العملية (**المجنونة**) التى أصابت فرنسا بالصدمة والذهول ، لقد انتهت بأن بعض العرب قد خطفوا بعض العرب ، فلماذا يخطفونهم من باريس ، ولمصلحة من يرتكبون هذا فى قلب فرنسا التى تساند القضية العربية وتعتبر أكثر الدول الأوربية الغربية تعاطفا مع الفلسطينيين ! ؟

وقد بدأ الأسف من العملية واضحا فى لهجة الا الفرنسية التى لا تستخدم تعبير « الارهابيين » فى و الفدائيين الفلسطينيين عادة . وقالت فة « لو جورنال دوديمانش » .. اننا نسمح لأنفسنا بأن نسمى هؤلاء الرجال بالارهابيين رغم أنهم يقولون انهم يريدون تحرير بلادهم فلسطين ، لأن المنظمات الرسمية الفلسطينية قد أنكرتهم وتبرأت منهم ودمغتهم بهذه الصفة . وهذا الارهاب لا يمكن ان يخدم القضية الفلسطينية بل يشوهها ويجعلها كريهة فى نظر الجميع ، يضيق بها الجميع .

وأشارت الصحيفة الى تصريحات ياسر عرفات فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى الجزائر على أثر وصول أنباء باريس والتى قال فيها .. ان هذه العملية نموذج لما يحاك ضد شعبى من مؤامرات ، وللمحاولات التى تبذل لاحراج المقاومة .

ولقد كان من الغريب والمريب حقا أن تقع هذه العملية الشائنة فى يوم افتتاح مؤتمر عدم الانحياز بالجزائر ، ان الموضوع الأساسى فى هذا المؤتمر بالنسبة لفلسطين والفلسطينيين هو اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى لشعب فلسطين .. وبمثل هذه العملية تجد منظمة التحرير الفلسطينية نفسها فى حرج شديد ، فهى اذا لم تدنها وتتنصل منها فلن تحظى باحترام أحد فى العالم

ولا دولة واحدة من دول عدم الانحياز . وهى ان ادانتها — كما فعلت واحسنت — كان من شان ذلك أن يثير التساؤل حول مدى سيطرتها على العمل الفلسطينى بمختلف اشكاله ومجالات نشاطه وكيف تكون ممثلة لشعب لا تستطيع التحكم فى تصرفاته . وقد كان رائعا من مؤتمر عدم الانحياز أن يتجاوز عن المسألة ويعتبر منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثلة لشعب فلسطين ويفوت الفرصة على من أرادوا الاساءة لشعب فلسطين وتشويه نضاله الشريف البعيد عن كل التصرفات المشبوهة التى تسىء الى قضيته أبلغ أساءة .

اننا نتحدث كثيرا عن ضرورة الاهتمام بالاعلام عن قضيتنا فى الخارج والا نبخل على الدعاية لها بالجهد ولا بالمال . ان الصفحة الاعلانيــة الواحدة فى جريدة مثل نيويورك تايمز ثمنها ١٠٠ ألف دولار والدقيقة الواحدة فى التليفزيون البريطانى ثمنها ١٠٠٠ جنيه استرلينى .

ان المأساة الملهاة التى ارتكبتها فى باريس عناصر تدعى أنها تنذر نفسها لخدمة القضية العربية قد أعطت عدونا وخصومنا ٢٤ ساعة من الدعاية المضادة لقضيتنا فى التليفزيون والاذاعة الفرنسية وعشرات الصفحات فى الصحف .. غير مئات الصفحات والساعات فى مختلف وتليفزيونات العالم واذاعاته . كل هذا أعطيناه لأعدائنا مجانا .. اهديناه لهم ، فهل كان ذلك غباء وحماقة وبلاهة كما وصفته بعض باريس .. هل كان مجرد ذلك ..؟ ام أنه شىء أبشع وافظع ، شىء مشبوه كريه ، بدا كئيبا ومثيرا للجزع وا وف وانتهى خائبا ومثيرا للاشمئزاز ، ولسؤال حائر .. عن جواب .. لماذا .. لماذا ..؟ !

القضية فى المجال الدولى

• سباحة هادئة فى بحر عاصف (١)

– المصالح الأجنبية فى الشرق الأوسط وما بينها من تناقض ... وتصادم .. أو اتفاق

• سباحة هادئة فى بحر عاصف (٢)

– الفرق بين الحياد والتحييد .

– هل قرر الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة أن يقفا على الحياد من أزمة الشرق الأوسط ؟

– قاموس الحرب والاسترخاء العسكرى .

– الحساب واعادة الحساب .

– الأمل الأخير للسلام .

– الأهم هو قرارنا نحن .

– الفيتو الأمريكى .

– ٢٠٠٠ مليون من سكان العالم يؤيدون حقنا .

سباحة هادئة فى بحر عاصف (١)

المصالح الأجنبية فى الشرق الأوسط وما بينها من تناقض وتصادم .. أو اتفاق

وكما أن مجموعة المصالح للدول الأجنبية فى الشرق الأوسط واحده ، أو متشابهه .

وكما أن النتيجة التى وصلت اليها جميعا واحدة . وهى حرص كل منها على دعم نفوذها فى المنطقة لحماية هذه المصالح وضمان ازدهارها فى المستقبل ..

كذلك فان الاساليب التى تتوسل بها هذه الدول لتحقيق النفوذ ودعمه واحدة أو متشابهة هى الأخرى .

« ٢٢ يونيو ١٩٧٢ »

لنبدأ الان سباحتنا فى بحر الشرق الاوسط العاصف .. ولتكن هذه السباحة هادئة واثقة .

فمسألتنا ، أو مشكلتنا أننا نعيش فى منطقة ، للاخرين مصالح كثيرة فيها ، ولهم بها اهتمامات متعددة ومتنوعة .

وهذه الاهتمامات والمصالح ، يفرضها وضع المنطقة نفسه .. فهى نقطة التقاء بين قارات ثلاث هى أوربا وآسيا وافريقيا ، كما هى عازل بين البحر المتوسط والمحيط الهندى .. وبهذا الوضع لعبت المنطقة على مدى التاريخ الانسانى كله دورا هاما فى تحديد شكل ا قات بين دول ومناطق العالم المختلفة .. أما كحاجز فى وجه حركة الجيوش والبضائع والا ر فى بعض الاحيان ، واما كممر ومعبر لواحد منها أو لها جميعا فى أحيان أخرى ، أو كانت تلعب الدورين المتناقضين معا وفى آن واحد ، فى ظروف ثالثة .

لقد كانت الدول خارج المنطقة عموما تنظر الى حرية عبورها برا وبحرا ـ ثم جوا بعد اختراع الطائرات ـ على أنها مسألة هامة .. ولكن بعض الدول كانت ـ نتيجة لظروف معينة ـ تنظر الى هذه الحرية بوصفها « مصلحة حيوية » لا تفكر فى التفريط فيها ولا تسمح راضية بأى مساس بها .

وهكذا فان حرية عبور المنطقة . كانت على الدوام وبالنسبة للجميع ، احدى المصالح الاجنبية فيها .

وهناك دول اخرى ترى أن اكثر ما يعنيها فى هـذه المنطقة هو قدرتها على الحصول على ما تحويه فوق أرضها أو فى باطن هـذه الارض .. فالشرق الاوسط يحفل بموارد بترولية هائلة ، **والبترول يحتل مركزا رئيسيا ومتميزا فى اقتصاديات معظم دول المنطقة ، وفى تفكير الكثير من الدول خارج المنطقة أيضا .**

ان الشرق الاوسط يحتوى على أكثر من ستين فى المائة من الاحتياطى المحقق من بترول العالم كله ، وأوربا الغربية تحصل على

اكثر من نصف احتياجاتها السنوية من هذه المادة التى تعتبر أهم مصدر معروف للطاقة حاليا ، من بترول الشرق الاوسط . كما أن نصف الكرة الارضية الشرقى اكثر اعتمادا على هذا البترول من نصفها الغربى ، وكل الشركات الكبرى التى تتعامل فى بترول المنطقة رؤوس أموالها أجنبية .. الامر الذى يجعل لجميع الدول التى استثمرت حكوماتها أو شركاتها مبالغ طائلة فى هذه الصناعة ، اهتماما كبيرا بعمليات انتاج هذه الخامة وتصنيعها وتصديرها . يضاف الى ذلك مصلحة الدول الصناعية جميعا ـ حتى تلك التى ليس لها استثمارات بترولية فى المنطقة ـ فى ضمان حصولها على بترول المنطقة بصفة منتظمة ، والا تعرضت صناعاتها وحياتها كلها لاشد الأخطار .

وهكذا كان البترول مصلحة حيوية أخرى لعدد كبير من الدول الاجنبية .. فى المنطقة .

ولان هذه الدول الاجنبية لها مصالح فى حرية عبور المنطقة أو حرية الحصول على بترولها أو الحريتين معا .. فان لها مصلحة فى استقرار المنطقة وخلوها من الاضطرابات . ان الغليان فى المنطقة أو تعرضها للصراعات من شأنه أن يؤثر على مصالح الاطراف التى نهتم بحرية عبورها والتى تريد ضمان الحصول على بترولها .

وهكذا يكون خلو المنطقة من الصراعات والاضطرابات .. مصلحة أخرى لدول خارج المنطقة .. فيها .

وكل هذه المصالح يجب علينا أن نتنبه اليها جيدا وأن نحسن استغلالها فى تعاملنا مع كل الاطراف الدولية التى لها اهتمامات بمنطقتنا وبالتالى بقضيتنا ، ونستطيع أن نجعل منها أوراقا رابحة اذا أجدنا اللعب بها .

ان مصالح الدول الاجنبية واهتماماتها بالشرق الاوسط تتباين من حيث النوع والمدى . فبعضها لا يهمه سوى أن تكون له حرية

عبور المنطقة ، ولكنه لا يحتاج الى بترولها . وبعضها الاخر يمثل البترول بالنسبة له مصلحة حيوية بينما تتراجع أهمية المرور فيها الى مرتبة ثانوية من الاهمية . ونوع ثالث من الدول ليس له اهتمام خاص بهذا ولا ذاك ، وكل مالها هو مصلحة عامة فى استقرار المنطقة وخلوها من الصراعات **وعدم وقوعها** " **سيطرة دولة منافسة أو عدو حالى أو محتمل** ، لانها لا تريد أن ترى منطقة لها كل هذه الاهمية الاستراتيجية حيث تسيطر على الطريق الرئيسى بين شرق العالم وغربه وتضم موارد طبيعية ذات اهمية دولية غلابة كالبترول لا تريد أن تراها وقد وقعت تحت سيطرة خصم ، لان ذلك يعطى هذا الخصم ميزة استراتيجية ضخمة فى منافسته أو صراعه معها .

قلنا أن المصالح الاجنبية الرئيسية فى الشرق الاوسط تنقسم الى ثلاث مجموعات هى :

البترول .. وهو مصلحة مزدوجة مصلحة فى الحصول على الخامة نفسها وضمان استمرار تدفقها للحاجة الحيوية اليها كمصدر رئيسى للطاقة وكعامل أساسى فى معظم الصناعات . ومصلحة فى الحصول على ارباح النشاط البترولى .. فى عمليات التنقيب والاستخراج والنقل والتسويق .

حرية العبور .. سواء العبور الاستراتيجى أو العبور التجارى .. ويتصل بذلك ما لبعض الدول الاجنبية من قواعد عسكرية فى المنطقة حاليا أو ما تحرص على ان يكون لها فيها فى المستقبل من قواعد أو محالفات أو مناطق تلعب دور «كلب الحراسة» لمصالحها كحالة الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل .

خلو المنطقة من أى اضطرابات قد تعكر الوضع الراهن فيها .. وبالتالى خلوها من أى نفوذ معاد ، ومن احتمالات المواجهة أو الصدام العسكرى بين الدول الكبرى .

وهذه الاهتمامات الاساسية للدول الاجنبية المختلفة فى منطقة الشرق الاوسط ، تؤدى بالضرورة الى نشوء مصلحة جديدة لها فى المنطقة .. وهى **محاولة كل منها أن يكون لها نفوذ سياسى أو ثقل عسكرى فى المنطقة** يخدم مصالحها الاساسية ويدعمها من ناحية ، ويوفر لها الحماية من ناحية أخرى .

ان كل دولة من هذه الدول الاجنبية لابد ان تنظر الى مسألة النفوذ أو التأثير بمختلف اشكاله على أنه الضمان لاستمرار تدفق البترول اليها ، ولممارسة الحرية فى عبور المنطقة استراتيجيا وتجاريا ولمواجهة أى محاولة تقوم بها دولة اخرى لزيادة نفوذها أو فرض سيطرتها ، وكذلك لمنع تطور أى نزاع محلى ، من أن يتحول الى مواجهة بين الدول الكبرى .. لان هذه المواجهة قد تتصاعد الى الصدام ومن ثم الى التدخل . أى ضياع **الاستقرار** وهو عنصر هام تحرص عليه كل الدول الأجنبية التى لها مصـالح واهتمامات فى المنطقة ..

وكما أن مجموعة المصالح للدول الأجنبية فى الشرق الأوسط واحدة ، أو متشابهة .. وكما أن النتيجة التى وصلت اليها جميعا واحدة ، وهى حرص كل منها على دعم نفوذها فى المنطقة لحماية هذه المصالح وضمان ازدهارها فى المستقبل .. كذلك فان **الاساليب التى تتوسل بها هذه الدول لتحقيق النفوذ ودعمه واحدة أو متشابهة هى الاخرى .**

ان معظم الدول الاجنبية تحرص على أن يكون لها وجود عسكرى فى المنطقة سواء بالاساطيل التى تجوب مياهها أو بالقوات البرية التى ترابط فى بعض مناطقها أو بالاسراب الجوية التى تحلق فى سماواتها .

كما تقوم هذه الدول ــ وفقا لدرجة اهتمامها ومصالحها ــ بتزويد دول المنطقة بالسلاح ومدها بكافة أنواع المعونة العسكرية والاقتصادية وتبذل معها جهدا دبلوماسيا وتمارس معها نشـاطا

اعلاميا وثقافيا تتوخى منه رفع درجة « تأثيرها » معها وزيادة نفوذها فيهـا .

ان معظم هذه الدول تركز اهتمامها على مسألة « النفوذ » هذه ، فهى ترى أن هذا النفوذ هو العملة التى يتم بها التعامل فى « بورصة » مصالح الشرق الاوسط . وان وجود هذه العملة فى يدها يغنيها عن مشاكل عديدة خاصة بالتعامل مع كل مصلحة أساسية من مصالحها على انفراد .

ينبنى على ذلك أن مصالح الدول الاخرى فى الشرق الاوسط قد تتناقض ، أو هى لابد أن تتنـاقض . ولكن ذلك لا يعنى أنهـا بالضرورة .. تتصادم .

فرغم أن المصالح الأساسية واحدة أو متشابهة ، أو تنتمى الى مجموعات من نوع متحد ، الا أنها قد أدت بكل دولة من هذه الدول الى نتيجة معينة ، وهى حرص كل منها على زيادة نفوذها . **ولعبة النفوذ تعنى المنافسة وتقود الى التناقض ، ومع ذلك فان كل هذه الدول تحرص على ألا يؤدى هـذا التناقض الى التصادم .. لأن التصادم يمس المصالح الاساسية نفسها من جهة . ولان التوازن الاستراتيجى الدولى ، من جهة اخرى ، يجعل الصدام المسلح بين المعسكرين الأساسيين فى التقسيم الاستراتيجى الدولى ــ الشرق الشيوعى والغرب الرأسمالى ــ مستحيلا .**

ومع ذلك فان انتهاج الصين الشعبية خطا مستقلا فى سياستها عن سياسة سائر العالم الشيوعى الذى يتزعمه الاتحاد السوفييتى ، يجعل التقسيم الاستراتيجى التقليدى للعالم الى شرق وغرب ، غير دقيق للدرجة التى تصلح لبناء النتائج عليه ، ويخرج هذه المعادلة عن بسـاطتها المعهودة .. وهى معادلة قد تزداد تعقيدا ببـدء مرحلة « **الوفاق** » أو « **الاعتماد المتبادل** » بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة . وهو التعبير الذى بدأ يشق طريقه كوصف للمرحلة الجديدة

س العلاقات بين البلدين ، التى وصلت الى ذروتها الان بالزيارة التى يقوم بها الزعيم السوفييتى ليونيد بريجنيف للرئيس الامريكى نيكسون فى وشنطون ردا على زيارة الاخير لموسكو فى العام الماضى .

حقيقة ان هذا « الوفاق » عند القمة بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة ليس هدفه الوحيد ترتيب علاقات الدولتين فيما يتعلق بمنطقة الشرق الاوسط .. انه اقتناع يتصل بتخفيف اعباء التسلح المبالغ فيه لدى الدولتين ، وباعتبارات التنمية الاقتصادية الواسعة ، وزيادة حجم التبادل التجارى لصالح الطرفين ، وتهدئة حدة التوتر الدولى بصفة عامة . **ولكن منطقة الشرق الاوسط ليست بعيدة عن هذا الاقتناع .**

لقد قلنا أن من بين المصالح أو الاهتمامات الاساسية للدول من خارج منطقة الشرق الاوسط فيها ، خلوها من الاضطرابات . والدولتان الاعظم تريان أن « الوفاق » مؤداه تقليل احتمالات التصادم بينهما فى مختلف انحاء العالم وسائر مناطقه التى لهما فيها مصالح متناقضة . **ومنطقة الشرق الاوسط تحفل بانواع المصالح التى اذا سمح لها ان تتطور الى صدام فانها قد تجر الدولتين الى مواجهة مسلحة .. وهو ما لا يريدانه ولا يقدران عليه .**

هذا عن مصالح الدول الاجنبية فى المنطقة واحتمالات التصادم والاتفاق بينها .

اما دول المنطقة نفسها ، فانه لابد أن يكون لها اهتماماتها ومصالحها وأهدافها وآمالها . ومن الطبيعى أن نتناول هذه المصالح والاهتمامات بصورة سريعة وباختصار

ومجموعة المصالح والأهداف والآمال الخاصة بدول منطقة الشرق الاوسط لا تختلف كثيرا عن مصالح وأهداف وآمال أى دولة

من دول العالم والدول النامية بالذات .. وان كانت تتميز عنها لاعتبارين .. أولهما خاص بموقعها الفريد كنقطة وصل أو عزل بين مناطق العالم المختلفة وما يكمن فيها من خامة ذات أهمية دولية بالغة هي البترول . **وثانيهما خاص بوجود خمس عشرة دولة عربية تنتمي الى تراث واحد وتتحدث لغة واحدة ولها آمال واهداف مشتركة ، ويمكن أن توجد بينها درجة عالية من تنسيق العمل وتوحيد .. ان لم توجد بينها وحدة كاملة ، كما هو الواجب من وجهة نظر مصالحها جميعا وكما هى الرغبة الواعية لشعوبها .**

ان مصالح دول المنطقة عموما أو أهدافها واهتماماتها ، وكل ما يمكن أن يعبر عن نفسه من اتجاهات فى عملها .. كأمل وطنى لها ، تتلخص فيما يلى :

البقاء ... فأول ما تحرص عليه كل دولة هو أن تبقى . وتبقى سليمة متكاملة ، لا ينتزع جزء من أرضها أو يزول كيانها او تذوب فى كيان أجنبى .. مهما كان قويا أو شاملا .

الاستقلال ... وهو أن تكون لها حرية اتخاذ قراراتها . وليس مجرد خلو أرضها من الوجود العسكرى الاجنبى . والا يكون لدولة أخرى أو مجموعة دول اجنبية .. اى سيطرة عليها .

الكرامة الوطنية ... وهى النتيجة الطبيعية للاستقلال التام عن اى نفوذ او سيطرة أجنبية ، وسلامة اراضى الدولة . وكل دول الشرق الاوسط تحرص على ممارسة هذه الكرامة الوطنية وان يكون فى تصرفاتها ومواقفها الدولية ما يدل عليها ويؤكدها .

التقدم الاجتماعى والاقتصادى ... ودول المنطقة تنتمى عموما الى العالم النامى أى الدول التى تريد أن تشق طريقها الى الرخاء والى حسن توظيف مواردها ـ وهى موارد هائلة ـ لمهمة بناء المستقبل الأفضل لشعوبها .

يضاف الى هذه الآمال العامة فى منطقة الشرق الاوسط أمل خاص يجمع شعوبه العربية التى تعيش فى خمس عشرة دولة تمتد من الخليج الى المحيط ، وترى فى الوحدة أملا يحقق لها كل هـذه الامال .. **بالاضافة الى أمل خاص بها وهو اقامة كيان ضخم جبار يمكن ان يقف على قدم المساواة مع دول العالم الكبرى او كياناته الكبرى ، فى عالم يـ . الى تكوين ا ـ نات الكبيرة ، مستندا الى اسباب أوهى كثيرا من الاسباب المتوافرة لدى لم العربى لكى يتوحد فى كيان كبير .**

سباحة هادئة فى بحر عاصف (٢)

الفرق بين الحياد والتحييد..
هل قرر الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة أن يقفا على الحياد من أزمة الشرق الأوسط؟

هل هو هروب من مواجهه المشكلة ؟
أم أن مواقف الطرفين بالنسبة لها متباعده أو متناقضة الى درجة تجعل من الصعب الاتفاق على رأى واحد بشأنها ؟

ام أن مصالح الطرفين تجعل كل ما يعنيهما فيها هو « ألا تؤدى الى تورطهما بأى شكل فيها » ؟

« ٣٠ يونيو ١٩٧٣ » .

البحر الصاخب العاصف الذى نسبح فيه ، او نحاول السباحة فيه ـ بهدوء ـ هو الشرق الأوسط .

نريد ان نتعرف على مصالح الآخرين فى المنطقة ، فنحددها أولا لكى نعرف عوامل وأسباب اهتماماتهم . ثم نتعرف على أسلوبهم فى العمل وفقا لهذه المصالح والاهتمامات .. ويكون لنا من ذلك أساس واقعى ، نبنى عليه أسلوبنا فى التعامل معهم ، بل وأسلوبنا فى خوض الصراع كله .

والصراع فى الشرق الأوسط ... الأطراف ، شديد التشابك، ... ان تجد فيه معادلة بسيطة واحدة ، فمعادلاته معظمها لتداخل المصالح المختلفة فيها من ناحية ولأن أطرافها عديدة من ناحية أخرى .. فيها الأعداء الأصليون والأعداء بالتبعية ، وفيها شركاء المصير الذين يرتبطون بالمسيرة الى غايتها وفيها الشركاء الذين لا يكتفون بالهروب من القافلة ولكنهم يزرعون فى طريقها الأشواك ويشنون عليها ... رات ، فيها الأصدقاء وفيها ... ء .. وفيها الأطراف الذين يجب أن نبذل ... م جهدا خاصا ، لتحديد مواقفهم ومواقعهم فى مستقبل الصراع .. وهل نستطيع أن نتعامل معهم ومع مصالحهم بصورة تؤثر على مستقبل هذه المواقف فيما هو مقبل من تطورات فالقضية ـ كما يبدو ـ ممتدة ، وما هو آت فيها أكثر وأهم مما فات !

وهل هناك دليل أكبر على تعقد مشكلة الشرق الأوسط واستعصائها على الحل السريع ، مما جاء فى البيان الذى صدر عن مباحثات الرئيس الأمريكى نيكسون والزعيم السوفييتى بريجنيف. لقد نجحا فى تسوية معظم ما بينهما من خلافات وفى الاتفاق على رأى واحد بالنسبة لكل القضايا الدولية .. الا الشرق الأوسط ، اعترفا بأنهما فشلا فى الاتفاق على سبل تسوية أزمته ، وقالا صراحة انهما

احرزا تقدما كبيرا فى الجهود الرامية الى حل المشكلات الدولية ، باستثناء الشرق الأوسط !

الاتفاق الوحيد بين . نبين — فيما يتعلق بالشرق الأوسط — هو اتفاقهما على الا يسمحا للموقف فيه بأن يؤدى الى تورطهما فى الصراع .. وهو ما صرح به هنرى كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكى للامن القومى عقب اذاعة البيان .

هل معنى ذلك أن الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة قررا أن يقفا على الحياد من أزمة الشرق الأوسط ؟ ! ان البيان يعتبر فى رأى الكثيرين وثيقة انهاء الحرب « الباردة » التى شهدها العالم لأكثر من خمسة وعشرين عاما .. **ترى ماذا يكون دوره بالنسبة للحرب الساخنة التى تحمل مشكلة الشرق الأوسط عوامل تفجرها فى أى . .**

هل هو هروب من مواجهة المشكلة .. أم ان مواقف الطرفين بالنسبة لها متباعدة أو متناقضة الى درجة تجعل من الصعب الاتفاق على رأى واحد بشأنها . أم أن مصالح الطرفين تجعل كل ما يعنيهما منها هو « الا تؤدى الى تورطهما بأى شكل فيها » .. كما قال كيسنجر .

أيا كان الأمر ، فانه بالنسبة لنا نحن أصحاب المشكلة — لابد أن يزيد من اقتناعنا بمواصلة العمل فى مستويين .. مستوى محلى ، وهو العمل على زيادة قدرتنا الذاتية فى مختلف مجالاتها العسكرية والاجتماعية والحضارية والتنظيمية ، ومستوى دولى ، لكسب المزيد من المؤيدين لحقنا ومحاولة الحصول من أصدقائنا على الحد الأقصى الممكن من المساعدة والعون . ...اف مجالاته العسكرية والسياسية . وفى نفس الوقت العمل على ... اكبر قدر ممكن من الخصوم .

ومسألة تحييد الخصوم كانت فى الايام الأخيرة محل جدل

وخلاف فى الرأى بمناسبة ما أثير حول « تحييد أمريكا » أو الدعوة الى العمل على تحييدها .

لقد قيل الكثير فى مسألة « التحييد » هذه ، سواء من المنادين به أو الرافضين له .

وبدأ الأمر وكأن هنــاك خلافا فى الرأى حول هذا الهدف من أهداف عملنا الوطنى فى هذه المرحلة .. بينما الحقيقة انه لا خلاف، ولا يمكن أن يكون هناك خلاف ، اذا كان المعنى المقصود من هــذه العبارة واضحا ومفهوما .

لقد قيل فى معارضة « التحييــد » .. كيف نتصــور أن تقف أمريكا على الحياد فى صراع الشرق الأوسط ـ وتحيزها لاسرائيل مسألة أساسية فى سياستها ـ لمجرد محاولة أحد أطراف الصراع جعلها « محايدة » بين طرفيه !

ولعل الخلط بين ((الحيــاد)) والتحييد هو الذى أوجد هــذا الخلاف فى وجهات النظر بشأن الدعوة الى تحييد أمريكا ، أو أى خصم آخر .

فهو خلاف يمكن أن يوصف بأنه ظاهرى ويرجع الى اختلاف فى تفسير التعبير أو فى استخدامه .

ان ((التحييد)) كلمة قريبة من ((الحياد)) والاثنان مشتقان من أصل لغوى واحد .. ولكن هذا هو كل ما بينهما من صلة .

فالحياد موقف بين طرفين ، وهو يقتضى وجود طرفين لخصومة .. يتخذ منهما طرف ثالث موقفا متوازنا غير متحيز لأى منهما أو ضد أى منهما .

أما التحييد وهو تعبير غير شائع الاستعمال فى اللغة العربية فانه لا يشترط وجود خصومة وليس بالضرورة موقفا بين أطراف نزاع.

انك تســتطيع أن ((تحيــد)) عدوا أو منافسا أو أى نوع من أنواع الخصوم . فى مواجهتك وحدك ، وتحييد جهة ما لا يستلزم

وجود خصومة بينك وبين آخرين لكى تجعل هـذه الجهة يدة بينك وبينهم . الخصـومة يمكن أن تكون مع هـذه الجهة وحدها وجهودك فى التحييد منصبة عليها ذاتها .

وعملية التحييد بهـذا المعنى Neutralise لا صـلة لهـا بالحياد Neutrality .. الهم الا الاشتقاق من الأصل الواحـد لكلمة محايد Neutral .

ان تحييد الخصم معناه اخراجه من الخصومة ، أو كف أذاه أو العمل على احبـاط أهدافه وضرب كل قـدرة له على ممارسـة خصومته .

، ولقد يحتاج أمر هذا التعبير ــ المستحدث فى العربيـة ــ الى الاستعانة بمثال من لغته الأصلية .

توجد مع بعض رجال الشرطة فى بريطانيا ، أنابيب صغيرة تحمل عبارة تقول ان هذه الأنبوبة « تحيد » الخصم تماما لفترة زمنيـة معينة . فرجال الشرطة فى بريطانيا لا يحملون أسلحة نارية بحكم القـانون ، ولكنهم بحكم واجبهم فى منـع وقوع الجرائم وضبط المجرمين قد يتعرضون لخصوم مسلحين . ولذلك فقد سمح لهم بحمل هـذه الأنابيب التى تحتوى على مواد كيمائية اذا أطلقت فى وجه الخصم فانها تصيبه بشلل تام وتفقده القـدرة على الحركة لفترة تكفى لنزع سلاحه .

ان عبارة « التحييد » معنـاها ــ كما يتضح من هـذا المثال ــ التغلب على خصومة خصم ، وليس وقوفه على « الحيـاد » بين اطراف خصومة .

والدعوة الى تحييد خصومنا تعنى التغلب على خصومتهم .. اما باخراجهم من الخصومة أو بكف أذاهم أو بسلبهم القدرة على أن يمارسوا ضدنا أفعال الخصوم .

ان الدعوة الى ... امريكا ليس معناها اننا سنجعلها ... على ... د بيننا وبين اسرائيل . ولكنه مسعى ... ان نسعى فيه ، فمثلما نحرص على ان نحصل من اصدقائنا على صداقة ومساندة اكبر ، ... ان نعمل على ان نلقى من خصومنا خصومة و ... ربة اقل .

ان التحييد هنا ليس معناه طلب اتخاذ موقف محايد بيننا وبين غيرنا انه عمل مباشر يستخدم كل ما هو متاح لنا من وسائل الضغط ــ وما أكثرها بالنسبة لأمتنا العربية ــ لاقناع الولايات المتحدة أن مصالحها فى هذه المنطقة هى التى ستضار اذا لم تغير موقفها منا ومن صراعنا ضد عدوان اسرائيل .

على هذا الضوء لا يكون هناك خلاف حول أهمية ... امريكا او اى خصم آخر .

ليتنا نستطيع ــ مستخدمين كل ما بين ايدينا من وسائل وقدرات على الضغط ــ أن ... امريكا ، بهذا المعنى ، ... ا كاملا أو حتى جزئيا .

اقول ذلك مفترضا ان هذا هو ما ... من ((التحييد)) الداعون الى ... امريكا . كما ا ... أن المعترضين عليه او ... نين ان هذا المسعى هباء لابد أن يكونوا ... لبس أو سوء فهم لهذا التعبير .. اوقعهم فى خلط بين الحياد والتحييد . !

قاموس الحرب والاسترخاء العسكرى

ان تعبير « الاسترخاء العسكرى » يبدو غريبا عن كل ما اصطلح على استخدامه من تعبيرات فى وصف المواقف العسكرية . والموقف فى الشرق الأوسط بصفة خاصة !!

هل يقبل ضمير عربى واحد بالاسترخاء على حساب القضية ؟

هل نخلد الى الراحة ونركن الى السكون وأجزاء من ارضنا محتلة ، والمؤامرة الصهيونية على مستقبلنا مستمرة ؟ !

« ٢٤ يونيو ١٩٧٢ » .

فى البيان المشترك ، الذى صدر عن محادثات الزعماء السوفييت مع الرئيس الأمريكى نيكسـون فى موسكو .. اشـارات الى ازمة الشرق الأوسط .. ولأزمة الشرق الأوسط جانبـان أو أن لهـا مجموعتين من المعالم ..

أولا مجموعة المعالم السياسية :

التى تبـدأ بالمخطط الصهيونى لسلب هـذا الجزء من الأرض العربية واقامة دولة تدعى تمثيل اليهودية العالمية فيه ، ثم العمل على تثبيت هـذا الكيان المصطنع ودعمه بربطـه بقوى وسياسات دولية ، ثم التوسع فيه على حساب مزيد من الأرض العربيـة الى منـاطق تتصور اسرائيل انهـا ستوفر لها معنى الحـدود الآمنة (طبيعيا) ودون حاجة الى دفاع عسكرى خارق للعادة .. وأخيرا بذل جهد خاص لاقناع العالم العربى بضرورة التعايش مع هـذه الدولة الغريبة عنهم بل والتعامل معها . وبما يتوافر لهذه الدولة من اعتماد ثابت ومضمون على أرقى ما وصلت اليه الخبرة الفنيـة العالمية والمعونة المـادية ، يطمح المخطط الصهيونى أن تكون لهـا السيطرة على المنطقة كلها ..

ثانيا مجموعة المعالم العسكرية :

وتتمثل فى أن دولة الصهيونية هذه قامت أصلا بقوة السلاح ، وبقوة السلاح وسياسة (الأمر الواقع) العسـكرى ، ثبتت وجودها خلال الفترة من قيامها عام ١٩٤٨ حتى الآن . وبالقوة المسلحة طردت مئات الآلاف من أصحاب الأرض التى أقامت عليها دولتها فخلقت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين . وفى عدوان عسكرى تواطأت فيـه بريطانيا وفرنسا عام ١٩٥٦ فتحت لنفسها طريقا الى البحر الاحمر ـ أى الى افريقيا والشرق الاقصى ـ ثم اخيرا قامت بهجومها العدوانى

على الدول العربيـــة المجاورة لها واحتلت مساحات شاســعة من أراضيها ، ورفضت الانسحاب منها رغم مطالبة العالم كله لها بذلك ممثلة فى القرار الاجماعى الشهير الذى أصدره مجلس الامن .

وقد نشأ عن هذا الموقف .. سلسلة من الاشتباكات والتراشقات والهجمات المحدودة من كلا الجانبين عبر خطوط وقف اطلاق النار ، هددت أكثر من مرة باشتعال مواجهة عامة فى المنطقـــة ، ولابد أن تؤدى الى ذلك يوما ما . فالدول العربيـــة التى احتلت أجزاء من أراضيها بالقوة المسلحة ليس أمامها الا أن تحررها بالقوة المسلحة ، طال الأمد أم قصر . وقد أعلنت مصر عن تصميمها على تحقيق هـــذا الهدف ، وهو تصميم تشفعه كل يوم بمزيد من الاستعداد وتهيئة الأسباب الكفيلة بتنفيذه .

هذه باختصار هى مجموعة العالم السياسية والعسكرية لأزمة الشرق الأوسط ، الملتهبة أو المشحونة بعوامل الانفجـــار ، وهو انفجار قد لا يقتصر على المنطقـــة ان حدث ، فهناك أســـباب جادة وتشابكات عديدة تجعل امتداد الصدام الى أبعد من أطرافه المحليين احتمالا قائما .

ولعل هذه الاحتمالات .. هى التى فرضت نفسها على مباحثات القمة الثنائية فى موسكو وبسببها جاء كل ما ورد فى البيان المشترك الذى صدر فى ختامها .

ولا شك أن وضـــوح وجه الحق فى القضـــية هو الذى جعل الجانبين رغم ما فى موقفهما منها من تناقض واختلاف كبير يتفقان على رأى واحد فيها ، سواء بالنسبة لجانبها السياسى أو العسكرى.

● **بالنسبة للجانب السياسى :**

أعلن الجانبان تأييدهما للتسوية السلمية وفقا لقرار مجلس الامن ، وأعربا عن رغبتهما فى المساهمة فى انجاح المهمة التى أناطها

القرار بالمبعوث الخاص لسكرتير عام الأمم المتحدة ، جونار يارنج ، الذى وجها الدعوة الى الأطراف المعنية أيضا للتعاون البناء معه .

وبالنسبة للجانب العسكرى :

استخدم البيـان السـوفييتى ـ الأمريكى تعبيرا غير مألوف وليس شـائع الاسـتعمال هـو Military relaxation الذى ترجمناه بعبارة « الاسترخاء العسكرى » !

ووجه الغرابة فى هـذا التعبير ـ بصرف النظـر عن مدلوله والمقصود منه لدى كل طرف من الطرفين اللذين ضمناه هذه الوثيقة ـ انه تعبير مقحم على القاموس العسكرى ، جديد فى اشارته الى الموقف فى المنطقة أو أى وضع عسكرى أيا كان .

ان الحديث عن أى وضع عسكرى لابد أن يدور فى اطار تعبيرات معينة ، ولا يخرج عن مجموعة من الكلمات هى وحدها القادرة على وصف هذا الوضع أو تطوراته على وجه التحديد .

ان التعبيرات المتداولة فى أى موقف عسكرى تكاد تكون محددة على سبيل الحصر وهى :

الصراع ، التسلح ، نزع السلاح ، الأسلحة التقليدية ، الأسلحة الصاروخية والنووية ، الحشـد العسكرى ، تكديس الأسلحة . توزيع القوات ، الهجوم المفاجىء ، الحرب الوقائية ، الضربة المجهضة. الاشتباكات ، وقف اطلاق النار ، تثبيت الوضع ، الهدنة ، المناطق منزوعة السلاح ، التسوية ، انهاء حالة الحرب .

ولذلك .. فان تعبير « الاسترخاء العسكرى » يبدو غريبا عن كل ما اصـطلح على اسـتخدامه من تعبيرات فى و المواقف العسكرية .. والموقف فى الشرق الأوسط خاصة .

ونعود الى موقف الأطراف المعنية ، أو الأطراف المطلوب منها أن تلزم جانب « الاسترخاء العسكرى » .

والأطراف المعنية مباشرة ، وبصـفة أصيلة فى الموقف ، هى الدول العربية .. واسرائيل .

● **بالنسبة للدول العربية :**

فان أحدا فيهـا لا يمكن أن يكون ضـد زوال أسباب التوتر السياسى والعسكرى ، أو يكره أن يرى بلاده تنعم بالاسترخاء وتلقى عن كاهلها أعباء حالة التأهب العسكرى وتكاليفها الضخمة وما تضعه هذه الحالة من قيود على خطط التنمية .. ولكن ..

((**ولكن**)) هنا .. فى غاية الأهمية ..

هل يقبل ضمير عربى واحد بالاسترخاء على حساب القضية ؟!

هل نخلد الى الراحة ونركن الى السـكون وأجزاء من أرضنا محتلة . والمؤامرة الصهيونية على مستقبلنا مستمرة ؟!

اننا اذا أردنا أن ننعم بالاسترخاء حقا ، نحن وأجيالنا القادمة، فلابد أن نتحمل نحن وهذه الأجيال مسئوليتنا ازاء مستقبلنا كله ، وأن نقبل التحدى المفروض علينا .. نقبله بأسلوب العصر وبأسلحته كلها .. بالجدية وبالتعليم وبالاصرار على النصر وبالثقة فى عدالة قضيتنا وفى قدرتنا على أن نتحمل أعباء الموقف الذى ارتضيناه ، واضعين فى اعتبارنا انه يجب ألا يكون هناك أى قيد على موعد فتحنا للمعركة الا توافر أكبر ضمانات النصر وأقصى درجات الاستعداد .

والى أن يتحقق ذلك .. الاستعداد الكافى ، وتوافر أسـباب ضمان النصر ، ثم تحقيق نتيجته فى صالحنا للقتـال .. فلا مكان للاسترخاء فى حياتنا .

وبالنسبة لاسرائيل :

فان التاريخ القريب للحركة الصهيونية يحفل باشارات كثيرة الى نظرة اسرائيل لكل من الاسترخاء والتوتر العسـكرى ، والى كيفية استغلال قادتها للحالتين على السواء فى خدمة مخططهم .

مثلا .. فى أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات .. كان زعماء الصهيونية وقادة العصابات الصهيونية المسلحة فى فلسطين (الهاجاناه والبالماخ) يقنعون الأهالى اليهود بأنهم لكى يتمكنوا من اقامة دولة لهم فى فلسطين يجب أن يناضلوا ضد السياسة البريطانية فيها ، رغم أن هذه السياسة هى التى أعطتهم وعد بلفور بجعلها وطنا قوميا لهم ثم سلمتهم البلاد مع انتهاء أجل الانتداب الذى كانت عصبة الأمم قد منحته لبريطانيا على فلسطين .

وكانت ذريعة قادة الصهيونية فى ذلك .. ان الحكومة البريطانية أعلنت عام ١٩٣٧ ما يسمى بسياسة « الكتاب الأبيض » وهى وثيقة أعلنت فيها بريطانيا تحديد الهجرة اليهودية الى فلسطين ، بما يضمن عدم اختلال النسبة القائمة وقتئذ للجاليتين العربية واليهودية فى فلسطين .

وبطبيعة الحال لم تكن بريطانيا تعنى ذلك ، وانما أعلنت الكتاب الأبيض كنوع من محاولة تهدئة الثورة العربية التى اشتدت بصورة ضخمة عام ١٩٣٦ ضد تزايد التغلغل اليهودى فى الأراضى الفلسطينية وضد بريطانيا نفسها - دولة الانتداب - التى استغلت وضعها لمساعدة المخطط الصهيونى لسلب فلسطين كلها من أصحابها العرب.

وكان أكبر دليل على نفاق وكذب زعماء الحركة الصهيونية فى ذلك الوقت انه ما ان قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ حتى تطوع كل يهود فلسطين القادرين على حمل السلاح فى الجيش البريطانى وقال بن جوريون محاولا تبرير هذا الوضع المفضوح .. « اننا نخوض الحرب العالمية الى جانب بريطانيا وكأنها لم تعلن الكتاب الأبيض ، ونحارب الكتاب الأبيض وكأنه ليست هناك حرب عالمية » !

كان زعماء الصهيونية يريدون فى الحقيقة ان تظل أعصاب الجالية اليهودية فى فلسطين مشدودة ، متوجسة الاخطار مشتبكة

فى رك .. معارك ضد الأهالى العرب ومعارك ضد البريطانيين أحيانا ومعارك ضد قوات المحور فى صفوف القوات البر يطانية .

وكان هؤلاء الزعماء يبثون الشائعات وسط المجتمع اليهودى فى فلسطين .. بأن قوات المحور ستصل الى فلسطين لتفتك بهم وتبيدهم عن آخرهم ، وأن هذا المجتمع قد يجد نفسه فى وضع شبيه بوضع أسلافه الأقدمين فى (الماسادا) عندما حوصر اليهود حتى انتحروا جميعا فى المعقل الذى احتموا به على البحر الميت عام ٧٠ بعد الميلاد . كانوا يقولون لهم اننا قد نضطر الى تكرار (الماسادا) وهدفهم من ذلك أن يجعلوهم يعيشون فى توتر دائم .

ويعترف « ايجال آلون » قائد قوات العصابات اليهودية « الهاجاناه » فى ذلك الوقت ونائب رئيسة وزراء اسرائيل الآن .. يعترف فى سرده لقصة قيام اسرائيل ، بأنه عندما تحول تيار الحرب العالمية الثانية ضد المحور ، وعندما حقق الحلفاء نصرهم التاريخى فى العلمين ، بدأت المجموعات القتالية اليهودية تشعر بشىء من « الاسترخاء » الأمر الذى أزعج القيادة ، فلجأت الى بعض العمليات التى لا تقصد من ورائها الا « التسخين » ووقف ما لاحظته من تقلص الشعور بالخطر لدى وحداتها .

هى صورة « الاسترخاء العسكرى » كما تنظر اليه قيادة الصهيونية ، من واقع تاريخها وخبراتنا معها . وهى بالطبيعة ا فا جوهريا مع أى استرخاء على الجانب العربى .. تختلف فى طبيعتها وفى فها وفى كيفية استفادة كل جانب منها .

وبالنسبة لنا .. فان المهم هو أن نعرف كيف نستخدم كل .. الاسترخاء أو التوتر فى تحقيق و قضيتنا ، وهى فى المقام الأول .. تحرير أرضنا والعمل على حصر ا الصهيونى المتربص بنا .

الحساب .. وإعادة الحساب

فى حالتنا هنـا وبالنسبة لموقفنـا المصيرى ، لايكفى ان نحسن الحساب ونكون على أكبر قدر من الدقة فى تقديراتنا . بل يجب علينا أن نراجع هذا الحساب من وقت لاخر . أى أن نعيد حساباتنا وفقا لتغير الظروف أن تفكيرنا الاستراتيجى يجب أن يتسـم بالمرونة وبالنفس الطويل ، وبالصـدق مع النفس ، والشـجاعة الأدبية .

« ٢٢ يناير ١٩٧٢ »

فى عالم اليوم تقوم علاقات الحرب والسلام على ما يعرف باسم « ميزان الرعب النووى » أى وجود قوة ضاربة نووية لدى كل جانب تردع الجانب الآخر عن مجرد التفكير فى استخدام ما لديه من قوة نووية فى توجيه ضربة ضده .

وفى مثل هذا العالم يستحيل وقوع اشتباك حقيقى بين الجانبين، الا فى حالة واحدة ، وواحدة فقط هى الخطأ فى الحساب أو سوء التقدير Miscalculation

وتجمع التحليلات السياسية والاستراتيجية ، كما يؤكد المنطق البسيط ، على أنه لا يمكن أن تقع الحرب بين القوتين الأعظم فى العالم. أو أى قوة أخرى تنضم الى نادى القوى العظمى بتطوير قوة نووية خاصة بها .. الا نتيجة لهذا الخطأ فى الحساب .

ذلك أن الطرف الذى قد تراوده نفسه باستخدام قوته النووية ضد عدوه ، يعلم مقدما أن الضربات المضادة التى سيتلقاها ـ والتى لا سبيل الى تجنبها حيث ستوجه من قواعد متحركة (على شكل غواصات تجوب أعماق المحيطات وطائرات استراتيجية تتناوب الدوريات فى أجواء طليقة بل وقطارات وعربات ضخمة) أو قواعد ثابتة أحسن التمويه عليها واخفاؤها حيث أقيمت تحت سطح الأرض وفى أعماق بعيدة داخل حدود بلادها ـ يعلم جيدا أنه حتى اذا استطاع أن يحقق ميزة تكتيكية على عدوه بالمبادرة والسبق فى توجيه الضربة ، فانه لن يلبث حتى يواجه المزايا الاستراتيجية لهذا العدو ، ولن تمضى دقائق كثيرة الا وتكون أرضه وأهدافه كلها معرضة للرؤوس النووية التى تمطره بها الطائرات المحلقة ابدا فى السماوات

المفتوحة ، أو التى تحملها الصواريخ المنطلقة من قواعدها الثابتة والمتحركة ، وتنزل به دمارا قد يقصر عن تصويره كل ما قيل فى وصف يوم الجحيم .

الميزة هنا ، ودرجة التعرض كذلك .. متوازنة ومتساوية بين الطرفين . وهذا هو ما يجعل المواجهة المباشرة بينهما مستبعدة تماما بل مستحيلة .

هكذا فان العامل الرئيسى لحفظ السلام وعدم هلاك العالم هو حرص كل طرف على سلامة تقديراته وعدم وقوعه فى ا ' ' القاتل .. الخطأ فى الحساب .

هذا عن الاستراتيجية الكونية .. فاذا انتقلنا الى الاستراتيجيات المحلية نجد ن دقة الحسابات وسلامتها تكتسب أهمية متزايدة ، لأن الحسابات هنا تنصب على الظروف والاعتبارات المحلية ، فضلا عن ضرورة مراعاتها للظروف الدولية وما يطرأ على الموقف الدولى من متغيرات .

معنى ذلك انه فى حالتنا هنا وبالنسبة لموقفنا المصيرى ، لا يكفى أن نحسن الحساب ونكون على أكبر قدر من الدقة فى تقديراتنا ، بل يجب علينا أن نراجع هذا الحساب من وقت لآخر .. أى أن نعيد حساباتنا وفقا لتغير الظروف . ان تفكيرنا الاستراتيجى يجب أن يتسم بالمرونة وبالنفس الطويل ، وبالصدق مع النفس والشجاعة الأدبية ، وهى عناصر ضرورية فى كل تخطيط نريد أن نواجه به المستقبل ، ونتجاوز أخطاء الماضى . وأى خطأ فى حسابات الماضى يجب ألا يكبل حركتنا والا يعوقنا عن التصحيح نتيجة برة

وعدم القدرة على نقد ات كمن تاخذهم العزة بالاثم ، بل انه . . . ان يكون حافزا اضافيا لاعادة الحساب، يضاف الى العوامل والمتغيرات الدولية التى تفرضه علينا .

ولعل القرار الذى اتخذه الرئيس أنور السادات فى ديسمبر الماضى باعادة الحساب نتيجة لما طرأ على الموقف الدولى وعلى موازين القوة الدولية من متغيرات تمثلت فى اختلاف « التقسيمة » الدولية فى حرب الهند والباكستان .. لعل هذا القرار سوف يخلد فى تاريخ مصر والأمة العربية كنموذج لليقظة القومية التى تحرص فيها قيادة رشيدة لأمة فى مرحلة فاصلة من تاريخها على أن تستوحى قراراتها من وعى مستنير لاترعى فيه غير مصلحة شعبها والمصلحة القومية العليا ، على نحو ما أوضح القائد المسئول فى بيانه الأخير الى الأمة .

لقد نبه أنور السادات الى أن عدونا حقق كل ما حققه ، على حساب أمتنا وبما يهدد مستقبلنا ـ رغم وضوح حقنا وسفور باطله ـ لأنه وضع مخططه على أساس بعيد المدى وعلى مستوى الأجيال ، ولأن هذا الاعتبار كان على الدوام غائبا عن تخطيطنا فى مواجهته . الطريق الوحيد الى النصر فى قضيتنا هو عدم الانزلاق الى أى خطأ فى الحساب .. وحتى بعد أن يصبح لدينا حساب دقيق وصحيح ، فانه لابد أن يكون حسابنا هذا مرنا بقدر ما هو صحيح ، بحيث نعيد تقديره كلما نشأ من المواقف المحلية أو الدولية ما يدعو الى ذلك .

ان بشائر النصر تلوح فى الأسلوب من التفكير والتخطيط فى مجال عملنا القومى .. ان اول الطريق الى ر على العدو هو

الانتصار على النفس وتخليص ... من كل العيوب التى تسببت — أو على الأقل ساهمت — فى كل ما حاق بها من هزائم ونكسات .

اننا اليوم نعيـد النظر فى الكثير من جوانب حياتنا وأساليب تفكيرنا والطريقة التى نواجه بها التحدى المصيرى الذى نتعرض له .. اننا نقوم بعملية « اعادة حساب شاملة » وبقـدر ما نأخذ به أنفسنا من جدية وعلمية واخلاص فى هذا المسعى الذى لا نعرف لمستقبلنا مسعى أشرف منه وأجدر بالالتزام . بقدر ما تكون فرصتنا فى النجاح ويكون أملنا فى النصر .

الأمل الأخير للسلام

ان تعليق الأمل على عودة ... الى
الأمم المتحدة لن يكون ... يا الا اذا
كان هناك من المتغيرات فى حقائق المو...
بالمنطقة مايبشر بتغيير فى اسلوب ...
الدولية فى معالجة ا... أو فى
أسلوب اسرائيل فى الاستجابة لما تقرره
المنظمة .

« ٢٧ نوفمبر ١٩٧١ »

بعد أيام تبدأ الجمعية العامة فى نظر مشكلة الشرق الأوسط . والقضية بأبعادها لية ليس فيها جديد يستحق اعادة النظر ، فهى ــ بالتعبير القانونى ــ قد سبق الفصل فيها . أى أن الأمم المتحدة عندما تتصدى لبحثها لا تبدأ من فراغ وانما تواصل البحث فى أمر سبق لهــا بحثه تفصيليا والالمام بكل الاعتبــارات المتصلة به .

لقد بحثتها المنظمة الدولية من قبل بصورة وافية ، واستعرضت وقائعها وظروفها وتشابكاتها المحلية والدولية ، وكان الضمير العالمى على وعى كامل بتعقيداتها وما تنطوى عليه من أخطار على السلام .. ومن هذا الواقع المشحون بعوامل التفجر ، صدر قرار مجلس الأمن فى نوفمبر عام ١٩٦٧ باجماع الآراء متضمنا أسس التسوية التى تحفظ الســلام .

وقد رفضت اسرائيل القرار فى حينه .. كما رفضت بعد ذلك التعاون مع كل الجهود التى بذلك لتنفيذه .

معنى ذلك أن هناك تناقضا خطيرا بين ما يتفق عليه الرأى فى المنظمة الدولية ، وما يجرى فى المنطقة موضوع البحث .

الضمير العالمى يجمع على ضرورة انسحاب اسرائيل .. وفى المنطقة ترفض اسرائيل الانسحاب وتصر على تحدى الاجماع الدولى .

ونفس الموقف تتخذه اسرائيل من الجهود التى يبذلها مبعوث الأمم المتحدة لوضع ترتيبات تنفيذ القرار والجهود والمبادرات التى تتقدم بها مصر لتحريك الموقف من جموده الحالى . وحتى الجهود أو ادعاءات الجهود التى تبديها الولايات المتحدة ــ الدولة التى تعتمد عليها اسرائيل اعتمادا كليا ــ لا تلقى منها الا نفس المصير .

واذا كان ذلك هو خلاصة الموقف وحقيقته البسيطة ، فان تعليق الأمل على عودة القضية الى الأمم المتحدة لن يكون مجديا الا اذا كان هناك من المتغيرات فى حقائق الموقف بالمنطقة ما يبشر بتغيير

فى اسلوب المنظمة الدولية فى معالجة المشكلة أو فى أسلوب اسرائيل فى الاستجابة لما تقرره المنظمة .

أن مواقف أطراف النزاع داخل الأمم المتحدة ومواقفهم من القرارات التى تتخذها ، تمليها وتتحكم فيها حقائق النزاع نفسه .. وعلى رأسها حقائق القوة لدى كل طرف ومدى ما يعرفه عنهـا الطرف الآخـر .

وتعرف اسرائيل جيدا أن شعب مصر الآن يتأهب كله للقتال وان جيش مصر ينتظر الأمر بفتح النار ، وأصدقاء اسرائيل وأعداؤها يعرفون ذلك أيضا .

هذا هو الجديد الوحيد فى الموقف ، أو على الأقل هو الجديد الهام .. حسابات القوة لدى اطراف النزاع وما يطرأ عليها من تغيرات .

وحسابات القوة لا تعنى حساب قوة النيران فقط .. ولكنها تتسع لتشمل حساب درجة الجدية فى التعامل مع الموقف ، والقدرة على التأثير الدولى والحصول على أكبر قدر من تأييد الأصدقاء وتحييد أكبر قدر من الخصوم . كل هذا يدخل فى الحساب . وما يحدث فى الأمم المتحدة بعد ذلك ليس سوى انعكاس لذلك كله .

ان الأمم المتحدة قد سبق لها الفصل فى القضية ، ومع ذلك فانه لم يكن لقرارها قيمة عملية بالنسبة لحلها . ولكنها وهى تعود الى بحثها اليوم ، فى ظل المتغيرات التى حدثت فى المنطقة ولدى الأطراف المعنية ، لا بد أن يكون أسلوبها فى بحثها ونوع الاستجابة لقرارها ا[illegible] سا واضحا [illegible] ئق الموقف بأبعاده المختلفة . واذا لم [illegible] ذلك فان فرصة أخيرة للسلام قد تضيع .

الأهم هو قرارنا نحن

وليكن موقف العدو ما يكون . فليذعن أو لا يذعن لقرارات الأمم المتحدة ، وليعتمد على من يشاء من أصدقائه ومؤيديه ومن يمدونه بأسباب التشدد والصلف ، بل وبأسباب الوجود نفسه . المهم هو قرارنا نحن ، وموقفنا نحن على هذه الناحية من خط المواجهة .

« ٢٥ ديسمبر ١٩٧١ »

قرار الجمعية العامة للامم المتحدة بشأن قضية الشرق الأوسط يحمل عددا من الدلالات الايجابية بالنسبة لموقفنا ..

فهو يعنى ان موقفنا ـ دوليا ـ أصبح من القوة والايجابية بحيث يستطيع أن يتغلب على كل ما للولايات المتحدة من قدرة على استخدام المنظمة الدولية أداة فى تنفيذ أهداف سياستها الخارجية.

كما يعنى موقفنا الداخلى السليم كان له من ثقل التأثير فى المستوى الدولى ما جعل الأغلبية العظمى من دول العالم ـ وخاصة دول أوربا الغربية التى لم يكن هذا هو موقفها من قبل ـ تأخذنا مأخذ الجد ، وتعيد حساباتها بما يتناسب مع ما للموقف الجديد من خطورة وجدية .

وتقوم ايجابيات موقفنا ـ دوليا وداخليا ـ على عنصرين اساسيين .

أولا : اننا لا نخاطب العالم بلسان ونخاطب الداخل بلسان آخر ، فلما نعلنه على العالم هو نفسه ما يعرفه شعبنا كله من حقائق موقفنا . ولعل تصريحات الرئيس أنور السادات للصحافة العالمية ابرز مثال لذلك .

وثانيا : ان العالم يلحظ الدرجة العالية من الجدية والواقعية فى أوضاعنا الداخلية .. فهناك تصميم واجراءات محددة لبناء دولتنا على اسس جديدة ، وهناك انسجام بين ما نقول وما نفعل ، فاذا كنا نتحدث عن المعركة ، فان استعدادنا لها أكبر واذا كنا نرفع شعار السلام فاننا نعنى ما نقول . ولقد عبر موريس شومان وزير خارجية فرنسا عن هذه الحقيقة بقوله .. أن موقف مصر يتسم بالمرونة والايجابية ولا يسع أى دولة الا أن توافق عليه .

هكذا تم التفاعل بين موقفنا وحقائق الموقف الدولى فأدى الى هذه النتيجة التى حصلنا عليها من الأمم المتحدة . وهناك من الدلائل ما يشير الى أن قرار الجمعية العامة الأخير سيؤدى الى تحريك

الموقف كله . فقد بدأ السكرتير العام أوثانت يبحث مع ممثله جونار يارنج الاجراءات الخاصة بتنفيذ القرار .

ولكن .. ماذا علينا الآن بعد نجاحنا فى الحصول على قرار من الأمم المتحدة يؤيد موقفنا فى ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من أراضينا .

وبلا أى أوهام ، ودون أن نعطى القرار قيمة أكبر من حجمه الحقيقى (فى ضوء الظروف السائدة وحقائق الصراع) .. فان القرار ولا شك خطوة هامة بل وضرورية فى استراتيجيتنا العامة لمواجهة الموقف ، بما تحتويه من تحركات سياسية وعسكرية واعلامية .

القرار يؤكد حقنا فى تحرير أراضينا .. وهو ما يضفى شرعية دولية على جهدنا الحالى وكل جهودنا المستقبلة لعملية التحرير . واذا كان قرار الأمم المتحدة يقر حقنا فى ضرورة خروج قوات الاحتلال من أراضينا فانه مع ذلك غير « منشىء » لهذا الحق وانما هو مجرد « كاشف » له ، أى أن حقنا هذا مستقر بالقرار وبدون القرار ، وكل ما للقرار من دور فى مسار النزاع وتطوراته المقبلة ، هو أنه حمل اعتراف الضمير العالمى الرسمى بهذا الحق . وعلى ذلك فان القرار يحمل ــ ضمنا ــ معنى الموافقة واقرار بكل ما قد نتخذه من اجراءات اعمالا لما لنا من حق .

ومن الواضح أن اسرائيل تفهم القرار على هذا النحو ، وتدرك أن الأمم المتحدة ليست نهاية ا ف بالنسبة المصرية ، وان صبر مصر لم يكن سوى جزء من حساب دقيق ومستنير وانه ليس أكثر من حرص على استنفاد كل وسيلة سلمية قبل بدء القتال .

وتحركات اسرائيل وتصريحات زعمائها السياسيين وقادتها العسكريين الآن أبرز مثل على ذلك .. « أبا ايبان » يصرح بأن القرار سيوضع على الرف مثله مثل غيره من قرارات المنظمة الدولية لأن اسرائيل لا تقبله ، وان مهمة يارنج لن تحظى بأى تنشيط

مادام يصر على الرد ايجابيا على مذكرته فى ٨ فبراير الماضى (التى ردت عليها مصر بالايجاب) .. القوات تتحرك على الحدود السورية والمصرية وتصلها تعزيزات كبيرة تحرص اسرائيل على عدم اخفاء أمرها ، وكبار القادة وقواد الجبهات بل ورئيس أركان الحرب ووزير الدفاع يزورون الخطوط الأمامية (علنا) ويطلقون من هناك التصريحات الملتهبة .

ووسط هذه الضجة العسكرية والاعلانات ، يكون من المهم لنا أن نواصل عملنا وفق مخططنا الاستراتيجى الشامل ، والا نسمح لمناورات العدو بأن تصرف انظارنا عن الهدف .

فليقبلوا أو لا يقبلون احياء مهمة يارنج .. أن هذه المهمة نص عليها قرار مجلس الأمن عام ١٩٦٧ وأكدتها قرارات المنظمة الدولية منذ ذلك الوقت وكان آخرها قرار الجمعية العامة الأخير ، ان المهمة والقرار نفسه وكل قرارات الأمم المتحدة ، مسائل تتعلق بهيئة المجتمع الدولى والاحترام الذى يجب ان يحرص على توافره لقراراته ، والا فما جدواها ، وما هو مصير الامم المتحدة نفسها !

والمجتمع الدولي قادر على الضغط من اجل تنفيذ ارادته ـ وميثاق الأمم المتحدة يسمح بذلك ـ فهناك عقوبات اقتصادية يستطيع ان يفرضها مجلس الأمن . كذلك فان الولايات المتحدة بالذات تستطيع ان تضغط وليس صحيحا ما تدعيه من أنها لا تستطيع أن تضغط ، ولن يكلفها ، الكثير ، فيكفى ان تعرف ان ((علاقاتها صة جدا)) باسرائيل ، وتاييدها بغير حساب وفتح ترسانة أسلحتها لها بهذا الشكل غير المسئول أو ى يزيد من الأزمة ، وقد يصل بها الى آ خطيرة تجعلها خارج ق كل سيطرة .

أن المقاتل المصرى فى البر والبحر والجو يقف اليوم فى انتظار الأمر ويده على الزناد .. ورغم انه لم يضغط بعد على الزناد ،

فان الأصوات تنطلق من اسرائيل مرددة احاديث « الهجوم المضاد المسبق » « والضربة المجهضة » ونقل ساحة القتال من الجبهة الى العمق .

الغرور نفسه وأسلوب التفكير العدوانى نفسه ، الذى لم يكن ليوجد لو لم يكن وراءه تأييد مضمون بلا حدود ومعين لا ينضب من السلاح والذخيرة .

وليكن مو العدو ما يكون .. فيذعن او لا يذعن لقرارات الأمم المتحدة ، وليعتمد على من يشاء من أصدقائه ومؤيديه ومن يمدونه بأسباب التشدد والصلف ، بل وبأسباب الوجود .. المهم هو قرارنا نحن ، ومو نحن على هذه حية من خط المواجهة .

وقرارنا واضح وحاسم ولا ر فيه .. اننا نصر على تحرير ارضنا وعلى اعادة بناء بلدنا وتصحيح حياتنا كلها . أما الخطوات والاجراءات التي سنصل بها الى تنفيذ هذا القرار ، فهى الآن موضع دراسة و ، فى مشاركة ديمقراطية واعية وصادقةبين ا دة والأجهزة المختصة وممثلى الشعب كله .

الفيتو الأمريكى

لقد رأى واضعو ميثاق الأمم المتحده فى سان فرنسسكو عام ١٩٤٥ أنه نظرا لخطوره قرارات مجلس الأمن وما لها من صلة بمسائل تتعلق بالحرب والسلام ، وحرصا منهم على اعطاء وضع ممتاز للدول التى خرجت من الحرب منتصره ـ وهم أنفسهم كانوا أصحاب الكلمه العليا فى وضع الميثاق ـ رأوا أن يضمنوا الميثاق ماده استثنائية ، تكسر القواعد العامة فى التصويت ، وتبيح لأى دوله من الدول الخمس صاحبة العضوية الدائمة فى مجلس الأمن ، أن تدفن أى قرار فى مهده ، وأن تمنعه من أن يرى النور مهما كانت أغلبية الأصوات التى حصل عليها .. وحتى لو أجمع عليه كل الأعضاء .

« ٤ أغسطس ١٩٧٣ » .

استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية ((الفيتو)) ضد مشروع القرار ص بمشكلة الشرق الأوسط فى مجلس الأمن ، وحققت بذلك ـ وبخبطة وا ـ كل أهدافها ..

قتلت القرار الذى يدين اسرائيل ويطالبها بالانسحاب .

ابقت القضية فى طريقها المسدود ..

حالت دون انهاء اللبس الذى أحاط بالقرار السابق رقم ٢٤٢ حول الانسحاب الاسرائيلى ، وهل يكون من (جميع) الأراضى التى كسبتها اسرائيل بالحرب أو من (أراض) دون أخرى تبعا لرغبة المعتدين أنفسهم وهو ما تتعلل به اسرائيل وفقا لما تسميه اعتبارات أمنها .

((الفيتو)) أو حق الدول الخمس الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن فى الاعتراض على القرارات لمنع صدورها .. هو سلطة استثنائية وحق غير طبيعى . أنه ((مكنة)) ـ على حد تعبير نونيين ـ لصاحبها أن يستخدمها أو لا يستخدمها ، وهو لايستخدمها الا اذا أعيته الوسائل الطبيعية ، وفشل فى الوصول الى ما يريد بالطرق المعتادة .

والأصل فى عملية اصدار القرارات ، هو انها تصدر باغلبية الأصوات ولكل دولة أن تصوت بالموا أو الرفض أو تمتنع عن التصويت ، ومن مجموع الأصوات الحاضرة والمشتركة فى التصويت بالموافقة ، يتكون ((الصوت الايجابى)) الذى تصدر به القرارات وقد رأى واضعو ميثاق الأمم المتحدة فى سان فرنسسكو عام ١٩٤٥ أنه نظرا لخطورة قرارات مجلس الأمن ولما لها من صلة بمسائل تتعلق بالحرب والسلام ، وحرصا منهم على اعطاء وضع ممتاز للدول التى خرجت من الحرب منتصرة ـ وهم انفسهم كانوا أصحاب الكلمة العليا فى وضع الميثاق ـ راوا ان

يضمنوا الميثاق مادة استثنائية ، تكسر القواعد العامة فى التصويت، وتبيح لأى دولة من الدول الخمس صاحبة العضوية الدائمة فى مجلس الأمن ، أن تدفن أى قرار فى مهده ، وأن تمنعه من أن يرى النور مهما كانت اغلبية الأصوات التى حصل عليها .. وحتى لوأجمع عليه كل الأعضاء !

ويتضح من ذلك أن « الفيتو » حق استثنائي لا يجوز اللجوء اليه الا فى ظروف استثنائية تماما .. وتقضى أدبيات السلوك الدولى بقصر استخدامه على أضيق الحدود ، وعندما يكون الأمر متعلقا بأمن الدولة نفسها أو يمس سلامة أراضيها ، أو تخشى ألا يؤدى استخدامه الى مخاطر على سلام العالم بصفة عامة .

والعادة ــ رغم ذلك ــ عندما يكون لاحدى الدول موقف معين من مسألة مطروحة على مجلس الأمن أو مشروع قرار معروض عليه، سواء بالموافقة أو الرفض ، أن تستخدم هذه الدولة كل ما لديها من وسائل الاقناع والتأثير .. بل والضغط ، لتحشد وراء موقفها أكبر عدد ممكن من الأصوات . لديها الاتصالات الدبلوماسية وأمامها قاعة الجلسة نفسها ، وتستطيع عن طريق « محاورات الأروقة » أن تحقق لموقفها أكبر قدر من التأييد وتجمع ما يلزمها من الأصوات، حتى تصل الى « الصوت الايجابى » اذا كانت تريد للمشروع أن يمر ، أو « الصوت السلبى » اذا كانت تريده أن يرفض .

ولكن كل ذلك يقتضى أن يكون لموقف الدولة شىء من المنطق ، أو يكون لها فيه أساس معقول بشكل ما . عندئذ تؤتى الاتصالات ثمارها وتجد محاولات الاقناع سبيلها الى العقول .. وحتى أساليب الضغط ــ وهو سلوك دولى غير سليم ــ لابد أن تنطلق من أساس له شىء من المعقولية !

ولجوء الولايات المتحدة الى استخدام أسلوب « الفيتو » بعد أن أجمع مجلس الأمن كله على تأييد القرار . معناه أنها لا تجد بأسا فى اعلان افلاسها علنا وعلى رؤوس الأشهاد .

ان مجلس الأمن يضم ـ بحكم تكوينه ونظام التمثيل العالمى فيه ـ دولا تمثل مختلف النوعيات وجميع أنواع التقسيمات ، وبينها دول صديقة لأمريكا وبعضها شريك لها فى تكتلات دولية أو حليف مباشر لها ، ورغم ذلك استخدمت أمريكا حق الاعتراض « الفيتو » لمنع مجلس الأمن من اصدار القرار . والمعنى الوحيد لذلك أن موقف الولايات المتحدة كان عاريا من كل منطق مجردا من أى معقولية لدرجة أنها لم تحاول اقناع أى عضو من أعضاء المجلس بالوقوف الى جانبها ضد القرار ، أو أنها حاولت وفشلت .. فشلت فى اتصالاتها الدبلوماسية وفشلت فى محاورات أروقة الأمم المتحدة وفشل متحدثوها داخل القاعة ، وصوت الجميع فى صالح القرار باستثناء الصين الشعبية التى رأت أن المشروع لا يرضى الحد الأدنى لمطالب أصحاب الحق .

٢٠٠٠ مليون من سكان العالم يؤيدون حقنا

كان معنى بحث أزمة الشرق الأوسط فى هذا اللقاء الدولى الكبير ، أن العمل الوطنى المصرى — فى هذه المرحلة الدقيقة من مسار الأزمة — يشق لنفسه محورا جديدا يضيفه الى جهوده على المحاور التى يسير عليها الآن .

وبالفعل .. حصلت مصر ، أو حصلت قضيتنا على أقوى قرار وأكبر تأييد عالمى وعملى من مؤتمر عدم الانحياز.

« ١٥ سبتمبر ١٩٧٣ » .

بالنسبة لى – كمصرى – كان أكثر ما يعنينى فى مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز الذى ساهبط أرض البطولة فى الجزائر لاشهده بعد .. هو ذلك « المحور الآخر » الذى يوشك ان يتحرك عليه عملنا الوطنى ، عندما تشارك دة المصرية قادة أكثر من سبعين دولة تضم الفى مليون من سكان الأرض تتشابه ظروفها وتتماثل مواقفها ، فى قضايا تمس صميم مصائرها ومصالحها ، وتنتهى الى قرارات لها اوثق ا بهذه المصالح والمصائر .

كل القضايا والموضوعات التى سيبحثها هذا المؤتمر ، تحتل اهمية حيوية لشعوب الدول المشاركة فيه .. مكافحة الاستعمار او آثاره المتبقية فى عالم اليوم – التنمية الاقتصادية فى العالم الثالث – اثر الوفاق عند القمة على الدول غير المنحازة – دعم الأمن الدولى وانشاء مناطق سلام – مساندة حركات التحرر الوطنى – دعم دور الأمم المتحدة – اعادة ترتيب العلاقات الاقتصادية بين الدول الغنية والدول النامية – حقوق الصيد فى البحار والمياه الاقليمية – تخفيف حدة التوتر فى المناطق الملتهبة .. كل هذه المسائل تمثل أهمية كبرى وتلمس مصالح أساسية لجميع الدول التى تشارك فى مؤتمر الجزائر لعدم الانحياز .

أما بالنسبة لمصر وللعالم العربى فان بندا معينا فى جدول الأعمال كان يمثل أهمية خاصة ، ومن حوله يجب أن تتركز الجهود وتكثف المساعى .. **وهو أزمة الشرق الأوسط .**

كان معنى بحث ازمة بحث أزمة الشرق الأوسط فى هذا اللقاء الدولى الكبير أن العمل الوطنى المصرى – فى هذه المرحلة الدقيقة من مسار الأزمة – يشق لنفسه محورا جديدا يضيفه الى جهوده على المحاور التى يسير عليها الآن وهى :

بناء القوة ا تية لمصر .

التنسيق وتوحيد مع دول المواجهة .. سوريا والأردن .

حشد أكبر طاقة عربية ممكنة فى المعركة ووضع اطار موحد للعمل العربى المشترك .

تكثيف العمل المصرى فى المجال الدولى سواء فى اطار الأمم المتحدة او مجال عدم الانحياز فى شكل نشاط دبلوماسى الجبهات .

بهذا التصور لمؤتمر عدم الانحياز ولدور مصر فيه أو اهميته بالنسبة لمصر ، هبطت أرض المليون شهيد لاتابع أعمال مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز فى الجزائر العاصمة .

قضيتنا .. أو قضية الشرق الأوسط « الملتهبة » هى أخطر وأهم ما فى مؤتمر عدم الانحياز ، وعلى ضوء موقف المؤتمر من هذه القضية يتحددمصيره من النجاح .

هذه الحقيقة وضعها الرئيس انور السادات أمام المؤتمر بشكل جاد وعميق ، ونجح فى أن يضع الدول المشتركة فى المؤتمر امام مسئولياتها ازاءها وان يربط بينها وبين اهداف المؤتمر ، عندما قال .. « اننا نخوض اليوم صراعا رهيبا سوف تحدد نتيجته مصير تجمعنا كدول غير منحازة .. واننا واثقون أن الدول غير المنحازة لن تكتفي باستنكار سياسة اسرائيل ، وان مواقفها ستتجاوز القول الى العمل » .

وبالفعل .. حصلت مصر ، أو حصلت قضيتنا على اقوى قرار واكبر تأييد عالمى وعملى من مؤتمر عدم الانحياز .

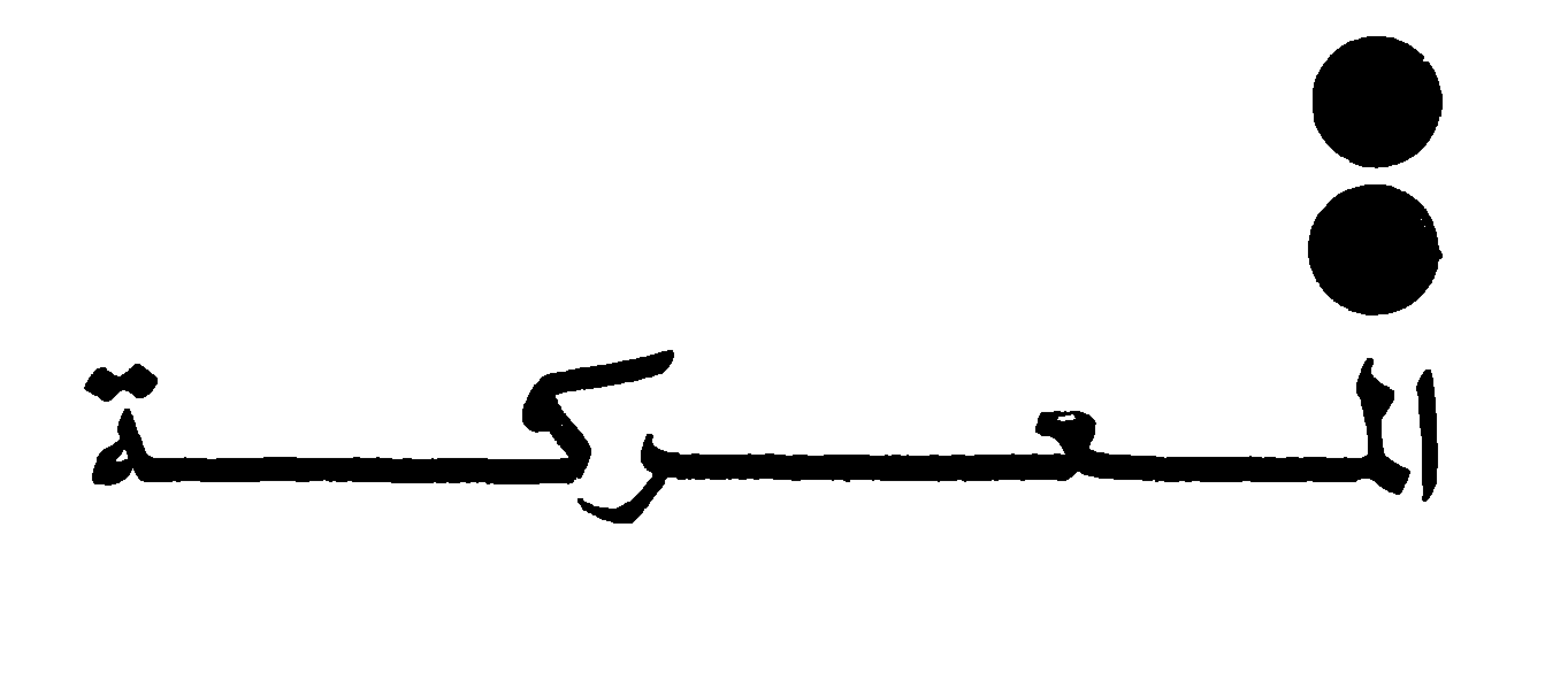
كانت « أزمة الشرق الأوسط » محور البيان السياسى الذى أصدره المؤتمر فى ختام أعماله . فقد تبنى البيان الصيغة التى قدمها وزراء الخارجية العرب - فى مؤتمر وزراء الخارجية الذى سبق مؤتمر القمة وعقد تمهيدا له - كمسودة لمشروع القرار الخاص بالشرق الأوسط . وصدر البيان يعلن المساندة التامة لمصر ودول المواجهة فى مساعيها لتحرير أراضيها بكافة الوسائل ، والتأييد الكامل لنضال شعب فلسطين من أجل استعادة حقوقه ، ومطالبة الولايات المتحدة بوقف تزويد اسرائيل بالأسلحة والمعونات ، واعتبار كل ما تدخله اسرائيل على الأراضى التى تحتلها من تغييرات وسوء معاملتها للمدنيين فى الأرض المحتلة جرائم حرب وانتهاكا لاتفاقية جنيف الخاصة بمعاملة المدنيين فى الأراضى المحتلة ومطالبة اسرائيل بالانسحاب من الأرض المحتلة والامتثال القرارات الدولية والا تعرضت للعقوبات الدولية التى نص عليها ميثاق الأمم المتحدة ، ولمقاطعة دول عدم الانحياز لها دبلوماسيا واقتصاديا وثقافيا وعسكرية وفى ميادين النقل البحرى والجوى وكذلك مطالبة الدول التى تمد اسرائيل بالمهاجرين بوقف هجرة مواطنيها اليها .

هكذا حصلت القضية العربية على قرار يعتبر من أخطر القرارات فى تاريخها وأكثرها قابلية للتنفيذ ، ونجحنا فى أن نجعل من المؤتمر مظاهرة عالمية ضد اسرائيل وان نفرض عليها عزلة دولية واسعة شارك فى فرضها عليها ٨٧ دولة من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . بل ان احدى دول أمريكا اللاتينية التى لم تكن تشارك أى منها فى مؤتمرات عدم الانحياز من قبل - وهى كوبا - قطعت على الفور علاقاتها الدبلوماسية باسرائيل ، كما أعلنت دول افريقية شاركت فى المؤتمر انها ستقطع علاقاتها بها اذا لم تنزل عند المشيئة الدولية فورا وتنسحب من الأراضى التى تحتلها بالقوة المسلحة .

لقد حصلنا على هذا القرار بعد جهود واسعة بذلها الرئيس انور السادات خلال خمسة أيام حافلة قضاها فى الجزائر شارك

فيها فى جميع جلسات مؤتمر القمة وأجرى محادثات ثنائية وثلاثية ورباعية مع ٣٩ رئيسا من رؤساء الدول التى شاركت فيه وعقد مؤتمرين صحفيين اذاعتهما أجهزة الاعلام الجزائرية مباشرة .

لقد نجح مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز فى تحقيق أهدافه .. واستطاع هذا التجمع الذى مثل أكثر من ثلثى سكان العالم أن يعلن ارادة الشعوب ، وخاصة شعوب لم الثالث .. أن دول هذا العالم التى التقت لأول مرة فى ظل الوفاق الدولى بين القوتين الكبريين ، لم ترفض هذا الوفاق ولم تدنه ، بل رحبت به وطالبت بأن يكون ((جو الوفاق)) هو الجو السائد عالميا بين الدول جميعا كبيرها وصغيرها ، وأن يكون للدول التى لم تنل حظها من التقدم مثل ما للدول المتقدمة من فرص ، فهذه الدول بنت رخاءها الكبير على المواد الخام التى زودتها بها الدول النامية ، ولا بد من اعادة النظر فى الصورة الاقتصادية لم . . ث يمتد الرخاء ليشمل كافة شعوب العالم ، وينتشر السلام ليغطى الأرض كلها وتنعم بآثاره الأمم كلها ..


المعركة

- وتحطمت أسطورة الجيش الذى لا يقهر

- حرب من أجل السلام .

- طيار أمريكى فوق سيناء ..

- التلاعب فى وقف اطلاق النار .. لعب بالنار

- الآن فقط .. أصبح الزمن فى جانبنا

- لماذا تراوغ اسرائيل فى ترتيبات وقف النار

- القمة فى الهجوم وفى الدفاع .

- الضمان .

- الانسحاب هو الخيار الوحيد المتبقى لاسرائيل .

- اسرائيل تعترف بأنه لم يكن أمامها خيار الا الانسحاب

وتحطمت أسطورة
الجيش الذى لا يقهر ..!

ان تحطيم هذه الأسطورة ، وانهاء هذه الخرافة المقصودة .. هو القيمة التاريخية الكبرى للعمل الباسل الذى قامت به القوات المسلحة لكل من مصر وسوريا .

ومن اليوم لن تستطيع اسرائيل أن تفرض ارهابها على العالم العربى . كما لن تستطيع أن تفرض عليه شروطها .

« ١٣ اكتوبر ١٩٧٣ »

وأخيرا .. ¨ الصبر وانقطع الصمت ، ألم يكن الصمت والصبر هما الصفتين اللتين طالبنا أنور السادات بأن نتحلى بهما ، الى أن تحين ساعة العمل (المحسوب جيدا) .

وما كان أروعه من حساب ، وما كانت أروعها من شجاعة .. حساب وشجاعة القائد الذى أعلن أن قوة فى الأرض ــ مهما تكن نواياها ــ لن تدفعه الى بدء قتال أو اطلاق طلقة واحدة ، **قبل أن يتم الاستعداد الكامل لمواجهة نا ¨ ، ونكون على ثقة كاملة من النصر .**

ان القائد المدرك لمسئوليته التاريخية الواثق من نفسه وقدرات شعبه ، قد ألزم نفسه ودعا جنده ، بألا تكون الحرب أحاديث واذاعات ومقالات وسفسطة وتشنجات .. بل عملا واستعدادا وتقديرا وحسابا ، واعدادا ليوم يبدأ فيه زحف جنود مصر حيث لا يتوقفون الا بعد أن يحرروا كل أرضها المحتلة .

ا ˙ واعية ومستنيرة بقدر ما هى مخلصة ومتجردة .. فهى واعية لأنها تقوم على الحساب الدقيق وحسن تقدير جميع الظروف المحيطة بالموقف .. ولأنها استفادت من كل الخبرة والدروس التى كان لابد لنا أن يكتسبها من سابق تعاملنا مع عدو ماكر مخادع ، استطاع من قبل أن يتغلب علينا ــ ونحن أصحاب الحق ــ لأنه أعمل ضدنا أساليب ما كان يجب لنا أن نسمح له باستخدامها أو نتركها تحقق له الميزة علينا .

وبضربة واحدة (.. ¨ الحساب) سلبنا العدو من مبادرته ، أو من أسلوبه فى المباغتة ، فحرمناه من ميزتها وحطمنا أسلوبه ــ قبل أن نحطم قواته وتحصيناته ــ الذى مكنه قبل ذلك من الانتصار علينا .

وفى الساعات الأولى من العمليات ، ارتفعت أعلام مصر فوق الضفة الشرقية لقناة السويس تعلن انتهاء أسطورة التفوق الاسرائيلى الذى لا يقهر والتحصينات الاسرائيلية التى لا يمكن اقتحامها . سقط خط (بارليف) الحصين الذى تكلف بناؤه ٢٣٨ مليون دولار أمام أول موجة فى عملية الاقتحام الشجاعة ، وكان قادة اسرائيل يتوهمون ويباهون بقوته ومناعته وقدرته على صد أى هجوم مهما يكن حجمه . وصدق عليهم قول الله فى كتابه الحكيم .. ((وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب)) .

بالخطة الواعية المحكمة وبالتنفيذ الدقيق الشجاع وبكل ايمان أصحاب الحق ، هاجم جنود مصر واقتحموا .. فارتبك العدو واهتز توازنه وفقد سيطرته على أعصابه وسلاحه وتحصيناته جميعا ، لقد بوغت بما لم يكن يتوقعه أو يتحسبه ، فظهر التخبط واضحا فى أسلوب قتاله وفى بياناته وتصريحات زعمائه على السواء. وزاد من ارتباكه أنه وجد نفسه يواجه خطة شاملة تفرض عليه أن يحارب رغما عنه فى جبهتين لا جبهة واحدة ، وفى وقت واحد .. سوريا فى الشمال ومصر فى الجنوب . واضطر لأن يقاتل — لأول مرة فى تاريخه — من موقع الدفاع ، وهو ما كان يحرص على تفاديه دائما فى كل حروبه معنا ، وحتى قبل أن يصبح دولة ، عندما كانت العصابات اليهودية المسلحة تعمل على تثبيت الوجود الصهيونى الغاصب فى فلسطين الانتداب بقتال متفرق وهجمات مباغتة ضد اصحاب الأرض وأصحاب الحق .

وهى خطة متجردة ومخلصة لأن القائد فيها لم يسمح لنفسه ولا لغيره بأن يجعل من الحرب مغامرة بأرواح أبناء مصر ، فلا يقذف بهم فى أتون المعركة الا بعد أن يكفل لهم جميع الظروف التى تحقق لهم النصر وتمنع دماءهم الزكية من أن تضيع هباء .

لم يصدر القائد أمره بالاقتحام والزحف الكبير الا بعد أن رأى أنه قد توافرت لهذه العملية التاريخية كل الظروف التى تحقق لها النجاح وان الأرض قد مهدت لها على كل المستويات .. السياسية والعسكرية والاعلامية .

فعلى المستوى السياسى .. كان مؤتمر القمة العالمى لدول عدم الانحياز قد أنهى أعماله منذ شهر واحد بادانة قاطعة لاسرائيل على عدوانها وضمها الأراضى بقوة الغزو العسكرى وعلى تعنتها وصلفها ازاء كل محاولات الحل السلمى . كما بدأ قطع العلاقات الدبلوماسية من جانب العديد من دول القارة الافريقية ينهال على رأس اسرائيل فيضيف الى عزلتها الدولية ويحبط كل محاولاتها وخدائعها لاكتساب صداقات وتوثيق العلاقات مع دول القارة حديثة العهد بالاستقلال .

كما كان لسياسة **الانفتاح العربى** أثرها الحاسم فى تحقيق حشد عربى قومى كامل شامل ، لعب دوره الهام فى وضع كل من يؤيدون اسرائيل ممن لهم مصالح فى الوطن العربى ، أمام حقائق القوة العربية الكبرى عندما ينسق العرب فيما بينهم ، وما يملكونه من وسائل الضغط اذا اتحدت كلمتهم على عمل مشترك .

وكان **لقاء القمة لدول المواجهة** فى القاهرة خطوة أخرى ذات أهمية بالغة فى تنسيق خطط العمل المشترك ضد العدو والاستعداد ليوم التحرير .

كما أدت **جهودنا الدبلوماسية العالمية** الى اقناع شعوب العالم وحكوماته ــ وكان الكثير منها تعتبره اسرائيل رأيا عاما مؤيدا (مضمونا) لها ــ **بأننا دعاة سلام وأننا لا نريد الا تحرير أرضنا واستعادة حقوقنا المغتصبة** ، ولعل تصريح وزير الخارجية الفرنسى بعد بدء العمليات « بأنه لا يمكن وصف عملية تحرير وطنية ..

بالعدوان ، وان ما قام به العرب ليس الا عملا لتحرير اراضيهم » ..
لعل هذا التصريح أكبر دليل على هذه الحقيقة .

وعلى المستوى العسكرى .. بدأت عملية التحرير الوطنية التاريخية ، بعد أن انتهى الجنود من تدريب شاق مضن **اتصل فيه الليل بالنهار وتمرسوا خلاله على كافة واجباتهم ا [illegible] لية وتضمن اجتيازات** عديدة لعوائق مشابهة لعائق قناة السويس الذى كان العدو يتوهم أن اجتيازه مستحيل وكان شعار الجنود خلال تدريباتهم العنيفة .. **ان بذل المزيد من العرق فى التدريب يوفر الكثير من الدماء فى المعارك .**

وكانت الخطة تقضى بأن يكون تنفيذ أمر القتال للتحرير اقتحاما للعائق المائى وما وضعه العدو عليه من عوائق ــ وهو ما كان يسمى خط بارليف الحصين ــ واحتلال الضفة الشرقية للقناة وتدمير ما بها من معدات للعدو والاستيلاء على ما ينجو منها من التدمير ، **وبذلك تنقلب الآية على خطته وتدبيراته وتصبح نقط وثوبه علينا نقط وثوب لنا عليه ، نتخذ منها رأس الجسر فى هجومنا ونبدأ عليها زحفنا الكبير للتحرير .**

وبهذه ا [illegible] المحكمة وبما [illegible] به من شجاعة وفداء انهارت دفاعات العدو كما انهارت معنوياته ، وانتهت هيبة اسرئيل الحربية وسقط الادعاء بأن جيش اسرائيل لا يقهر ، وهو ادعاء كانت تحرص على بثه فى نفوس العرب ، وتعلق عليه كل آمالها فى ردع العرب وتخويفهم من مجرد التفكير فى الهجوم عليها ، أو تحرير أرضهم .

فلقد كانت اسرائيل تخشى دائما انكشاف خرافة قوتها التى لا تقهر ، وكان أغلب تصريحات زعمائها وقادتها ومعظم تصرفاتها ، وبصفة خاصة صلفها وتعنتها ورفضها الامتثال لمطالبة العالم لها بالانسحاب وانهاء الأزمة سلميا .. **كان كل ذلك جزءا من مخطط محسوب بعناية لاعطاء الأثر بأنها انما تفعل ذلك ، لاستنادها الى قوة**

لا تقهر ، ولأن لها يدا طويلة تستطيع أن تصل بالردع والتأديب الى أعماق كل من تراوده نفسه بالمساس بها ، أو حتى بوجودها غير المشروع فى أى أرض تحتلها .

تحطيم هذه الأسطورة وانهاء هذه الخرافة المقصودة هو القيمه التاريخية الكبرى للعمل الباســل الذى قامت به القوات المسلحة لكل من مصر وسوريا . ومن اليوم لن تستطيع اسرائيل أن تفرض ارهابها على لم العربى كما لن تستطيع أن تفرض عليه شروطها . ومن نا؛كد أن هذه الحقيقة ستوقف سبل المهاجرين اليها وستجعل الكثير من سكانها يبحثون لانفسهم عن مكان آمن يلوذون به .

ان عملية التحرير العربية الجسور قد أنهت فى يوم واحد هذه الخرافة التى أرادت لها اسرائيل أن تخلد على مر السنين ، وشهد الشعب العربى فى كل مكان ، كما شاهد العــالم كله ، الطيــارين الاسرائيليين وقادة المدرعات والجنود وهم يتحدثون فى أسرهم عن الظروف التى وقعوا فيهــا فى الأسر وكيف أنهم كانوا يبــادرون بالتسليم نجاة بأنفسهم من القتل . وكثير منهم غادر مدرعتــه أو ملجأه الحصين أمام شدة وطأة القصف العربى .. **دون قتال .**

وعلى المستوى الاعلامى .. عرفت مصر طريقها الى **النغمــة الصحيحة** سواء قبل أن يبدأ القتال أو أثناء العمليات . **لقد تجاوزت مصر فى شجاعة وثقة بالنفس الأسلوب الذى كان يكتفى بدق طبول الحرب دون قتال أو استعداد جاد لقتال** .. وركزت أجهزة الاعلام على حرص مصر على السلام واستعدادها لسماع كل صوت يدعو اليه والالتقاء مع كل مسعى يحرص عليه .. ولكن مصر أعلنت بكل اسلوب رصين أنه اذا لم تكن هناك جدوى لما ترحب به وتشارك فيه من جهود السلام ، فانه لن يكون أمامها الا أن تتحمل قدرها وتنهض بمسئوليتها ازاء الأمة العربية كلها وأمام أجيالها .. وهى تحرير الأرض .

وعندما بدأت العمليات لم تسمح مصر لنفسها بأن تنساق وراء انفعال ، ولم تغرها انتصاراتها بالمبالغة فى ذكر المكاسب .. التزمت بالصدق والدقة التامة فى بيانات العمليات ، لا تضخيم فى أرقام ولا ادعاء بانتصارات ، ولا تهويل فى قدرة ولا تهوين من شأن ..

ان هذا الخط الرصين قد أكسب بياناتنا ثقة الشعب كله بها وحال بينه وبين - يق أجهزة الدعاية المعادية أو الالتفات اليها.. وتجلت روح الأمة ، وتوهج معدنها الأصيل الذى أضاء الدنيا كلها منذ فجر التاريخ ، والتقى ˚ س جميعهم على الوقوف وراء أبنائهم واخوتهم الذين يبذلون أرواحهم ليهبوا الحياة لوطنهم . والتزم المواطنون بتعليمات الامن وتنظيمات حصول الجميع على مواد التموين وازدادت مشاعر المودة والتآخى بين أبناء الوطن الواحد واشتد الاقبال على مراكز التطوع والتبرع بالدم .

انها صحوة أمة .. جاءت ثمرة للتصحيح وبشيرا بالنصر .. فالحمد لله ..

حرب من أجل لسلام

من هنا يستمد الهجوم العربى قيمته
كنقطة تحول هامة واساسية فى تاريخ
الصراع العربى الاسرائيلى . انه
يوضح للعالم كله ، كما يوضح
لاسرائيل نفسها ، دعوى السلام
القائم على احتلال الأراضى ومد
الخطوط ، ويكشف ا المتعمد
الخبيث بين التوسع واحتياجات
الأمن !

« ٣٠ اكتوبر ١٩٧٣ »

دخل الهجوم الجسور للقوات العربية ضد القوات الاسرائيلية فى سيناء ومرتفعات الجولان ، مرحلة حاسمة . بدأ هذا الاسبوع تطويره من عملية خاطفة استهدفت زحزحة قوات العدو من مواقعها على خطوط المواجهة واقامة رءوس جسور للقوات المهاجمة .. الى زحف كبير يستند الى حماية فعالة وحشد ضخم لوسائل الهجوم وتدعيم لوسائل الاتصال والتموين .

ولكن هذا الهجوم كان قبل أن يدخل هذه المرحلة الحاسمة قد دخل التاريخ .. وتاريخ الصراع العربى الاسرائيلى بصفة خاصة ، واحتل فيه مكانا بارزا ، سيظل على مدى الأيام نقطة تحول هامة وأساسية فى مسار الصراع بأكمله .

أن عبور قناة السويس واجتياح مرتفعات الجولان هو نقطة البداية فى القضاء على أحلام التوسع الاسرائيلى ووضع اسرائيل فى حجمها الصحيح .

فاسرائيل تنزع الى التوسع لا الى مجرد تحقيق الأمن لنفسها داخل حدودها كما تدعى . وهى تتعمد الخلط بين المسألتين ـ الأمن والتوسع ـ والربط بينهما بصورة مضللة وتسعى بذلك الى كسب رأى عام عالمى الى جانب مساعيها التوسعية ، معتمدة على تعاطف بعضه مع حرصها على الأمن .

تدعى اسرائيل ان امنها لن يتحقق الا اذا احتفظت لنفسها بمناطق خارج الأرض التى اغتصبتها من قبل وأقامت عليها دولتها ، لأن هذه المناطق توفر لها « الحدود الآمنة » أو « الحدود التى تستطيع الدفاع عنها » كما يسميها بعض زعماء اسرائيل وقادتها العسكريين .

وفى مسعى اسرائيل لخداع العالم حول حقيقة نواياها التوسعية، روجت لما تسميه ((نظرية الأمن)) التى تقوم على بقاء قوات اسرائيلية فى مواقع خارج حدودها . وقد وقع الكثير من زعماء اسرائيل وقادتها ضحية للتضليل الذى أرادوا ان يوقعوا العالم فيه . أو بعبارة أخرى اطلقوا الأكذوبة وروجوا لها كثيرا ، حتى صدقوها هم انفسهم ، وبنوا عليها حساباتهم واتخذوها منطلقا لسياساتهم وتصرفاتهم ، . ءت نتيجتها وبالا عليهم !

يقول ايجال آلون نائب رئيســة وزراء اسرائيل وأول قائد للجيش الاسرائيلى ، فى كتابه ((جيش اسرائيل)) .. ان اسرائيل ستظل تحتفظ بالمناطق التى احتلتها فى حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، لأن هذه المناطق تمثل حدود الأمن لاسرائيل . ويقول ان بلاده لن نقبل أى ترتيبات سلام لا تتضمن الاتفاق على هــذه ((الحـدود الآمنة)) ..

وأنه اذا كان عليه أن يختار بين سلام بدون حدود آمنة . أو حدود آمنة بغير سلام .. فانه يختار الأخيرة على الفور . لأنه بغير الحدود الآمنة لن تستطيع اسرائيل أن تنعم بالسلام ! وهو بذلك يروج ــ مع غيره من زعماء اسرائيل ــ للتوسع الاسرائيلى متعللا باعتبارات الأمن .

ولقد اجتاحت القوات العربية الباسلة فى مصر وسوريا هذه الحدود والخطوط التى كانت اسرائيل تدعى ــ أو تتوهم ــ انها حدود أمنها ، أو أنها الحدود التى تستطيع الدفاع عنها .. أو حدودها الآمنة ! فهل استطاعت هذه الحدود أو هذه الخطوط أن توفر لها الأمن ، ألم تسقط هذه الخطوط ، بكل ما أقامته فيها اسرائيل من تحصينات واستحكامات ، أمام أول موجة من الهجوم العــربى !

من هنا يستمد الهجوم العربي قيمته كنقطة تحول هامة واساسية في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي ، أنه يوضح لم كله ، كما يوضح لاسرائيل نفسها ، دعوى السلام القائم على احتلال الأراضي ومد الخطوط ، ويكشف الخلط المتعمد الخبيث بين التوسع واحتياجات الأمن .

هل وفرت لاسرائيل الأراضي التى احتلتها والخطوط التى مدتها، الأمن الذى تتباكى بالحرص عليه ! ؟ أن اسرائيل اليوم تفتقد الأمن كما لم تفتقده فى أى فترة من حياتها . أن جنودها يموتون بالمئات كل يوم ويسقط منهم آلاف الجرحى والمشوهين .. أن الحياة فى اسرائيل مشلولة الآن تماما والمرافق والمصانع كلها مهجورة ومتوقفة عن العمل ، ولا حياة فيها الا فى المستشفيات والجبانات وغرف العمليات فالى متى تقدر الدولة المصطنعة أن تستمر على هذا الوضع ، وكم تستطيع تحمله من النزيف البشرى والمادى الذى ينزله العرب بها وسيظلون ينزلونه ، حتى يحرروا كل أرضهم التى تحتلها اسرائيل ! ؟

أن مصر وحدها اقدر من اسرائيل على مواجهة ممتدة وحرب طويلة ، فما بالها والعرب جميعا مع مصر بملايينهم المائة ومواردهم التى يستطيعون التحكم بها فى رخاء العالم ، واصرارهم على النصر وكسر شوكة اسرائيل ، وبما أتاحه لهم انتصارهم الباهر من ارتفاع فى معنوياتهم ، بعد أن انكسر « حاجز الرعب » الذى كانت لسرائيل تحيط نفسها به !

أن الحرب التى يشنها العرب اليوم ضد اسرائيل حرب عادلة بقدر ما هى حرب ظافرة . وهى حرب من أجل السلام .. السلام العادل ، لا السلام بفرض القوة واحتلال الأرض كما تريد اسرائيل .

واذا كان لدى اسرائيل بقية من تعقل ، فليس أمامها الا ان تستجيب لعرض الرئيس أنور السادات بالانسحاب من جميع الأراضي العربية التى تحتلها والاعتراف بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين . فهذا وحده هو الذى يكفل لاسرائيل السلام الذى تدعيه ويحقق لها الأمن الذى تحرص عليه .. والا فانه سيكون عليها أن تواجه حربا عربية ممتدة ومصممة لأنها حرب من أجل السلام .

طيار أمريكى فوق سيناء..
يسمع المؤتمر الصحفى للرئيس نيكسون

بلسان حال طيار أمريكى يشعر بالتمزق وهو يحمل عتادا حربيا ينقله الى الطرف الذى يحارب أصحاب حق وأرض ، قاموا يدافعون عن حقهم ويقاتلون لتحرير أرضهم .

« ٣ نوفمبر ١٩٧٣ »

ليست هذه هى المرة الأولى التى أحلق فيها فوق سيناء . ولن يكون هنا أول هبوط لى فى مطار العريش . لقد قمت بهذه الرحلة عدة مرات منذ منتصف أكتوبر حتى الآن .. اننى جزء من الجسر. نعم هناك جسر طائر ، جسر فوق السحاب ، قوامه عدة مئات من طائرات « جالاكسى » الجبارة .. طائرة النقل الاستراتيجية . وهو جسر « متعدد الأطراف » يبدأ متشعبا من عدد من المطارات والقواعد العسكرية فى الولايات المتحدة وفى أوربا الغربية . ثم تتقارب خطوطه فى شرقى البحر المتوسط ، وتظل هذه الخطوط تتقارب كلما اتجه شرقا ، حتى تصبح حزمة متلاصقة تهبط منها ا ئرات فى مطار اللد وعدد من القواعد العسكرية فى اسرائيل .. وفى ر العريش.

كان من نصيبى - أو نصيب نوع الحمولة التى أحملها - اننى أهبط دائما فى العريش . ان خط هبوطى يمر فوق صحراء سيناء . ما أن تتوقف عجلات الطائرة على أرض المطار ، حتى يكون عمال التفريغ قد أنزلوا من بطنها دبابة ضخمة من طراز (باتون ام ٧٠) . والدبابة ليست فقط جديدة لم تعمل من قبل ، ولكنها أيضا من آخر طراز ، نوع لم يستخدم فى أى معارك من قبل . ان « طاقم » كل دبابة يكون دائما فى انتظارها ، انهم يستقلونها فور ملامستها الأرض ويقومون بتموينها والاتجاه بها غربا . انها من حرب . اننى أرى بعيدا على الأفق نارا وسحابات كثيفة من الدخان تتصاعد . واسمع انفجارات بعضها من الشدة بحيث تهتز له هذه الطائرة الثقيلة . أرصد تحتى فى مياه البحر عددا كبيرا من السفن الحربية وبعض سفن النقل . ليست السفن كلها أمريكية ، والطائرات التى أصادفها فى الجو ليست كلها أمريكية أيضا .

اننى أشعر اننى فى حرب ، بل أنا فى حرب فعلا .. اننى أحمل عتادا حربيا هاما وأنقله الى منطقة قتال ، وهو يدخل فى القتال على الفور . هنا يتحارب المصريون والاسرائيليون . ولابد اننى احارب مع . نب الاسرائيلى .

ولكنى لا أفهم لماذا أنا فى هذه الحرب . لقد قرأت وسمعت عن هذه الحرب من قبل أن يصدر لى الأمر بالاشتراك فى هـذا الجسر الجوى ، ومنذ أن أخذت مكانى فيه وأنا اسمع من راديو طائرتى الكثير من الأخبار عن هذه الحرب .

خلاصة الأخبار ان المصريين يقاتلون الاسرائيليين لأنهم يريدون تحرير أرض لهم يحتلها الاسرائيليون . والقتـال كله دائر فوق هذه الأرض ، اننى لم أسمع أن المصريين دخلوا اسرائيل أو هددوا أمنها ، وبياناتهم تقول ان هدفهم .. وهو تحرير أرضهم التى احتلت فى حرب سابقة فقط . هذا الذى يقوم به المصريون سيدخل كتب التاريخ بوصفه بطولة .. حرب تحرير وطنية . كم أشـعر بالفخر عندما أقرأ فى التاريخ ان أجدادى خاضـوا حرب تحرير وطنية ضد بريطانيا وأخرجوها من الولايات المتحدة . ان الثورة الفرنسية أيامها نظرت الى عملنـا باعتباره بطولة ، وبعثت بعض قواتها تطوعا لمؤازرتنا . فى تاريخنا القصير ليس هناك كثير نباهى به ونشعر أمامه بالفخر والاحترام لأنفسنا . مثل حرب التحـرير الوطنية هذه .

ولكن يبدو الآن اننى أقف على الجانب الآخر . اننى مع الطرف الذى يحارب المدافعين عن حرية أرضهم . ياله من موقف !

لا أريد أن أفكر كثيرا فى هذا الأمر . انه ثقيل على كل من ذهنى وضميرى . لماذا لا ألتمس شيئا من راحة البال . ان التفكير فى هذه المسألة يضغط على أعصابى ويكاد يصيبنى بالغثيان . خاصـة عندما أفكر فى عودتى الى البيت ومقابلتى لزوجتى وأولادى . ابنى سيسألنى عن مهمتى ويلاحقنى بطلب التفاصيل . لا أريد ان أكذب عليه فلم أعوده على الكذب ولا أريده أن يكتشف اننى كذبت عليه يوما . سأقول له الحقيقة . . **سأقول انى أنقل دبابات على وجه السرعة لاسرائيل لكى تستخدمها على الفور فى القتال ضد العرب . وسيسألنى لماذا يحارب العرب اسرائيل، وسأضطر لأن أقول له ..**

لأنهم يريدون اخراجهم من أرضهم التي يحتلونها .. وسيقول لى .. ولكن لماذا نحارب نحن ضد العرب . . وهنا لن أستطيع أن أرد عليه .. لأننى لا أعرف !

.. .. ..

.. .. ..

قلت اننى محتاج لشىء من الراحة .. لماذا لا ألتمسها فى سماع بعض الموسيقى . سأدير جهاز الراديو على اذاعة صوت أمريكا لعلى أجد بعض الموسيقى التى أحبها ..

.. .. ..

.. .. ..

عظيم .. هذه الموسيقى تريح أعصابى وتخرجنى من أفكارى المتعبة .. ((الموسيقى تتوقف ، ويعلن المذيع أن الاذاعة ستنقل بعد قليل المؤتمر الصحفى للرئيس الأمريكى) . كأننى لن أستطيع أن أنعم بلحظات الراحة التى كنت أنشـــدها من الاذاعة .. ولكن لا بأس . قد يكون الاستماع الى المؤتمر الصحفى للرئيس مفيدا . قد يكون فيه اجابة على الأسئلة التى تؤرقنى . **لابد أنه سيقول لى ولآلاف غيرى ممن يشاركون فى الجسر ، شـيئا عن حكاية الجسر هذه . قبل أن أغادر قاعدتى صباح اليوم سمعت انه قد أصـــدر أمرا للقوات المسلحة الأمريكية فى جميع أنحاء العالم بأن تكون فى ((حالة تأهب)) . معنى ذلك أن الأمور تتطور بسرعة . ربما يتصاعد الأمر الى مواجهة عالمية ، ويتحول ــ بالضرورة ــ الى مواجهة ذرية .. يا الهى . ولكن لماذا ؟ ألأن المصريين تحركوا فى منطقة محتلة من أرضهم لاخراج قوات الاحتلال منها ؟! لا يبدو ذلك سببا مقنعـا للوصول بالعالم الى حافة الهاوية ، وهل بعد المواجهة الذرية من هاوية ؟ !**

على كل حال لا داعى لاستباق الأمور . بعد قليل سيبدأ الرئيس

نيكسون مؤتمره الصحفى ، ولابد أنه سيكون فيه اجابة على كل الأسئلة وتبديد للكثير من الغموض ، ان لم يكن للغموض كله .

.. .. ..

.. .. ..

المذيع يعلن عن وصول الرئيس الأمريكى الى الجناح الشرقى فى بيته الأبيض ، حيث ينتظره عدد كبير من الصحفيين وتلمع عدسات التليفزيون . بمجرد دخول الرئيس خفتت الأصوات وقل الصخب وتوقفت الهمهمات . لم يصفق أحد لرئيس عند دخوله ، يبدو أن الموقف متوتر بشكل أو بآخر . **ليت الرئيس .... على علامات الاستفهام الكثيرة .. فانا وألوف معى على هذا الجسر لا نفهم لماذا نشارك فى هذه الحرب .. ومئات الآلاف من الجنود الأمريكيين فى مختلف أنحاء العالم ـ الذين تلقوا أمر التأهب ـ لا يفهمون لماذا هذا كله** . ليته يستطيع تحسين الصورة العامة للولايات المتحدة فى نظر العالم الذى يشهد نصفه هذا المؤتمر الصحفى عن طريق شبكة الأقمار الصناعية تنقل وقائعه مباشرة .

أتوقع أن يتحدث الرئيس فى مسألتين .. هذه الحرب التى أجد نفسى ـ دون أن أعرف السبب ـ مشاركا فيها . والحرب الداخلية فى بلادى حيث يطالب عدد من المؤسسات الدستورية (كالكونجرس) والمنظمات الجماهيرية « كاتحاد العمال » باستقالة الرئيس أو تقديمه الى المحاكمة البرلمانية . ان كلتا المسألتين تعرضان صورة الرئيس الأمريكى وسمعة الولايات المتحدة وحكومتها ، لأضرار كبيرة فى نظر مواطنيها وأمام العالم كله . لقد شاركت من قبل فى حرب فيتنام وكانت مشاركتنا فيها أمرا بعيدا عن الشعبية ترفضه الأغلبية الكبرى فى الداخل ، ومستهجنا ومدانا تماما من الرأى العام العالمى .

ومع ذلك فان فيتنام كانت حربا معلنة ، وكنا نقول اننا نساعد حكومة بلد صديق على حفظ استقلالها ضد غزو خارجى وتخريب

داخلى .. وان هذه الحكومة فى فيتنام الجنوبية طلبت منا أن نأتى لنجدتها ضد غزو قوات فيتنام الشمالية وحرب العصابات التى تشنها وحدات الفييت كونج . ولكن الأمر ليس كذلك هنا فى الشرق الأوسط .. **لم تتعرض اسرائيل لأى هجوم ــ من الداخل أو الخارج ــ والعرب كما يبدو يحاربون لاخراج الاحتلال الاسرائيلى من أرضهم . لعل الرئيس يشرح لنا سر هذا اللغز . لابد أن يحاول الرئيس وأن ينجح فى تحسين صورة أمريكا وسمعة الحكومة الأمريكية** . كم كان مخزيا ومخجلا أن يفتضح أن نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية « سبيرو أجنيو » الذى تقلد هذا المنصب الرفيع خلال فترتى رئاسة رتشارد نيكسون ، قد تناول الرشوة وتهرب من الضرائب وساعد بنفوذه على عقد صفقات ومقاولات مشبوهة . والأشد خزيا وايلاما أنه اضطر الى الاعتراف بهذه التهم جميعها عندما حاصرته الأدلة ، ومع ذلك مضى فى حال سبيله دون محاكمة ، اكتفاء بالعار الذى لحق به !

مسألة مزعجة وشديدة المساس بسمعة الحكم فى الولايات المتحدة ، ليت الرئيس يفعل شيئا بشأنها .. يقول كلمة لعالم تطمئنه على سلامة الأمور داخل الولايات المتحدة .

وهناك أيضا مسألة ارشيبالد كوكس .. أستاذ القانون فى جامعة هارفارد ، الذى عين للقيام بدور المدعى العام فى فضيحة ووتر جيت . ان موقف هذا الرجل نموذج للشرف والالتزام بالقانون .

لقد طلب كوكس من البيت الأبيض تسليمه الأشرطه التى تحمل تسجيلات المكالمات التليفونية المتعلقة بقضية ووتر جيت والتى كان البيت الأبيض طرفا فيها . ان هذه الأشرطة وما عليها من مكالمات أدلة ضرورية لضمان العدل فى تحقيق الموضوع . وعندما رفض طلبه أعلن أن ذلك انكار للعدالة أو تعطيل للعدالة .. وكلاهما انتهاك للقانون الأمريكى ولكل قانون .

ولقد طلب الرئيس الأمريكى من وزير العدل فصل هذا المدعى العام بسبب موقفه . ولكن وزير العدل رفض الطلب ، عندئذ طلب نيكسون من نائب الوزير تنفيذ الطلب ، فرفضه هو الآخر . فما كان من الرئيس الا أن فصله . وهنا أستقال وزير العدل احتجاجا على فصل نائبه وعلى الموقف كله . وعندما خلا منصب وزير العدل عين فيه نيكسون أحد مساعدى الوزير ، الذى قام على الفور باصدار قرار الفصل المطلوب .

.. .. ..

.. .. ..

النار مشتعلة هنـــا .. تحتى فى ســيناء ، وهناك فى الولايات المتحدة مفتوحة على أعلى المستويات .. فالرئيس الأمريكى فعلا ــ تحت نار شديدة ــ من المؤسسات الدستورية والقضائية والشعبية والصحفية على السواء .

اننى أسمع صوت الرئيس ، يهاجم بانفعـــال وحده ، رجال الصحافة الأمريكيين ويركز بصفة خاصـــة على معلقى التليفزيون الأمريكى .. الألفاظ تخرج منه عنيفة غاضبة « مواقفكم شريرة .. طريقتكم هستيرية .. لا أحترمكم .. لم أشهد شيئا كهذا طوال السبعة والعشرين عاما التى قضيتها فى العمل العام » !

ومع ذلك فالرئيس يحاول وقف النار المفتوحة عليه .

لقد تحدث أولا عن الشرق الأوسط ووقف اطلاق النار فيه ، وأفاض فى تبرير قراره باعلان حالة التأهب فى القــوات الأمريكية حول العالم .. ولكنه ما لبث أن استدار للموضوع الذى يشــغله ويشغل الأمة الأمريكية لانه يمس « حالة العدل » فيها .. ها هو يطالب وبنص عبارته « وقف اطلاق النار فى الجبهة الداخلية » !

كنت أظن أن استماعى الى هذا المؤتمر الصحفى سيساعدنى على الفهم .. أن أفهم لماذا أنا هنا أشارك فى حرب لم يعلنها أحــد

على الولايات المتحدة الأمريكية ـ التى اقسمت أن ادافع عن أمنها واستقلالها ودستورها ـ ، وأن اسمع من الرئيس الأعلى للسلطة التنفيـذية بالولايات المتحـدة ـ الذى أقسمت على الولاء له ـ ما يطمئننى على أن القانون لم تزل له الكلمة فى بلادى ، وانه اذا كان قد حدث من بعض رجال هـذه السلطة تجاوزات ، فان رئيسهم سيصحح الأوضاع ويعيد الحق الى نصابه والعدل الى مجراه .

وأستمع الى وقائع المؤتمر الصحفى للرئيس .. أ الى الأسئلة والاجابات الحادة . المؤتمر كله يدور حول مسألتين .. النار المشتعلة تحتى فى سيناء ، والنار التى يستعر أوارها فى بلادى حيث تدور رحى معركة أخرى حول سيادة القانون .

المسألتان لهما عندى نفس الدرجة من الأهمية .. فأنا هنا ـ شئت أم لم أشأ ـ أشارك فى حرب أقف فيها ضد الجانب الذى أعلم انه صاحب الحق ، وانه لم يفعل شيئا سوى النضال من أجل استرداد حرية أرضه . وما فى بلادى هو حياتى ومستقبل أولادى وحقى أنا وغيرى من أهل بلدى فى أن نعيش دائما فى ظل نون ونحافظ على دستورنا الذى يعتبر من أكبر منجزاتنا .

.. .. ..

.. .. ..

استمع وأتابع وأبحث وسط هذا ا م الكثير عن اجابات ، عن ردود للأسئلة الكبيرة فى ذهنى .. وللأسئلة التى سيلقانى بها ابنى عندما أعود الى البيت .. فلا أجد أى اجابة !

التلاعب فى وقف إطلاق النار
.. لعب بالنار

« ٢٧ اكتوبر ١٩٧٣ »

لقد قبلنا ان نوقف النار .. ولكننا قبل ذلك . كنا قد قمنا بسواعد جنودنا بتبديل « الأمر الواقع » الذى فرضته اسرائيل على المنطقة ، وغيرنا الخريطة السياسية للشرق الأوسط كله ، وغرسنا فيها علامات الطريق الى المستقبل الذى تريده الأمة العربية .. لا الذى تريده ، أو كانت تتمناه أو تخطط له اسرائيل .

قبل أن نوافق على وقف ا ق النار ، كنا قد عرفنا ــ لأول مرة طريقنا الى هزيمة العدو الاسرائيلى وتكبيده أفدح الخسائر فى الأفراد وفى العتاد . كذلك عرف هذا العدو المتعجرف ــ ولأول مرة أيضا ــ أن المواجهة العسكرية بيننا وبينه ليست أبدا مهمة يسيرة ولكنها عملية شاقة باهظة التكاليف مفعمة بالآلام والأحزان حافلة بالأخطار والمحاذير .

لقد قبلنا أن نوقف النار استجابة للقرار الذى وافق عليه مجلس الأمن دون معارضة ، بناء على مشروع تقدمت به أكبر دولتين فى العالم بعد اتصالات عليا بينهما وبمسئولية خاصة بهما فى الأوضاع الدولية الراهنة . ولكننا قبل أن نقبل بهذا القرار ، كنا قد قمنا بسواعد جنودنا الابطال بتبديل الأمر الواقع الذى فرضته اسرائيل على المنطقة وغيرنا الخريطة السياسية للشرق الأوسط كله ، وغرسنا فيها علامات الطريق الى المستقبل الذى تريده الأمة العربية .. لا الذى تريده أو كانت تتمناه أو تخطط له اسرائيل .

قبل حرب التحرير العربية الظافرة فى أكتوبر عام ١٩٧٣ .. أصدرت اسرائيل كتابا أسمته « الشرق الأوسط عام ٢٠٠٠ » ضمنته تصورات خيالها الذى اعماه الغرور للمنطقة بحلول نهاية القـرن العشرين . رسموا فيه خريطة ملكهم الكبير الذى سيمتد الى ما بعد الفرات والنيل ، وشقوا الطرق التى تخـدم تجارتهم ونشـاطهم الاقتصادى الذى توهموا انه سيكون المتحكم فى حياة الشعوب العربية كلها ، ووزعوا الادوار على الدول العربية التى تصوروها دويلات لا حول لها ولا قوة أمام أمبراطوريتهم العتيدة ، فهذه تخصص فى الانتاج الزراعى وتلك تصلح لأن تقام فيها أنواع معينة من الصناعات وثالثة ستكون بورصة للمبادلات المالية والتجارية ورابعة للسياحة .. وهكذا . أما القدس فهى مركز هذا كله وعندها تلتقى كل الطرق ومنها ينبع الاشعاع والتوجيه وتصدر الأوامر ، وهى فى النهاية عاصمة كل هذا « الوهم » الكبير !

أين هذا الخيال المتبجح وهذا التصور الذى تروجه اسرائيل لمستقبل المنطقة ، من الواقع الذى فرضناه عليها ، حتى قبلت قرار وقف ا ق النار الذى يلزمها بتنفيـذ قرار مجلس الأمن عام ١٩٦٧ .

ان القرار الذى أصدره مجلس الأمن عقب حرب عام ١٩٦٧ يقضى بانسحاب اسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى تلك الحرب . وكانت اسرائيل حتى قيام حرب التحرير العربية ، ترفض تنفيذ هذا القرار أو الاعتراف به كأساس للتسوية .

أن هذا « الارتداد » فى خط سير المؤامرة الصهيونية فى المنطقة العربية هو دون جدال نتيجة مباشرة لضربة ٦ أكتوبر العربية وهى ضربة تكللت بهذا النجاح لما توفر لها من صدق وجدية ، ودقة فى الحسا[illegible] وقيادة واعية .

ولكن هناك حقيقة يجب أن نتنبه لها جيدا ولا نقع بشأنها فى أى أوهام ، وهى أن ارتداد اسرائيل — مهما تكن مرغمة عليه — هو دائما جزء من خطتها وتكتيك عملياتها ، وهى تحاول الاستفادة به وتحقيق المزايا عن طريقه .

فى حربها الأولى ضد الأمة العربية عام ١٩٤٨ وافقت اسرائيل على الهدنة التى طالبت الأمم المتحدة الأطراف المتحاربة بها — ولمدة شهر واحد يبدأ يوم ١١ يونيو — واستغلت هذه الفترة كمهلة لالتقاط الأنفاس ومواجهة التفوق « العددى » العربى بالحصول على تسليح أفضل .. وكان أيامها طائرات سبيتفاير الانجليزية ، وميسر شميت التشيكوسلوفاكية وغيرها من العتاد الحربى من فرنسا وبريطانيا ودول أوربا الشرقية ، فضلا عن أفواج جديدة من المهاجرين الذين ادخلوا فورا فى العمليات عند استئنافها .

ونفس النوع من المزايا « اراحة القوات واعادة تنظيمها وتدعيمها بأسلحة جديدة ووحدات اضافية » .. حصلت عليها اسرائيل من

الهدنة الثانية التى بدات فى ١٩ يوليو ـ اى بعد حوالى أسبوع واحد من انتهاء الهدنة الأولى ـ وامتدت حتى يوم ١٠ أكتوبر عام ١٩٤٨ .

نحن منتبهون بطبيعة الحال ولات اسرائيل الاستفادة من فترات وقف القتال ـ سواء على شكل او وقف اطلاق النار ـ ولنا من خبرتنا مع اسرائيل فى هذا الشان ما يجعلنا لا نسمح لها بأن تحقق منها اى فائدة على حسابنا .

ولعل هذا هو ما جعل القائد العام لقواتنا المسلحة يقرن امره الى القوات بوقف اطلاق النار بتنبيه لها بأن تكون على استعداد لاستئناف القتال فورا اذا بدأه العدو . وهو ما حدث بالفعل منذ الساعات الأولى لوقف النار . فقد حاول العدو استغلال توقف القتال من جانبنا للقيام بعمليات مفاجئة ، ولكن يقظة قواتنا جعلت هذه المحاولات تكلفه غاليا .

ان اسرائيل تخطىء خطأ عمرها اذا سمحت لتصرفاتها أن تكون نتيجة لانفعالاتها وجنونها على كبريائها الجريح . اسرائيل أصيبت عنيفة بسبب تحطم هذا القدر الكبير من قواتها فى الأيام الأولى ل ، وقبل ذلك وأهم منه لديها . . تحطم هيبتها العسكرية التى كانت تعتمد عليها كرادع للعرب وتتخذ منه « حاجز رعب » يمنع العرب من مجرد التفكير فى دخول مواجهة عسكرية معها .

بسقوط خط بارليف الحصين ، سقطت هذه الهيبة فورا والى الأبد . لقد قبل العرب التحدى وخاضوا القتال ضد اسرائيل . انتهى ما كانت تحرص على بثه فى قلوبهم من خوف الدخول فى قتال معها . وبدات الحرب ، وعرفت اسرائيل ان العرب يمكن ان يتفوقوا عليها ، لا أن يكونوا اندادا لها فقط ، وذاقت اسرائيل طعم الخسائر الجسيمة . . القتلى بالمئات اولا ثم بالالاف ، مع ارقام مذهلة فى خسائر المهمات والعتاد . وكان على اسرائيل ان تتبين ان هذه هى بداية النهاية بالنسبة لآمالها فى التوسع ومد خطوطها خارج اراضيها ،

بدعوى أو بوهم حفظ امنها . بهذا الشكل يكون الوقت فى صالح العرب ، فاذا اضيف هذا العامل الى العوامل الأخرى التى لهتا قيمتها فى المواجهة ، مثل العدد ـ وللعرب فيه الميزة أيضا وبشكل حاسم على اسرائيل ـ فان اسرائيل كان يجب أن تبحث عن أول فرصة لوقف المد الذى بدأ يتحرك فى غير صالحها . هذا فضلا عن أن مجموعة أخرى من العوامل التى كانت اسرائيل تعتقد أنها فى جانبها وان العرب محرومون منها تماما ، كعامل القدرة على الأخذ بالأساليب العلمية واستيعاب الأسلحة الحديثة أو عامل الجدية أو عامل وحدة الصف .. كل هذه العوامل ثبت لاسرائيل ، ومنذ اللحظات الأولى للقتال ان موقف العرب منها ليس سيئا كما كانت تعتقد أو تتمنى ، بل انهم يستطيعون توظيفها بكفاءة وفاعلية تحقق لهم نتائج تذهل لها اسرائيل .

ولو أن اسرائيل فكرت فى الأمر بتعقل لعدلت من خططها واستجابت لحكم الموقف والظروف ، وعمدت الى تقليل خسائرها الى أدنى حد ممكن . ولكن تصرفاتها تدل على أن الصدمة أفقدتها الكثير من توازنها . ت مواقفها عصبية أكثر منها محسوبة وعرضت نفسها لخسائر لا مبرر لها على أى مستوى .. سياسيا أو عسكريا ، اللهم الا اذا كان حرصها على الدعاية والتفاخر يفوق حرصها على أرواح أبنائها أو تحقيق مكاسب جدية فى ! ورات المقبلة من الصراع .

أن اسرائيل ارتكبت عدة أخطاء فى مواجهتها لحرب التحرير العربية وقد دفعت ثمنا باهظا لهذه الأخطاء ، ولكن الخطأ الأكبر الذى تقع فيه هو أن تحاول استغلال وقف اطلاق النار بسوء نية طائش لتحقيق مكاسب من اى نوع .. سياسية او عسكرية أو دعائية . أن التلاعب فى وقف اطلاق النار .. لعب بالنار .

الآن فقط ..
أصبح الزمن في جانبنا

ان الزمن بطبيعته عامل محايد .
والزمن عامل شديد الحساسية قوى الاستجابة ، بشرط حسن استغلاله والنجاح فى توظيفه لمصلحة أهداف الطرف الذى يريد الاستفادة منه .
ان هذا الطرف هو الفائز فى النهاية .

« ١٠ نوفمبر ١٩٧٣ »

فى احدى الندوات التليفزيونية التى كانت تناقش صراعنا مع اسرائيل من جوانبه المختلفة والعوامل المؤثرة على موقف كل جانب فيه .. سئلت عن عامل الزمن فى هذا الصراع وما اذا كان فى جانبنا أم فى الجانب الآخر .

قلت .. أن الزمن بطبيعته عامل محايد بل هو أكثر العوامل حيادا ، كما هو أجدرها بالثقة فيه والاطمئنان اليه . والزمن عامل شديد الحساسية قوى الاستجابة بشرط حسن استغلاله والنجاح فى توظيفه لمصلحة أهداف الطرف الذى يريد الاستفادة منه وهذا الطرف ـ الذى ينجح فى أخـــذ الزمن الى جانبه ـ هو الفائز فى النهاية .

وفى مراحل سابقة من الصراع ، كانت اسرائيل أكثر منا ـ بصورة فادحة ـ وعيا بقيمة الزمن وادراكا لدوره الخطير والحاسم .. وبالتالى استفادة منه ، بتوظيفه على نحو يحقق أغراضها ويخدم أهدافها تماما .

ظلت اسرائيل منذ بدأ تنفيذ المخطط الصهيونى العالمى البعيد الأهداف على أرض فلسطين ، تلعب بمهارة فائقة لعبة « الأمر الواقع » ومضى تفكيرها ومنطق تصرفاتها على النحو التالى .. اذا كان هناك تناقض بين الحق والواقع ، بين الشرعية (سواء الدولية أو المحلية) وبين ما هو حادث بالفعل ، فان الواقع هو الذى يفوز ، ولا يبقى سوى « الموجود » .. وانه ليست هناك أى قيمة للحق أو الشرعية ، بل ولن يكون لهما أى وجود الا فى بعض مراجع التاريخ .. وحتى التاريخ يمكن هو الآخر العبث بحقائقه ، مادام « سير الأحـداث » أو الواقع الجديد متمشيا مع ما يراد أثباته أو نفيه !

لجأت اسرائيل الى لعبة الأمر الواقع ، وخططت سياساتها دائما على أن هذا الأسلوب يكسب تصرفاتها تراكما زمنيا يضفى عليها الثبات ويجعلها « [illegible] » منتهية بصرف النظر عن وجه « الحق » فيهـــا .

لقد تصرفت اسرائيل دائما .. على أســاس أن « الحقيقة » الواقعة أهم وأبقى من « الحق » . كان يهمها دائما أن يكون هنــاك « وضع راهن » يتفق مع خططها وأهدافها بصرف النظر عن ملاءمته لحكم القانون سواء كان دوليا أو محليا .

ومنذ الأيام الأولى لعملية الاستيطان اليهودى فى فلسطين ، كان المخطط الصهيونى يقضى باقامة المستعمرات فى أماكن معينة حددها هذا المخطط وفقا لاعتبارات مستقبلية . وقد لا يكون هناك ما يدعو الى اقامة تلك المستعمرات وقت انشائها بل وقد يكون دون اقامتها الكثير من المصاعب والأخطار ، لأنها تقع وسط منطقة عربية تماما مثلا .. ولكنهم كانوا رغم ذلك يحرصون على اقامتها ، مهما كلفهم ذلك من خسائر وتضحيات ، لحرصهم على خلق « أمر واقع » يساعد فى المسقبل على تحقيق الأهداف البعيدة لمخططهم .

كانوا يلعبون لعبة « الزمن » بكل براعة .. يخلقون الواقع الذى يريدون ، ويتركون للزمن أن يثبته ويضفى عليه طابع الاستقرار . وعندما يتوفر له وضع « الحقيقة » يصبح من الممكن استخدامه كنقطة انطلاق نحو أهداف أبعد ، والتقدم بمطالب جديدة ، واردة فى تخطيطهم البعيد أيضـا .

عندما كانت الأمم المتحدة تبحث مشروعا لتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ بين سكانها العرب واليهود ، كان زعماء الصهيونية يضعون أمام اللجان التى تبحث الأوضاع السكانية والجغرافية لفلسطين لتقرر على أساسها التقسيم ، خرائط توضح الانتشار اليهودى فى فلسطين مستمدة بطبيعة الحال من « الأمر الواقع » ، ويطالبون

على أساسها بمناطق جديدة ما كانوا يستطيعون المطالبة بها لولا هذا **« الأمر الواقع »** الذى خلقوه .

ونفس الشىء فعلوه بالنسبة لحركة الهجرة اليهودية الواسعة الى فلسطين . ففى عام ١٩٣٩ عندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ، أصدرت الحكومة البريطانية اعلانا سمته **« الكتاب الأبيض »** يقضى بالحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وتثبيت نسبة السكان العرب واليهود فى دولة الانتداب وفقا لمعدلاتها القائمة وقتئذ، وذلك بطبيعة الحال فى محاولة من بريطانيا لكسب العرب الى جانبها فى الحرب التى بدأت تخوضها ضد دول المحور ، وتعويضا عن المواقف السابقة لبريطانيا فى مناصرة الحركة الصهيونية ، وعلى رأسها وعد بلفور بمساعدة اليهود على اقامة **« وطن قومى »** لهم فى فلسطين .

وعندما صدر **« الكتاب الأبيض »** خشى زعماء الصهيونية أن يكون فى تنفيذه نهاية لآمال قيام دولة اسرائيل . أن وقف الهجرة اليهودية ، وتثبيت نسب السكان العرب واليهود عند معدلها فى ذلك الوقت ، يعنى أن يكون للعرب ـ **أصحاب البلاد** ـ الأغلبية الساحقة على اليهود ، مما يهدد مشروع اقامة دولة اسرائيل كله بالانهيار . لذلك قرر زعماء الصهيونية الا يعبأوا بالحظر الذى فرضته بريطانيا على هجرة اليهود . لم يكن يعنيهم سوى خلق **« أمر واقع »** موات لهم يخدم أهدافهم فى مراحل مقبلة من تنفيذ مخططهم البعيد . وكان الاشكال الوحيد بالنسبة لهم هو كيفية التوفيق بين حرصهم على **« الواقع »** الذى يريدون خلقه ، وهو زيادة عدد اليهود فى فلسطين ، من ناحية .. وعدم تحدى بريطانيا ـ دولة الانتداب وصاحبة السلطة فى فلسطين ـ من ناحية أخرى .

وقد حل التآمر الصهيونى هذه المعادلة الصعبة كما يلى .. بالنسبة لاسترضاء بريطانيا واثبات الولاء لها وعدم تحديها ، قررو انشاء فيلق يهودى يحارب فى صفوف القوات البريطانية ضد المحور.

وبالنسبة لاستمرار الهجرة قرروا المضى فيها بطريقة سرية وبكل الطرق الممكنة ، بالبحر والجو وحتى سيرا على الأقدام .. وبلغ عدد اليهود الذين وصلوا الى فلسطين منذ صدور الكتاب الأبيض حتى قيام حرب عام ١٩٤٨ حوالى نصف مليون يهودى من جميع أنحاء العالم .

وقتها عبر الزعيم الصهيونى دافيد بن جوريون عن هذا الأسلوب فى الحرص على خلق الأمر الواقع الذى يخدم أهداف المستقبل عندما قال .. **(اننا سنحارب الى جانب بريطانيا كما لو لم يكن هناك كتاب أبيض ، وسنحارب سياسة ا ... ب الأبيض كما لو لم تكن هناك حرب نخوضها الى جانب الانجليز) !**

والمخطط الاسرائيلى كله يدخل عامل الزمن فى اعتباره ، ويعمل على أن يكون دائما فى جانبه . وأسلوبه الرئيسى فى ذلك هو خلق « الواقع » المطلوب ثم تركه لتفاعلات الزمن تكسبه صفة الدوام . فبعد قيام الدولة احتلت اسرائيل أجزاء عديدة لم يكن لها فيهـا وجود قبل توقيع اتفاقيات الهدنة ، ضاربة عرض الحائط بقرارات الامم المتحدة .. أى بالشرعية الدولية .

ومنذ استقرت الأمور للمخطط الصهيونى بقيام دولة اسرائيل فى الحدود وحتى الخطوط التى أرادوها لها فى هذه المرحلة .. بدأوا يرسمون للانطلاق من هذه البداية الى مراحل أخرى أكثر تقدما من م... هم الأكبر .

الهدف التالى هو التوسع مع فرض الارهاب على العالم العربى لردعه عن مجرد التفكير فى التصدى لهذا التوسع بقوة السـلاح

ومن أجل تحقيق هذا الهدف شنت اسرائيل حربين على الدول العربية المحيطة بها ، مع سلسلة من الاغارات فى كل أرض ينطلق منها ما يعكر صفوها أو يحاول كسر « الأمر الواقع » فى الأراضى التى ضمتها بالغزو .

وعملت اسرائيل على أن تأخذ الزمن الى جانبها فى هذا الواقع الجديد الذى فرضته على المنطقة . وكانت الخطة محسوبة تماما . الأرض المحتلة يجرى تغيير معالمها وبناء مستعمرات يهودية جديدة فيها واقامة جسور للتعامل بينها وبين اسرائيل من ناحية ، وبينها وبين البلاد العربية المجاورة من ناحية أخرى . سكان هذه الأراضى المحتلة تتاح لهم فرص عمل جديدة فى خدمة الاقتصاد الاسرائيلى .. الدول العربية تيأس من امكان مواجهة عسكرية ناجحة مع اسرائيل ، متعظة من ثلاث هزائم سابقة وبسلسلة من عمليات « التأديب » بالغة العنف والضراوة .. والاستهتار بأى مقاومة أيضا . الشعوب العربية تعانى ــ نتيجة لذلك كله ــ حالة من التمزق والاحباط الشديدين أمام ما تشهده من اهدار لقضيتها لا يمكن السكوت عليه، والعجز عن عمل أى شىء .. وبتفاعل عامل « الزمن » مع هذا كله ، يزداد التحلل بين الوحدات التى يتكون منها المجتمع العربى الكبير ، ويستفحل الانحلال داخل كل مجتمع على حدة . و[illegible]اة كل ذلك .. يستتب الوضع او هذا « الوضع الراهن » المواتى لاسرائيل ويبتعد حتى يكاد يتلاشى تماما خطر قيام العرب بفتح جولة جديدة من الصراع معها .. فتنعم بحالة من الهدوء تمكنها من المضى بكل طاقتها فى جهود التنمية والتوسع الاقتصادى مستفيدة بما تحصل عليه من معونات خارجية ، أو ارتباط بمؤسسات اقتصادية دولية كالسوق الأوربية المشتركة التى سمحت لها دولها بالانتساب اليها .

وفى كل هذا لعبت اسرائيل عامل « الزمن » بكل ما أوتيت من براعة .. وأصبح كل يوم يمر يعنى المزيد من التثبيت الأوضاع التى عملت على خلقها ، ويكسب شعبها المزيد من الثقة بنفسه وقدرة جيشه وحكمة قادته .. ولكنه فى العالم العربى مزيد من اليأس والشعور بعدم القدرة على عمل شىء والتآكل الاجتماعى والخلقى والتفسخ التام .

أما فى العالم خارج المنطقة .. فان مرور الأيام على هذا الوضع الراكد تراجع بالقضية الى درجات متأخرة من الأهمية ، وكاد يصيبها بالتجاهل بل والنسيان التام . واطمأنت الدولة الأولى فى تدعيم اسرائيل ومدها بكل أسباب الحياة والازدهار ووسائل البطش أيضا — الولايات المتحدة الأمريكية — الى أن موقفها هذا لا يسبب لها أى مشاكل فى العالم العربى ولا يزعج مصالحها فيه فتمادت فى محاولات ارضاء اسرائيل وزادت من حجم معونتها ومساعداتها لها ولم تحاول اخفاء دورها المساند لها ، وأصبح التزايد على تأييد اسرائيل ظاهرة عامة فى بورصة الانتخابات الأمريكية .. كما حدث فى معركة انتخابات الرئاسة عــام ١٩٧٢ .

كان كل هذا قبل ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ ولذلك فان القيمــة التاريخية لهذا اليوم تكمن فى حقيقة أنه كان آخر أيام نجاح اسرائيل فى ضم عامل « الزمن » الى صفها فى صراعها ضد الأمة العربية ، وبداية قدرة العرب على سلب عدوهم هذه الميزة .. وأخذهم الزمن الى جانبهم .

وبصرف النظر عن كل مناوشات اسرائيل العسكرية حاليا ، ومشاغباتها السياسية وتبجحاتها الدعائية .. فان الحقيقة الثابتة وخلاصة ما تحقق فى ٦ أكتوبر ، هى أن الزمن لم يعد فى جانبها ، وأن كل يوم يمر لن يكون بعد الآن كسبا جديدا لها وخطوة أخرى فى الطريق الى بلوغ مخططها العدوانى لأهدافه النهائية .

فبعد حرب التحرير العربية التى كبــدت اسرائيل خسـائر لا طاقة لها بها فى المال والرجال .. وبخاصة فى الرجال ، تجد نفسها مواجهة بأحد خيارين — اذا كانت لا تريد الخروج من الأراضى التى احتلتها فى عدوان سابق — أما أن تعود الى القتال ، وأما أن تبقى على « **الوضع الراهن** » متشبثة بالأراضى التى تحتلها ورافضــة عروض السلام العادل التى قدمت لها .

وعودة اسرائيل الى القتال ليست بالقرار السهل فى ضوء الظروف الراهنة أو بعد خبرتها فى حرب التحرير العربية . لقد ذاقت اسرائيل – لأول مرة فى تاريخها – طعم الهزيمة ومرارة الخسائر الفادحة ، انها ستحارب بجيش انهكته حرب ضارية وفقد الكثير من تشكيلاته وعناصره ومعنوياته ، بصرف النظر عن سلاحه الذى أمكن لها استعاضته . وهى ستحارب اذ تحارب ، جيوشا عربية ذاقت حلاوة النصر ، وصممت على أن تمحو عار الهزائم السابقة ، وشعرت فى القتال الذى دار ان حكاية (الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر) ليست الا أسطورة تهاوت أمام بسالة الجنود المؤمنين بعدالة قضيتهم المزودين بسلاح متكافىء مع ما عند عدوهم والمدربين على استخدامه ، الذين ينفذون خطة واعية تقودهم فيها قيادة رشيدة مخلصـــة .

ان قررت اسرائيل العودة الى السلاح ، فانها تعود فورا الى النزيف .. واذا كانت لا تحتمل النزيف فى الانسان ، فانها أيضـا لن تحتمل النزيف فى الأسلحة والمعدات ، لأنها لن تضمن قدرة من يمدونها بها الآن على الاستمرار فى توصيلها اليها عبر الجسور البحرية والجوية . ان الدول العربية التى قررت تخفيض انتاجها من البترول بنسبة خمسة فى المائة كل شهر الى أن يتم انسحاب اسرائيل ، عادت ورفعت النسبة (دفعة واحدة) الى خمس وعشرين فى المائة ، لمجرد رؤيتها اسرائيل تتلاعب فى تنفيذ قرارات وقف اطلاق النار التى وافقت عليها فى مجلس الأمن .. فماذا يكون موقفها اذا عادت اسرائيل الى العدوان ، الأرجح أنها ستوقف البترول تماما ، وعندئذ لن يتأثر بأزمة الطاقة أصدقاء اسرائيل وحدهم ، ولكن أيضا أصدقاء وشركاء هؤلاء الأصدقاء ، وسيشتد ضغطهم لوقف معونتها لاسرائيل ، لأن الذى سيتأثر بنقص البترول ، ليس خروجهم بسياراتهم ا [illegible] صة فى عطلة يوم الأحـد فقط ، ولكن حياتهم كلها ورخاء مجتمعاتهم وصناعاتهم وضوء شوارعهم ودفء بيوتهم . كيف تقبل دول أوربا

الغربية أن تعيش فى هذا الظلام وأن (تموت) من هذا البرد لا لشيء الا لأن اسرائيل تريد أن تتشبث بأراض احتلتها بالقوة المسلحة وأن هناك من أصدقائها من يساعدها على العنــاد فى موقفها غير المشروع وغير المفهوم ؟!

واذا كان لدى أصدقاء اسرائيل احتيــاطى من البترول ، فهل يستخدمونه فى حل أزمتهم الداخليـــة ، أم يحرقونه فى السـفن والطائرات التى تنقل السلاح الى اسرائيل ؟ وعندما تتناقص كميات البترول المتاحة عالميا ـ نتيجة للموقف العربى العظيم ـ فمن أين تأتى اسرائيل به اذا كان أصدقاؤها فى الغرب لا يجدونه لأنفسهم ، وطريقها اليه من الشرق موصد بالوحدات البحـرية المصرية التى تحكم مدخل البحر الأحمر عند باب المندب . وكم يكفيها مخزونها من البترول الذى تحتــاجه آلة الحـرب فى الطـائرات والدبابات والسيارات ؟

أما الخيار الثانى الذى يتبقى لاسرائيل ، فهو الابقاء على قواتها فى مواقعها الحالية مع رفض تنفيــذ قرار مجلس الأمن الذى يقضى بانسحابها الى خطوط يوم ٢٢ أكتوبر والانسحاب كلية من الأراضى التى احتلتها بعدوان يونيو عام ١٩٦٧ . وركون اسرائيل الى هذا الخيار ينطوى على كل المحاذير السابق الاشارة اليها فى حالة عودتها الى القتال .. من ضغط سـلاح البترول وازدياد الاستياء العالمى منها ، وقد تمثل ذلك فى موقف دول السوق الأوربية المشتركة ، التى طالبت اسرائيل ـ وهى عضــو منتسب فيهــا ـ بالانسحاب الكامل من جميع الأراضى التى تحتلها وأعلنت رفضهــا لاكتساب الأرض بقوة السلاح .

وفى كلا الخيارين .. أى فى العـودة الى القتال أو الابقاء على الوضع الراهن دون انسحاب ، فان اسرائيل تواجه أزمة داخلية خانقة . أزمة اقتصــادية بسبب غياب الأيدى العاملة فى المصانع

والمنشآت وكافة جوانب الحيـاة ، لأن كلا الحالين ، الحـرب أو التعبئة ، تأخـذ نسبة هائلة ـ وغير معتادة فى أى بلد آخر ـ من سكان اسرائيل المحدودين ، الى الجبهــة وخطوط القتال الطويلة بصورة لا تتناسب مع حجم اسرائيل الصغير . **واستمرار هـذا الوضع مضافا اليه ما لحق باسرائيل من خسائر ضخمة فى حرب أكتوبر ، سيزيد من حدة الصراعات والتناقضات الداخلية فيها ، وسيضاعف من قلق سكانها على مصيرهم ذاته بعد أن فقدوا الثقة فى الأجهزة العسكرية المتحكمة فيهم ، وفى قياداتهم السياسية التى ساقتهم الى هذا الوضــع الذى لم يكونوا يتخيلون أنهم سيجدون أنفسهم يوما فيه . وقــد بدأت هذه الخلافات تطفو على السطح ـ رغم كل محاولاتهم المستميتة لاخفـائها ـ سواء داخل الحزب الحاكم أو بينه وبين الأحزاب الأخرى . ويزيد من حدتها انها بدأت تطفو أمام خلفية من القنوط الشعبى العام وشعور بالصدمة يشترك فيه كل من فى إسرائيل ، من حاكمين ومحكومين ، شرقيين وغربيين ، يمينيين ويساريين .**

والى جانب ذلك كله .. **تشتد عزلة اسرائيل الدولية** . تنهال عليها لطمات المقاطعــة الدبلوماسية من دول القــارة الافريقيــة . وبعضها كان صــديقا حميما لاسرائيل ، وبعضهــا الآخـر يرتبط بالولايات المتحدة ـ سندها الأكبر ـ بعلاقات لم يكن أحد يتصور معها انهــا يمكن أن تفعــل شيئا يغضب اسرائيــل . وحتى أوربا الغربية صححت موقفها كثيرا من اسرائيل .. ان المانيا الغربية التى كانت فى عهد اديناور أكبر مورد للسلاح لاسرائيل ، رفضت مجرد السماح لصديقتها وحليفتها الكبرى ـ الولايات المتحدة ـ بأن تنقل من قواعدها (**الامريكية**) **أسلحة** (**امريكية**) الى اسرائيل .

لقد تغير المد . لقد نجحنا فى حرمان اسرائيل من أكبر عامل فى الصراع كانت قد ضمته الى جانبها .. وهو الزمن . الوقت الآن يمضى على اسرائيل بمزيد من الثمن ، وما أفدحه من ثمن . ان كل

يوم يمر على هذه الحالة التى نجحنا فى وضع اسرائيل فيها - ما دامت ترفض الانسحاب - يعنى مئات الملايين من الدولارات بين خسارة فى الانتاج وانفاق فى أغراض غير نافعة .. ويعنى تفاقما فى الصراعات الداخلية فى اسرائيل ، ومزيدا من فقدان الثقة والشعور بالضياع والتمزق بين الحقيقة والأحلام ، ومزيدا من العزلة الدولية لاسرائيل وفقدان الاصدقاء واستنكار الجميع لكل ما تسببه للعالم من صداع وأزمات .

والزمن اليوم .. ولأول مرة ، لأننا أحسنا استخدامه ونجحنا فى توظيفة لمصلحه حقنا ، قد أصبح فى جانبنا . ان كل يوم يمر علينا فى صراعنا الظافر مع اسرائيل ، يحمل لنا جديدا من معالم الثقة فى قدراتنا ويمثل مزيدا من الترابط والتضامن بيننا فى مجتمعنا العربى الكبير والتماسك داخل كل مجتمع على حدة والارتفاع فى معنوياتنا

ومهما تراوغ اسرائيل أو تناور أو تتلاعب .. فان ذلك لن يفقد شيئا من قيمة العمل الكبير الذى بدأناه يوم ٦ أكتوبر ، ولن يغير من الحقيقة ، وهى أنه فى **هذا اليوم الخالد ثار العرب على الوضع السائد فى صراعهم مع اسرائيل أو على « الأمر الواقع » الذى أرادت اسرائيل استغلال الزمن لتثبته ضد قضيتهم .. وسلبوا منها « عامل الزمن » وأصبح الآن لأول مرة ، فى جانبهم .**

لمـــاذا تـــراوغ إســـرائيـــل فى ترتيبات وقف إطلاق النـــار؟

« ١٧ نوفمبر ١٩٧٣ »

ان حرب أكتـــوبر بكل جوانبهـــا ـ بعملياتها المحلية والدولية معا ـ من شأنها أن يجعل كلا من اسرائيل وأصدقائها يعيـــدون حساباتهم ويقومون بمراجعـــة شـــاملة ، حول الأســـاس الذى كانت اسرائيل تظن أنه يمكن أن تقيم عليـــه أمنها . بل وصميم وجودها ذاته وسط الأرض العربية .

اختلف زعماء اسرائيل وقادتها العسكريون وتنافروا ، وبدأوا يكيلون الاتهامات لبعضهم البعض ويتبادلون طلبات التحقيق فى مسئولية ما حدث .. ونشبت فى اسرائيل حرب جديدة أطلق عليها أحد المعلقين الاسرائيليين اسم « خرب الجنرالات » .

وهذه المشاحنات لن تقف عند حد الاتهام بالتقصير والاهمال وعدم الاستعداد .. ولكنها ستصل حتما الى صميم فلسفة العمل وجوهر الخطة العامة ولب المنطلقات الأساسية .

ان بعض الاتهامات يدور حول (الاهمال الجسيم) مثل اتهام وزير العدل المستقيل شابيرو لوزير الحربية ديان بأنه ارتكب تقصيرا فاجعا فى ترتيبات الدفاع والاستعداد لمواجهة هجوم عربى .. مما عرض اسرائيل لكارثة . وبعضها الآخر يجد مادته فى المفاجأة الناجحة التى قام بها العرب مما يدل على قصور فى عملية جمع المعلومات وتحليلها والخروج بنتائج منها ، أى عدم كفاءة أجهزة التحذير المبكر كالمخابرات ونشاط الجاسوسية وما الى ذلك .

ان هذه التهم تدور كلها فى فلك واحد هو « سوء الأداء » . ويمكن وصف حالة تبادل الاتهام بمسئولية ما حدث بهذا الشكل بأنه نوع من « الصدى الأولى » للصدمة التى أصيبت بها اسرائيل نتيجة تحطيم « سياج الأمن » الذى أقامته حول نفسها وركنت اليه واطمأنت ، وظنت أنها فى حماه تستطيع أن تتفرغ لمهام أكبر كاستيعاب أعداد جديدة من المهاجرين ودفع عجلة التنمية بالتوسع فى الصناعة والزراعة ونشاط التصدير والترغيب السياحى .. و عامة كل ما يؤدى الى تحسين فى « وضع الدولة » لهذا الكيان الشاذ بل والبالغ الشذوذ بكل مقياس .

فمن حيث تكوينه ..

يقوم على عناصر متباينة أصلا ولغة ومنشئا ، وتبذل الحكومة جهودا مستميتة لصهر هذه العناصر كلهـا فى بوتقة (المواطنـة) بمعناها المعتاد من وحدة اللغـة والتجانس العرقى وتطابق المزاج العـام . وهى مهمة ليست باليسيرة فى ضوء حقيقة أن سـكان اسرائيل قليل منهم ولد فيها ، والأغلبيـة وفدوا اليها من أوربا الشرقية أو الغربية وجنوب الجزيرة العربية وشمال افريقيا .

ومن حيث موقعه ..

فان الأرض التى يقوم عليها هذا الكيان ، أرض أناس آخرين اخرجوا منها بقوة السلاح وليس من السهل أن يتنازلوا عن حقهم فى العودة اليها . وهم فى السنوات الأخيرة ليسوا مجرد سكان خيام ينتظرون) تعيينات (المعونة الدولية ، ولكن منهم فصائل مسلحة تستطيع أن تفعـل الكثير لتعكير صـفو اسرائيل ، بل وتستطيع ـ بدرجة أكبر من التنسيق بين صفوفها ـ أن تفعل ما هو أكثر من مجرد تعكير صفو الأمن .

كذلك فان هـذا الكيان الغريب قد غرس وسط أمة ضخمة مترامية الانتشار متعددة القدرات .. واذا كانت هذه الأمة الكبيرة قد تهاونت مرة وسمحت لهذا الكيـان ـ فى ظل ظروف دوليـة معينة ـ أن يجد لنفسه موطىء قدم فى أرضها ، فان الطبيعى أن هذه الأمة لن تسمح لموطىء القدم هذا أن يكبر ويمتد بحيث يضم لنفسه مناطق جديدة ، أو يعتدى على حقوق عربية أخرى . وهذه الأمة تستطيع ـ فى ظل ظروف دولية مغايرة للظروف التى تم فيها غرس الكيان ـ أن تنهض لقبول التحدى ، والتعامل مع القـوة المسلحة بالقوة المسلحة ، وبغيرها مما هو متاح لها من أسلحة ، كسـلاح النفط الذى أثبت فاعليته الفائقـة من اللحظـة الأولى ـ لاستخدامه والذى لا شك سيكون له أثر أكبر وأخطر مع كل يوم يمر من أيام الصراع .

وهذا ما حدث بالفعل .. فقد تحركت الامة العربية وقبلت تحدى القوة المسلحة واضافت اليها أسلحة أخرى ، ولذا فان الخلافات وتبادل الاتهامات بين زعماء اسرائيل وقادتها ، لن يقفا عند حد القاء مسئولية الخسائر الجسيمة والاتهام بالاهمال او التقصير فى اطار الاستراتيجية العامة ، **بل أن هذه الاستراتيجية نفسها والمنطلقات التى تصدر عنها ــ وهو ما يسمى بنظرية الأمن الاسرائيلى ــ هى التى ستكون محور الخلاف ، أو نقطة الجدل الكبرى داخل اسرائيل كلها .**

ان وزير العدل اتهم وزير الدفاع بالتقصير ، وقائد القوة التى عهد اليها بتنفيذ احدى المهام الخاصة وهو الجنرال شارون اتهم القيادة العسكرية كلها مما جعلهم يحيلونه الى التحقيق لادلائه بهذه الاتهامات علنا . ولكن ليس هذا هو « الجدل القومى » الوحيد الذى ستشهده اسرائيل فى الأيام المقبلة .

المسألة الآن هى المصير . هى صميم قضية الحرب والسلام بين اسرائيل والعرب الذين اقامت دولتها وسط أراضيهم .

ان النظرية الاسرائيلية التى كانت سائدة حتى الآن . . هى ــ باختصار شديد ــ توفير الامن لاسرائيل بالقوة المسلحة . وكانت هذه النظرية من قبل ، قد تغلبت على كل معارضة لها سواء داخل اسرائيل أو بين أصدقائها .. لسبب بسيط ، هو انها أثبتت جدواها ، ووفرت لاسرائيل أمنا استغلته فى تدعيم أوضاعها الداخلية رغم ان الأفكار الأساسية لهذه النظرية غير مقبولة وغير معقولة .. فكيف تتصور دولة ان تعيش الى الأبد وسط جيرانها معتمدة فقط على قوة الردع والحرب والاستيلاء على بعض أراضى هذه الدولة المجاورة واضافتها الى أراضيها حيث تجعل منها ــ كما تقول ــ حاجزا بينها وبينهم . ان هذه الافكار ياباها اى تفكير سليم ، حتى كمجرد « أساس عملى » لبقاء دولة فى مثل هــذه الظروف .. بصرف النظر عن رفضها تماما من ناحية المبدأ أو

الناحية الخلقية . وفى داخل اسرائيل نفسها ــ كما بين الكثير من اصدقائها ــ قدر كبير من الرفض لهذه النظرية ، لا على الاساس الخلقى وحده ، ولكن من الناحية العملية ايضا .

ان الكثير من الحريصين على اسرائيل لا يرون فى هذه النظرية حلا عمليا لمشكلة الأمن الاسرائيلية . ولكن أصوات المعارضة لهذه النظرية ــ داخل اسرائيل وخارجها ــ لم تستطع التعبير عن نفسها أمام حقيقة ظلت واقعة طوال هذه السـنوات وهى ان كل شيء هادىء ؛ ولا شيء يزعج اسرائيل فى الداخل أو على هذه الخطوط الطويلة التى ترابط عليها حاميات بسيطة لا تزيد فى حجمها على واحد فى المائة من جيش اسرائيل العامل الذى لا يزيد بدوره عن خمس حجم القوات المسلحة الاسرائيلية فى حالة التعبئة الشاملة .

أى أنه كان من مؤدى نظرية الامن الاسرائيلية هذه ، أن نسبة بسيطة [illegible]ية من مواطنيها ــ لا تزيد على واحد الى خمسمائة من قواتها المسلحة ــ هى التى تخرج من النشاط البشرى لاغراض [illegible]ع . أما بقية سكانها فيشاركون فى مختلف جوانب هـذا النشاط مطمئنين الى عدم وجود ما يصرفهم عنه أو يأخذهم منه الى مهام أكثر ا[illegible] حا .

وجاءت حرب التحرير العربية لتقلب هذه الموازين كلها .. ان كل حامية اسرائيلية فى كل موقع متقدم على الجبهتين السورية والمصرية أزيلت هى والموقع نفسه فى أول موجة من الهجوم العربى . ودفعت اسرائيل بجيشها العامل كله الى خطوط النار على الفور . ولم يكف الجيش لصد الهجوم ، فتم استدعاء الاحتياطى وهو كل قادر على حمل السلاح رجلا كان أو امراة .. وهم أنفسهم كل قادر على المشاركة فى النشاط الانتاجى تقريبا .

ورغم أن اسرائيل فى هذه الحرب تكبدت خسائر بشرية جسيمة ــ وهى خسائر موجعة جدا بالنظر الى عدد سكانها المحدود ــ فان

مصيبتها الان ليست فى فجيعتها على الضحايا بقدر ما هى فى أملها فى النظرية التى كانت تظن انها تكفل لها الأمن . وحول المشكلة ستدور فات وتتناثر الاتهامات ويشتد زم خلى فى اسرائيل ، و هى الازمة الحقيقية التى ستشهدها اسرائيل فى الأيام المقبلة .

ولقد بدأت نذر أو « بشائر » هذه الأزمة تظهر فى اسرائيل وعلى كل المستويات ، أن ابا ايبان وزير الخارجية اعترف فى تصريح له بان « نظرية الأمن » الاسرائيلية قد أثبتت فشلها . وجماهير سكان اسرائيل التى دفعت من دمائها ثمن هذه السياسة الرعناء للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية تتساءل الان عن قيمة هذه السياسة التى تعتمد على القوة المسلحة وحدها .. ان كل ما يسمعونه عن « خلاف الجنرالات » وتبادلهم الاتهامات لن يهدىء من ثورتهم ولن يعيد لهم ابناءهم واخوتهم الذين راحوا ضحية سياسة هؤلاء الجنرالات كلهم . انهم يعرفون ان الارقام التى اذاعتها حكومتهم عن عدد الضحايا « حوالى ٢٠٠٠ قتيل ومثلهم تقريبا جرحى » أبعد ما تكون عن الحقيقة .. وإذا كانت هذه الارقام نتيجة حصر دقيق كما تدعى الحكومة ، فلماذا أقامت مركزا للتعرف على شخصيات المفقودين تعرض فيه على شاشات سينمائية صور الاسرى الاسرائيليين التى نشرتها الصحف العربية ليتعرف ذووهم عليهم ، وينطلقوا مهللين عندما يكتشفون ان قريبهم فى الأسر .. أى انه لم يقتل فى الحرب ؟ وعملية التعرف هذه قصة مفجعة يعيشها المجتمع الاسرائيلى يوميا وقد نشرتها بالتفصيل احدى صحفهم الرئيسية وهى صحيفة « معاريف » .

وإذا كانت هى الصورة داخل اسرائيل على المستويين الرسمى والشعبى .. بداية حوار قومى أو انقسام داخلى حول صميم ت الإساسية لنظرية الإمن لا مجرد تبادل تهامات حول سوء الاداء فى تنفيذها . فان الأمر بالنسبة لاصدقاء اسرائيل

فى . رج يزيد الصورة قتامة . فاسرائيل تشعر بالمرارة لما تعتقد انه تخل من أصدقائها عنها . لقد رفضت بكل صلف وغرور قبل حرب اكتوبر الاستماع الى نصائحهم بشأن نظرية الامن التى تقوم على القوة المسلحة وحدها . ولم يكونوا يضغطون عليها للانسحاب لان كل شيء كان راكدا ساكنا ، فليس من المعقول أن يتحركوا للدفاع عن مطلب العرب فى انسحاب اسرائيل من الاراضى التى تحتلها ما دام العرب انفسهم لا يتحركون . **ولكن بتحرك العرب وبضربهم اسرائيل ومصالح اصدقائها معا ، كان من الطبيعى ان تتوقع تحرك اصدقائها هؤلاء انفسهم للضغط عليها لقبول الواقع الجديد .. والانسحاب** فاصدقاء اسرائيل الذين يريدون لها البقاء ويحرصون على أمنها لا يستطيعون الدفاع عن حقها فى العدوان **واذا وجدوا ان سياسة اسرائيل ستعرض مصالحهم للخطر ، فلن يكون من السهل عليهم أن يوافقوها عليها ويتحملوا هم ـ بالتالى ـ مغبتها** . ولعل أوضح مثل على هذه الحقيقة التصريح الذى أدلى به هنرى كسينجر وزير الخارجية الأمريكية قبل حرب أكتوبر ونشرته صحيفة لوموند الفرنسية . قال .. « ان الولايات المتحدة مستعدة قطعا للدفاع عن وجود الدولة الاسرائيلية وأمنها ، غير أنها ليست على استعداد للدفاع عن غزواتها ورغبتها فى ضم الأراضى ونحن لن نسمح بأن تصفى المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط من أجل بعض الأراضى التى تريد اسرائيل ضمها » .

والمعنى النهائى لهذا كله .. أن حرب اكتوبر بكل جوانبها ـ بعملياتها المحلية والدولية معا ـ من شأنها أن تجعل كلا من اسرائيل وأصدقائها ، يعيدون حساباتهم ويقومون بمراجعة شاملة حول الاساس الذى كانت اسرائيل تظن انه يمكن ان تقيم عليه أمنها بل وصميم وجودها ذاته وسط الأرض العربية .

فكرة التوسع بالقوة المسلحة ، والمحافظة على التوسع بالحرب .. لا يمكن ان تصمد وان تجد لها انصارا كثيرين داخل اسرائيل.

او خارجها .. وفى الخارج أعلن اصدقاؤها تململهم من هذه الفكرة خاصة وأنها بدأت تعود عليهم بالأضرار فضلا عن ثبوت عدم جدواها بالنسبة لأمن اسرائيل ذاتها . أما فى الداخل فانهـا بدأت تسبب بينهم خلافات كبيرة ، وأثارت « **جدلا قوميا** » سيشتد مع الأيام . **ولا شك أن هذا الجدل وما يمثله من وجهتى النظـر المتباينتين لاطراف ، هو مصدر ما نشهده من مراوغة اسرائيل الحالية حول اتفاقية وقف اطلاق النار وتلاعبها فى الترتيبهات التى تم الاتفاق عليها لتنفيذها .**

ففى اليوم المحدد لتوقيع الاتفاق التنفيذى لوقف اطلاق النار على طريق السويس ، رفضت اسرائيل التوقيـــع ولم يحضر مندوبوها الى الموعد الذى حددته قيادة قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة ، وتعللت اسرائيل فى هذه المماطلة بكلام غريب ، مثل .. « اننا لم نفهم ذلك من الدكتور كيسنجر » ! .. « نحن ننتظر بعض الايضاحات » ! الى اخر هذه العبارات التى ليس لها الا معنى التسويف ، والتى تدل على أن **الخلاف الداخلى فى اسرائيل حول المبادىء العامة فى الصراع العربى الاسرائيلى ينعكس على مواقف اسرائيل بالنسبة لجهود السلام .**

ثم الحادث الذى وقع على طريق السويس بعد ذلك بايام .. عندما حاولت القوات الاسرائيلية ازالة احدى النقط التابعة لقوات الطوارىء على الطريق ، واشتبكت بالايدى مع الجنود الفنلنديين الذين كانوا ينفذون تعليمات قيادة الأمم المتحدة ، وهنا أبدت اسرائيل مرة اخرى التعليلات الغريبة ، فقد انزلت علـم الامم المتحدة وعملت على ازالة خيمة قواتها قائلة .. « ان هذه النقطة تفصل بين القوات الاسرائيلية وهو ما لم ينص عليه الاتفاق » ! وكل هذا من جانب اسرائيل انعكاس للتمزق الذى أصاب الافكار الاسرائيلية الأساسية حول نظرية « الأمن بقوة السلاح » .

لقد حذرنا من قبل بان ((التلاعب)) فى وقف اطلاق النار لعب بالنار .. فالقوات المصرية المسلحة فى مواقعها على أكبر درجة من الاستعداد . ومصر ساكتة لأنها تعودت أن تفعل ولا تتكلم . وثقة مصر فى كل من قدرتها وقوة حقها ، هى التى تدعوها الى هـذا الالتزام الدقيق باتفاقية وقف اطلاق النـار وترتيبات تنفيذها ، اثباتا لجدية حرصها على السلام ، وتأكيدا لحقيقة أن الحرب التى خاضتها حرب من اجل السلام .

ولكن اسرائيل تخطىء خطا فاحشا اذا أساءت تفسير ضبط مصر لأعصابها . ان مصر تضبط اعصابها من موقع قوة وثقـة بالنفس ، تماما كما تتهور اسرائيل من موقع انفلات اعصابها وعدم ثقتها بنفسها وبنظرياتها السابقة التى ثبت فشلها فى المحك .

نحن فى مصر نشعر ان ما فعلناه هو الحق .. وهو أيضـا الصواب ، ولكنهم هناك يشعرون ان ما كانوا يعتبرونه ملاذهـم ــ وهو القوة ــ قد عاد عليهم بأوخم النتائج ، وأن تداعى الأحداث على هذا النحو قد يعود عليهم بكارثة .

وحتى القوة .. فهى ليست حكرا لاسرائيل وحدها ، ولها الان من خبرتها فى التعامل بالقوة معنا، مايدعوها الى اعادة حساباتها وهى الان تعرف الجندى المصرى حق المعرفة ، وقد ارغمها على ان تقدره حق قدره .. واذا كانت انقساماتها وعذاباتها وخيبة آمالها ستدفعها الى المزيد من الطيش بدلا من أن تقنعها بالتعقل ، فان لها لقاء آخر مع الجندى العربى الباسل الذى استطاع أن يضرب للعالم كله ــ لا لاسرائيل وحدها ــ مثلا خالدا فى شرف الرجال ونبل القتال .

القمة
فى الهجوم .. وفى الدفاع

.. وعلى الصعيد العالمى .. التقى كل من مؤيدى اسرائيل وأصدقائها والمتعاطفين معها ، والرافضين أصلا لأساليبها ، والمدركين لمخاطر سياستها على سلام العالم .. التقوا جميعا على ادراك ثابت بأن الشكل الذى تصر عليه اسرائيل ـ وهو التوسع وحماية هذا التوسع بالقوة ـ من شأنه أن يقود العالم الى كارثة !

« ١ ديسمبر ١٩٧٣ »

فى ديســمبر عام ١٩٦٣ وفى ا . الذى كان يلقيه الرئيس الراحل جمــال عبد صر فى بور سعيد يوم ٢٣ ديسمبر من كل عام احتفالا بذكرى ((عيد النصر)) .. قال انه ليس لدينا مشروع للهجوم على اسرائيل ، وليست لدينا حاليا خطة لضربها.

وكان احتفال ذلك العام قد انعقد وسط جو من « المزايدات » العربية التى اتخذت من موضوع تحويل اسرائيل لمياه نهر الأردن مادة أو زادا وفيرا لها . وكان تركيز المزايدين بصورة محددة على مصر ومطالبتها بالهجوم فورا على اسرائيل لمنعها من تنفيذ مشروعها لتحويل مياه النهر .

أشار جمــال عبد الناصر الى هــذه المزايدات ، وأعــرب عن ضيقه بها ، وعن أمله فى أن يختفى هذا الأسلوب من الساحة العربية ويحل محله ((اللقــاء)) العربى الشامل ، حيث يجلس العرب ويبحثون أمورهم ويتفقون على ما يريدون أولا ثم الوســائل التى يصلون بها الى تحقيق ما يريدون . يضع الكل على المائدة تصوره ورأيه وقدراته . ومن جماع هذه التصورات والرؤى والقدرات ، يتحدد شكل العمل العربى المطلوب من جهة والممكن من جهة أخرى. ويتفق العرب على أسلوب تنفيذه .. بما فى ذلك مجاله « كأن يكون عملا عسكريا أو اقتصاديا أو دبلوماسيا ، أو مجموعة من هذا كله » كما يتفقون على موعده « بعــد ثلاث سنوات مثلا أو أكثر أو أقــل حسب ما تقتضيه ظروف الاستعداد » .. الى آخر هذا الشكل المتحضر لأسلوب عمــل أناس جادين ، يريدون ــ أو هم بالأحرى ملزمون ــ بعمل شىء ازاء هذا الخطر الذى ــ يتهددهم كلهم والذى هو بالنسبة للجميع تهــديد قائم وحقيقى وليس مجــرد عبء على ضمائرهم أو مشاعرهم القومية .

دعا عبد صر الرؤساء والملوك العــرب جميعا الى الاجتماع لبحث وسائل ((ع)) ضد هذا ((الهجوم)) الاسرائيلى أو

« الوجه » من الهجمة الصهيونية الشاملة على ا . وهى نفسها هجمة متعددة الجبهات فيها العسكرى والاقتصادى والدبلوماسى والدعائى .. الى آخره . وكان وجهها فى تلك الأيام هو دعم اقتصاد اسرائيل بشكل حاسم عن طريق تحويل مياه نهر الأردن لرى مساحات كبيرة من صحراء النقب واستخدام مساقط المياه فى توليد قوة كهربائية ضخمة . ومن شأن تحويل مياه النهر — فضلا عن هذه المكاسب لاسرائيل — حرمان بلاد عربية مجاورة من قدر كبير من مصادرها المائية .

فى هذا الاطار وبهذا المفهوم التقت أول « قمة » عربية . ثم توالت مؤتمرات القمة فى القاهرة والاسكندرية وفى الدار البيضاء والخرطوم .. وكانت كلها تبحث « الدفاع » ضد أخطار اسرائيل المتزايدة . وكانت ذروة هذه اللقاءات فى الخرطوم . التى دار البحث فيها فيما هو أدنى من الدفاع بكثير ... فيما يسمى « ازالة آثار العدوان » — حيث لم ينفع الدفاع !

واليوم .. ولأول مرة فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى ، أصبح العرب « فى الهجوم » .

هاجموا قوات اسرائيل التى تحتل أراضيهم . وأزالوا الأمر الواقع الذى كان المخطط الصهيونى يحاول تثبيته فى المنطقة . وأربكوا حياة البلدان التى تساند اسرائيل وتمدها بالقدرة على العدوان . ونبهوا العالم كله الى الطابع غير المسئول الذى يتسم به مسلك اسرائيل وخطورة الأوضاع التى تريد فرضها على المنطقة . وحذروا بكل جدية وبما لا يدع مجالا للشك ، من ان هذه الأوضاع لن تكون آلامها مقصورة على الأمة العربية وحدها أو شعب فلسطين فقط ، ولكنها ستكون أشد وطأة وايلاما لجميع الدول والشعوب التى تسمح لها بالاستمرار .

ان « هجوما » عربيا ناجحا قد حل محل « دفاع » عربى فاشل . والاحتفاظ بالنجاح والاستمرار فيه والوصول به الى النصر . ى هو مهمة القمة الجديد الذى عقد فى الجزائر .

وفى جولة سريعة حول آثار هذه البداية الناجحة للعمل العربى الايجابى الذى « بدأ » يوم ٦ أكتوبر .. نجد ما يلى :

على حة العربية ..

ارتفعت المعنويات العربية الى أعلى منسوب لها فى تاريخها الحديث . واسترد الشعب العربى ثقته بنفسه وقدرته على منازلة عدوه ، وحطم « حاجز الرغب » الذى كان يحول بينه وبين مواجهته . وأدرك العرب انهم اذا عبأوا قدراتهم ونسقوا بينها ، ثم استخدموها بحكمة وشجاعة معا ، فانهم يستطيعون فرض ارادتهم واجبار العالم على الاستماع لهم ، والنظر اليهم لا باعتبارهم كما ضخما ـ مهملا ـ ولكن بوصفهم طاقة انسانية لها جذورها الحضارية الضاربة فى عمق الزمان : وهى طاقة لن تنطفىء جذورها ابدا وان خمدت بعضا من الوقت .

وعرف الشعب العربى قيمة القيادة الجادة الرشيدة الشجاعة والمتعلقة ، واسقط من حسابه والى الأبد المزايدين الذين يقولون ولا يفعلون ، والذين لا يرون فى المعركة الا مادة للمهاترة الحزبية الرخيصة او صراخا أجوف يطلقونه لكى يحلقوا على موجاته الى آفاق زعامة كاذبة يحلمون بها !

وسقطت مزاعم الانهزاميين .. الجبناء والعملاء على السواء . وكل ما روجوا له من نزعات الاستسلام بدعوى ان اسرائيل قوة لا قبل العرب بها ، وان عدوانها « واقع » لا قدرة لهم على تغييره !

وكل آثار ايجابية للهجوم العربى الذى بدأ يوم ٦ أكتوبر . وفى داخل اسرائيل ..

تمزقت الصورة التى رسمتها القيادة الصهيونية وأرادت لها أن تستقر فى أذهان شعبها .. صورة الدولة المنيعة فى حماية حدود امتدت داخل الأراضى العربية لكى تكون آمنة ، وصورة القيادة العسكرية العبقرية التى لديها خطط حازمة لابادة الجيوش العربية عند اول طلقة تطلق فى اتجاه قوات إسرائيل .

تحطمت خرافة جيش لا يقهر ، فتناحرت قياداته ، وتبادلت الاتهامات فيما بينها وتفشى التبرم والقنوط بين سكان اسرائيل كلهم . وأدركوا انهم ضحية السياسات المغامرة لقادتهم وزعمائهم جميعا بمختلف اتجاهاتهم ونزعاتهم ، فهم وقود النار التى يشعلونها أو التى لابد ان تفتح عليهم ما دام الغزو والتوسع هو الأسلوب الذى يقيمون عليه سياستهم أو يتصورون أنهم يستطيعون ان يبنوا عليه بقاءهم فى المنطقة .

وفقدت اسرائيل دفعة واحدة كل الصداقات والعلاقات التى كانت قد نجحت فى اقامتها فى القارة الافريقية . وفقد « ميناء ايلات » قيمته التى كانت تعلقها عليه اسرائيل كمدخل الى التغلغل فى القارة الافريقية .

وأدارت الدول الأوربية المتعاطفة مع اسرائيل ظهرها لها . وأفهمتها أنها وان كانت تحرص على سلامتها وأمنها ، فانها ليست على استعداد لأن تفقد رخاءها وتسمح لصناعتها بالدمار واقتصادها بالانهيار .. لا لشىء الا لأنها تتمسك فى صلف وعناد ببعض اراضى دول مجاورة احتلتها بقوة السلاح .

وهى آثار ايجابية أخرى للهجوم العربى الذى بدأ يوم ٦ أكتوبر .

وعلى الصعيد العالمى ..

التقى كل من مؤيدى اسرائيل وأصـــدقائها والمتعاطفين معها والرافضين أصلا لأساليبها والمدركين لمخاطر سياستها على ســلام العالم .. التقوا جميعا على ادراك ثابت بأن الشكل الذى تصر عليه اسرائيــل كاطار عام لسياستها وأســـاس لبقائها ـ وهو التوســع وحماية هذا التوسع بالقوة المسلحة ـ من شأنه ان يقود العالم الى **كارثة ، وقد كاد أن يجر العالم الى الهاوية .**

ولم تكن الخريطة السياسية للمنطقة وحـدها هى التى تغيرت بما قام به العــرب من ((هجوم)) ناجح على اسرائيل وأصدقائها فى أكتوبر . ان الأوضــاع السياسية داخل التحالف المؤيد لاسرائيل تغيرت هى الأخــرى بشكل حاد .. وبصورة قــد يكون لها آثارها البعيــدة على مستقبل هذا التحالف كله . لقد وقعت أزمة عنيفة بين الولايات المتحدة وحلفائها الأوربيين حول الأسلوب الذى تصرفت به الأولى فى الأزمة . أبدى شركاء الولايات المتحدة فى حلف الاطلنطى استياءهم من تصرفاتها وبخاصة وضع قواتها حول العالم فى حالة التأهب الذرى ، مما هدد بتصعيد قد يـ السيطرة عليه .. وذلك دون تشاور مع حلفائها . كمــا استاءت الولايات المتحـدة مما اعتبرته تخليا من شركائها عنها وعـــدم وقوفهم الى جانبهـــا ، كرفضهم استخدامها لأراضيهم فى عملية الجسر الجوى والبحرى لنقل الأسلحة والعتاد الحربى بصورة عاجلة الى اسرائيل . ومن أمثلة ذلك موقف المانيا الغربية التى لم تسمح لامريكا بنقل السلاح عبر أراضيها .

وحتى بين الشركاء الأوربيين أنفسهم ، دب الخلاف وارتفعت أصوات الاحتجاج . ففى أوائل هذا الأسبوع عقد وزراء المالية فى خمس دول تعتبر صاحبة أمتن اقتصـــاد وأقـــوى نقـــد فى العـــالم « أمريكا واليابان وألمانيا الغربية وانجلترا وفرنسا » اجتماعا سرية

فى فرنسا للتشاور حول الاجراءات الواجب اتباعها لمواجهة الآثار الاقتصـادية والنقدية المترتبة على حرب أكتوبر . وما أن تسربت أنبـاء هذا اللقـاء السرى ، حتى تعالت الاحتجاجات من بقية دول السوق الأوربية المشتركة التسع ـ وبخاصة من ايطاليا ـ تتساءل عن معنى انفراد ثلاث من دول السوق « بريطانيا وفرنسا والمانيا » دون بقية أعضـائه ببحث أو اتخـاذ قرارات فى مثل هذه الشئون الاقتصـادية البالغة الأهميـة . وكيف لا يمثل البـاقون رغم ان القرارات التى من شأن مثل هذا الاجتمـاع أن يسفر عنها ، تمس الجميع وتمتد آثارها الى حياة كل فرد داخل مجتمعات هذه الدول كلها . كلهم الآن يقاسون شتاء لا يجدون معه وسائل تدفئة كافية . كلهم يعانون تقلصا صنـاعيا بسبب أزمة الطاقة ينعكس فى شكل ارتفاع كبير فى الأسعار وتكاليف الحيـاة . كلهم مضطر الى تغيير أسلوب حياته اليومية ووسائل انتقاله من بيته الى مقر عمله وقضاء عطلته الأسبوعية بسبب منع استخدام السيارات الخاصة فى أيام العطـلات . سفرهم جوا وانتقالهم السريع وراء أعمـالهم تأثر هو الآخر بسبب خفض عدد رحلات الطائرات . الكل يضيق باسرائيل وبتصرفاتها غير المسئولة وبنزعات قادتها المغـامرين الذين جلبوا على العالم كل هذا الارتباك . ولذا فان الجميع يتمنون ـ ان حبا أو كرها ـ ان يروا اسرائيل تنسحب فيحل السلام ويتخلص العالم من هذا الصداع .

وهذا أثر ناجح آخـر للهجوم العـربى الشامل الذى بدأ يوم ٦ أكتوبر .

فى ظل هذا الهجوم وهذا النجاح انعقد مؤتمر القمـة العـربى السادس بالجزائر .

حرصا على أن يؤتى هذا الهجوم آثاره النهائية ، وحرصا على حمايته من أى « هجوم مضـاد » من أعـداء الأمة العـربية ، من

اسرائيل أو من تستطيع التغرير بهم مرة أخرى من أصدقائها .. التقى رؤساء الدول العربية وملوكها . الدول التى قاتلت والتى قطعت البترول والتى جهزت المقاتلين والتى ساهمت بالأموال أو بمختلف أنواع المساعدات والتى شاركت فى اغلاق المضيق . التقوا جميعا بعد المعركة الافتتاحية فى الهجوم العربى الشامل التقوا هذه المرة - ولأول مرة - وهم « فى الهجوم » بعد أن كانوا يلتقون وهم « فى الدفاع » .. وحتى لا يستطيعوا الدفاع !

فى اطار الوحدة الفعلية .. وحدة العمل لا وحدة القول ، اجتمعت القمة العربية فى الجزائر ، ووجد الشعب العربى فى كل مكان من الوطن العربى من يمثله فى هذا اللقاء العربى الهام والمصيرى .

ومن الغريب الذى يدعو الى الأسف .. ان دولتين عربيتين قاطعتا مثل هذا الاجتماع ، وفى مثل هذه الظروف !

ان من حق كل دولة أن تكون لها وجهة نظرها وآراؤها فى كل ما جرى ، وما ترى انه يجب ان يكون .

ولكن اليس هذا اللقاء هو المكان الأمثل لكى تعبر كل الآراء عن نفسها ، وتقنع الآخرين ، أو تحاول اقناعهم بها ؟

ان الهدف واحد .. وهو مستقبل الأمة العربية . وفى اطار هذا الهدف يمكن أن تتعدد الاجتهادات وتتباين وجهات النظر ، حول الوسائل . والطبيعى هو ان يلتقى الجميع ، ويبحثوا أمورهم فى صراحة وجدية ، بعيدا عن المهاترات وبعيدا عن المزايدات . قد يكون لديك رأى اقتنع به ، وقد تقتنع انت بوجهة نظرى اذا سمحت لى بأن أبسط لك أسبابها واقدم الاعتبارات التى توصلها . وقد لا يتنازل أى منا عن رأيه تماما أو يصر عليه تماما .. وقد نجد صيغة مشتركة تحمل خير ما فى رأيى وما فى رأيك . وعندئذ سنتفق

على هذه الصيغة أو على هذا « الخط المشترك » ونلتزمه ونسير عليه كاستراتيجية عامة لنا جميعا . ولماذا لا ننسق بين عملنا - ما دمنا جميعا نهدف الى غاية واحدة - ونوزع الأدوار بيننا ؛ كل بما هو أقدر عليه وأقرب من غيره الى تنفيذه .

لقد انعقدت « قمة » الجزائر فى ظل هجوم عربى ظافر .. هجوم تى بنتائج كبيرة لم يكن أحد من أعداء الأمة العربية يتصور أن العرب يمكن أن يحققوها .

وهذا النجاح فى حد ذاته مكمن الخطر على الانجاز الذى حققناه . سواء على المستوى العسكرى أو السياسى أو الاقتصادى .
نا يجب أن نتوقع من أعدائنا هجمة مضادة ، لا نعرف مجالها أو داها . قد تكون عسكرية وقد تكون اقتصادية ، أو الاثنين معا غير ذلك مما يجب أن نتوقعه من عدو غادر وحلفاء له متربصين .
أعداءنا يسوؤهم كثيرا ان يروا العرب يحققون كل هذا نجاح ، ويبطلون بخبطة واحدة منسقة ومحكمة ، جزءا كبيرا من حول المخططات الصهيونية بعيدة المدى ، التى استغرق تدبيرها تنفيذها سنوات طويلة وشاركت فى صنعها أجيال كثيرة .

لذلك فاننا بعد هذه المرحلة الافتتاحية من هجومنا ، تو... لا .. نلتقط أنفاسنا ونعيد تنظيم صفوفنا ونتشاور حول المراحل تالية . وهذه المراحل هى الأهم ، بل هى هدف كل ما ... .

اننا .. بهذه الدرجة العالية من روح الوحدة التى تجلت فى نتال ، نستطيع أن نكسب الحرب اذا تجددت .. وبها ... نستطيع أن نكسب السلام .

الضـــــمان

لقد كانت حرب التحرير العـربية اقناعا ((اليمـا)) لاسرائيل ببطـلان دعواها عن الحدود الآمنة أوالدفاعية او الكفيلة بردع العرب عن الهجوم . سقطت نظرية ((مد الخطوط بهدف توقى الحـرب)) . وكانت هـــذه الخطوط نفسها هى حافز العـرب على الحرب . واذا أصرت اسرائيـل على بقاء هذه الخطوط ، فان العرب سيحاربونها مرة ثانية وثالثـة والى الأبد .

((٨ ديسمبر ١٩٧٣))

اتوقع .. عندما تبدأ أعمال مؤتمر السلام المزمع عقـــده فى ... ــ اذا ا ... ــ أن يثار موضوع ((الضمانات الدولية)) ..

فالعنصر ((الدولى)) سيكون واضحا فى المؤتمر بكل شـــكل وأسلوب .. المؤتمر نفســه وجهت الدعوة اليه دولتان من خارج المنطقة ، وهما بحكم ذلك ليستا طرفين مباشرين فى النزاع الدائر فيها . كل ما هنالك أن لكل منهما اهتماماتها بهذا النزاع ، ووجهة نظرها فى مساره وأسلوب تسويته .. من واقع هذه الاهتمامات بطبيعة ل .

ولذا فانه من المتوقع والطبيعى أن يكون لكلتا الدولتين « كلام » فى المؤتمر ــ رغم انهما ليستا طرفين مباشرين فى النزاع ــ وأن يكون لكل منهما ما تقوله لأطرافه المباشرين خارجه ، سواء فيما يتعلق **بشكله** م .. التصور المسبق لمهمته ودوره وما يمكن أن يسفر عنه ، **أو بسيره الفعلى** .. الأفكار المطروحة ومواقف الأطراف منها وموازين القوى التفاوضية .

تعبير « **الضمانات الدولية** » يقفز على الفور ويفرض نفسه على الصورة وبألوان صارخة ، الدولتان الداعيتان الى المؤتمر «تضمنان» لأطرافه نجاحه . وقبل ذلك اتفقتا على صــيغة لوقف القتـال وتقدمتا بها معا الى مجلس الأمن حيث حصلتا على قراريه رقم ٣٣٨ ورقم ٣٣٩ بوقف اطلاق النار ، الذى أعلنتا تعهدهما للمجتمع الدولى واطراف القتال .. « بضمان » تنفيذه . وبعد ذلك وعندما ينعقد مؤتمر السلام فان مسألة « الضمانات الدولية » ستكون مطروحة بشكل كبير .. سواء بالنسبة « لضمان » تنفيذ التســوية التى يتوصل اليها المؤتمر بصفة عامة ، أو بالنسبة لأمن اسرائيل بصفة خاصة .

وقد بدأ الحديث يتردد بالفعل عن « الضمانات الدوليـــة » فيما يتعلق بموضوع أمن اسرائيل ، ولابد هنا من تحفظ هام . ان

اسرائيل تخلط بصورة متعمدة بين ما تسميه أمنها .. وبين نزعاتها التوسعية . واذا كانت المسألة هى أمن اسرائيل ، كما تدعى ، فقد كان لديها « ضمان » دولى بهذا الأمن عندما تعهدت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لها عام ١٩٥١ بضمان أمنها . ومنذ ذلك التاريخ لم يقم العرب بأى هجوم كبير على اسرائيل يهدد امنها . وحتى الاغارات المحدودة للفدائيين على مناطق الحدود ، كانت تقابل بعمليات انتقامية بالغة العنف ، توجه فيها الضربات الى الدول العربية المجاورة التى انطلق منها الهجوم . ومنذ ذلك التاريخ والى جانب عمليات « الردع » الاسرائيلية العديدة من هذا النوع ، قامت اسرائيل بشن هجومين كبيرين على العرب ، أحدهما عام ١٩٥٦ والآخر عام ١٩٦٧ .. وكلاهما كان حرب عدوان لا دفاع ، وكلاهما كان هدفه التوسع ومد الخطوط والحصول على مكاسب اقليمية . فأين الأمن هنا الذى يتحدثون عن « ضمانات » لتوفيره !

ومع ذلك فقد تردد الحديث فى الأيام الأخيرة عن « الضمانات الدولية » لأمن اسرائيل . وجولدا مائير أعلنت أن « الضمانات الدولية » بالنسبة لدولة صغيرة كاسرائيل ، لا يمكن ان تكون بديلا عن حدود « يمكن الدفاع عنها » .. وهو التعبير الجديد الذى يستخدمونه الآن فى اسرائيل للاشارة الى ما كانوا يسمونه الحدود الآمنة !

القصد بطبيعة الحال هو المماطلة ووضع العقبات فى وجه مساعى احلال السلام ، والدخول فى متاهات حول نوع « الضمانات» التى تكفل الأمن ، وشكل ومكان الحدود التى تكمن فيها القدرة على الدفاع عن نفسها وعن اسرائيل داخلها !

لقد كانت حرب التحرير العربية اقناعا « اليما » لاسرائيل ببطلان دعواها عن الحدود الآمنة أو الدفاعية او الكفيلة بردع العرب عن الهجوم . سقطت نظرية « مد الخطوط بهدف توقى الحرب » . وكانت هذه الخطوط نفسها هى حافز العرب على الحرب . لقد قاموا بهجومهم لتحرير أرضهم المحتلة اى لتقليص الخطوط التى مدتها اسرائيل فى هذه الأرض . **واذا أصرت اسرائيل على بقاء هذه الخطوط ، فان العرب سيحاربونها مرة ثانية وثالثة والى الأبد .. بل ولماذا لا نحاربها حربا متصلة لا هوادة فيها ولا وقف لها . ان قدرتنا عليها الآن أكبر . كنا متفوقين عليها فى الكم ولم نكن كذلك فى الكيف .. أما الآن فنحن ــ بدون أى حماســة وطنية ولكن باعترافهم هم أنفسهم وشهادة العــالم كله ــ لسنا متعادلين معهم فى الكيف فقط ، ولكننا أشد منهم بأسا فى القتال** . ولنقرأ التقرير الشامل عن الحرب الذى نشرته أكبر الصحف الأمريكية « النيويورك تايمز » على أربعة أعداد متتالية . قالت ــ على لسان أحد القــادة العسكريين الاسرائيليين : ((**لقد حاربنا هذه المرة نوعا مختلفا من الجنود رجالا أفضل تجهيزا وتدريبا وأشد ايمانا بعملهم وتصميما على بلوغ هدفهم**)) .

وعلقت الصحيفــة على ذلك قائلة .. ان الاسرائيليين اليــوم مجبرون على أن يأخذوا العرب مأخذ الجد ، انهم مضطرون الى اعادة النظر فى أساليبهم العسكرية والسياسية كلها وفى رؤيتهم لعدوهم . وكان من اهم ما جاء فى هذا التحقيق الكبير قول النيويورك تايمز .. **ان قلة ضــئيلة من الاسرائيليين هم الذين ـ ـ ون أن النجاحات التكتيكية التى حققتها بعض القوات الاسرائيلية فى الأيام الأخيرة للقتال ستكون لها اى قيمة سياسية على الاطلاق تبرر الثمن الفــادح الذى دفع فيها** . وان الكآبة الســائدة فى اسرائيل اليوم لا يخفف من حدتها الا ضحكات المرارة التى تنطلق عند التندر على

خـــط بارليف « المنيـــع » والتهكم على جنرالات اسرائيـــل « المتفاخرين » !

معنى هذا أن هناك اعترافا بتوازى عامل الكيف ... لى — على الأقل — بين طرفى المعادلة العربية الاسرائيلية ، ان لم يكن العرب أعلى يدا فيه . يبقى عامل الكم ، وللعرب فيه تفوق حاسـم على اسرائيل ، ولا أمل لها فى معادلته بل ان الميزان هنا يميل أكثر لصالح العرب مع مضى الوقت . كما أن العامل الأول نفسه — وهو الكيف القتالى — يتحرك هو الآخر فى مصلحة العـرب ، أو على حد تعبير النيويورك تايمز .. « ان القتـال يبعث فى العـرب ثقة متزايدة بالنفس » . أى أن الحرب والحرب الطويلة بالذات ، لا يمكن — بالحساب أن تكون فى مصلحة اسرائيل .

حلاصة الأمر أن « الضمانات » اللازمة لأمن اسرائيل ، ليست هى الحدود الممتدة بقوة السلاح ، وليست فى سياسة الردع .. **وليست أيضا فى الاعتماد على ضمان خارجى اذا كان هدفه هو أن يكفل القدرة على العدوان والتوسع !**

ان اسرائيل اذا و... قوة خارجية توافقها على هذه السياسة فى وقت ما ، فلن « تضمن » أن هذه القوة ستظل لها الرغبة .. أو القدرة .. على الالتزام بهذا الضمان الى الابد . وكيف لها أن تطمئن الى أن هذه القوة لن تغير موقفها فى عالم يموج بالمتغيرات .
كذلك فان لكل شىء فى هذه الدنيا ثمنا ، واذا كانت اسرائيـــل تستطيع فى فترة معينة أن تقدم لهذه القوة ما يعتبر ثمنا لضمانها ، **وكيف تثق أنها ستستطيع أن توفى هذا الثمن دائما ومهما تغيرت الظروف !**

ان مقدم الضمان لابد أن يشعر ان هناك « مقابلا » لما يقدمه . فالضمان ليس شيئا مجردا أو تعبيرا هلاميا عن المشاعر .. انه عبء على أصحابه ، وهو عبء محدد قد يقتضى تقديم مســاعدات

مكلفة والتعرض لعداوات كان يمكن تفاديها وفقدان أصدقاء أو حلفاء وقد يصل الى حد التورط فى مواجهات ما كان لها مبرر لو لم يكن هذا الضمان كما انها تخرج عن نطاق الاستراتيجية الذاتية لأصحابه .

ان الذى يقدم كل ذلك لابد أن يتوقع ثمنا له . والثمن فى هذه الحالة لن يقل عن قيام اسرائيل بدور الحراسة لمصالحه فى المنطقة .

وماذا يمكن أن تكون هذه المصالح .. انها لن تخرج عن واحد من المطالب والاهتمامات – أو الأهداف – التالية ..

ايجاد نفوذ له فى المنطقة ..

ومساعدة اسرائيل بهذا الشكل لا يمكن أن تؤدى الى ذلك ، بل انها على العكس تخلق مشاعر مضادة ومرارات شديدة وتقضى على أى أمل له فيها . فالذى يساعد عدو المنطقة يصبح هو نفسه عدوا لها .

تأمين حصوله على بترولها ..

وهذا الهدف لن يتحقق بتقديم المساعدة لاسرائيل بالطبع .. وليست منابع البترول العربى هى التى فى خطر وصول يد اسرائيل اليها ، ولكن مؤيدى اسرائيل الآن هم الذين فى خطر وقف امداداته تماما عنهم .

التفرقة بين وحداتها ..

وذلك لسهولة ضربها وهى كيانات متناثرة أو الحصول على مزايا من التعامل معها كوحدات صغيرة ليس بينها رابط يجمعها ويعطيها قوة تفاوض كبيرة . وقد أثبتت الخبرة انه لا شىء يوحد العالم العربى مثل التصدى لخطر اسرائيل . واظهر العرب فى القتال الأخير درجة من الوحدة لم تتحقق قط فى تاريخهم الحديث .

اليست هى مختلف انواع ((الثمن)) الذى يمكن لقـوة مؤيدة لاسرائيل فى أ العدوانية ، ان تتوقعه منها ؟ ! ..
هل تقدر اسرائيل الآن على اداء الدور ودفع هذا المقابل لمن ((يضمنون)) لها القدرة على التوسع واحتلال أراضى الغير .

اذا كانت اسرائيل حقا تريد ضمان أمنها ، فان هذا الضمان لن يأتيها من الخارج .. انه يجب أن ينبـع من داخلهـا .. من اقتناعها بالحقائق التى أكدتها حرب التحرير العربية .. من نزولها عند حكم الواقع الذى تراه وتعيشه .

ان صلف اسرائيل النابع من طبيعتها العدوانية ، وغرور قادتها الذى صنعه تهاون عربى مضى عهده ، ومصالح العسكرية الصهيونية التى ستزول اذا استقر السلام فى المنطقة .. قد تكون هذه كلها أسبابا تؤدى باسرائيـل الى المزيد من الوقوف فى وجـه حركة التاريخ ، الى مزيد من المما والتسويف بل والعناد المستند الى أوهام ما قبل حرب التحرير العـربية أو ((حقائق)) ما قبل هذه الحرب ، ولكن ذلك لن يطول .. لا هى ولا مؤيدوها ولا أصحاب أى ((ضمان خارجى)) يقدرون عليه !

بعد حرب التحرير العربية ..
الخيار الباقى أمام إسرائيل

والخيار الوحيد المتبقى لاسرائيل ..
هو أن تنزل عند حكم حقائق الموقف
والمتغيرات التى نجح العرب فى فرضها
على الصراع بأبعاده المحلية والدولية
.. أى تقبل الفصل بين قواتها
وقواتنا كجزء من عملية انسحاب
شامل من الأراضى التى احتلتها ، فى
اطار تسوية عامة وشاملة للموقف
كلـه .

« ١٩ يناير ١٩٧٤ »

شهدت قضية الصراع العربي الاسرائيلي تطورات سريعة ومتلاحقة فى الساعات الأخيرة ، ومن المتوقع أن تشهد المزيد منها فى الأيام دمة . ومؤدى التطورات ان القضية تدخل الآن منعطفا خطيرا وهاما .. ومن المهم أن يكون فى دخولها هذا المنعطف اتجاه الى ناحية أهدافنا النهائية ، أو بالأحرى الأهداف النهائية حنا الذى خطونا خطواته الأولى بعبورنا قناة السويس يوم ٦ أكتوبر الماضى .

ان هذا العمل الكبير تم وفى حسابه وتخطيطه أن يكون له رد فعل معين .. أو سلسلة من ردود الفعل ، تؤدى فى النهاية الى ما نريده من هذا « الفعل » العظيم .

وما نريده من كفاحنا الذى بدأناه بجسارة فائقة فى التخطيط والتنفيذ والذى يجب أن نصر عليه حتى تتحقق أهدافنا كاملة يتلخص فيما يلى :

تحرير أرضنا المحتلة والأرض العربية المحتلة كلها ..

استعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين وعلى رأسها حق الشعب فى التعبير عن ارادته السياسية وتقرير مصيره .

عودة الاستقرار الى المنطقة ووضع الأسس لسلام عادل فيها ، تستطيع أن نتفرغ لمهام ملحة كالتنمية الاجتماعية والاقتصادية وعدم التخلف عن ركب التقدم العلمى والحضارى العالمى الذى يسير حاليا بسرعة عالية وتتزايد معدلات سرعته بشكل كبير ، اذا لم نلحق به فان الفجوة ستزداد اتساعا بيننا وبين العالم وستكون محاولة تضييقها مهمة بالغة الصعوبة .

وباختصار .. فاننا استخدمنا السلاح لنصل الى السلام ونحقق كرامتنا الوطنية ونبنى مستقبلنا .

لجوؤنا الى السلاح هو الأساس .. ويجب أن يكون واضحا انه ما من نتيجة لمسناها او سنشهدها مستقبلا فى اتجاه أهدافنا وما نريده ، الا ومرجعها شجاعتنا فى اتخاذ قرار اللجوء الى السلاح ثم شجاعتنا فى استخدام هذا السلاح . كل المفاوضات والاتصالات وجهود الوسطاء وتدخل المنظمة الدولية وأجهزتها ، وكل مشروعات السلام التى تقدم لنا أو التى تقبل منا ، ما كان يمكن أن تتم ، وان جرت فما كان يمكن أن تكون لها قيمة ... لولا أنها في ظل قدرة نضالية استطاعت أن تثبت نفسها وأن تفرض على الجميع أن يعملوا حسابها .

كنا قبل حرب أكتوبر نتحدث كثيرا عن المتغيرات الدولية وأثرها على قضيتنا . ولكننا بقرار الحرب أعلنا اننا قررنا أن ندخل على الموقف الدولى والمحلى أيضا من التغيرات ما يخدم قضيتنا .

كنا أصحاب الحق .. وكنا غاية فى البلاغة حديثا عن هـذا الحق وتفصيلا لمدى العدوان الواقع علينا والجرم الذى ارتكب فى حقنا . وكان ذلك مبلغنا من الجهد . فماذا كانت النتيجة .. حصلنا على مئات الادانات الدولية على عداون اسرائيل وتحدث بعض المنصفين من أصحاب الضمير الحر فى العـالم عن عـدالة قضيتنا ، وكان ذلك هو كل شيء . ولكن كل يوم يمر كان يزيد العدوان رسوخا ، ويزيد الجريمة توطيدا لأقدامها .

اننا لم نقف نرصد المتغيرات الدولية ونحصى منها ما قد يكون فيه عون لنا ، واكتفينا بذلك !

قيامنا برصد ما يجرى فى العالم من حولنا ، كان عملية ضرورية .. بوصفها جزءا من الحساب فى **خطة نحن فيها الأساس ونهوضنا الى قبول التحدى هو الأصل** ، ولكننا نستكشف السـاحة التى سيمضى عليها عملنا ، وذلك بسبب ظرف خاص فى صراعنا . وهو أن هذا الصراع يجرى فى منطقة الشرق الأوسط التى تتشابك فيها

الاهتمامات والمصالح للدول الخارجة عن المنطقة من جهة ، ومن جهة أخرى لأن العدو الذى نتعامل معه يعيش ــ ولا يستطيع أن يعيش ــ الا بخيوط عديدة عسكرية واقتصادية ومعنوية تربطه بالخارج .

وكما كانت خطتنا تقوم على أساس رصد دقيق لما يجرى فى لم واستكشاف واع للساحة لية ، فان عدونا نفسه كان هو وأساليبه وحقائق الأوضاع فيه ، محل دراسة واقعية وثيقة لاتأخذ بأحكام متسرعة .. لاترتاع أمام ما من فرقعة سلاح فتحجم عن الإقدام ، ولا تقع فى خداع النفس فتتصور أن الكم الكبير و كاف لجعل المهمة يسيرة هينة .

قبل أن نقدم على الحرب حسبنا معنى الخسائر البشرية الخطير فى اسرائيل .. وأثر طول فترة القتال وما يستتبعه من تعبئة شاملة فى شل اقتصادها والحاق الخسائر بزراعتها وما تبنيه عليها من صناعات فضلا عن خسارتها فى تجارتى التصدير والسياحة . كنا نعلم أن مفاجأة الحرب ستوقع الانقسامات بين صفوف قادتها وزعمائها ، والمفاجأة لم تكن فى موعد الحرب بقدر ما كانت فى الحرب نفسها .. اقدامنا عليها وروعة بلائنا فيها ، وقد اختلفوا فعلا وتشاحنوا وتبادلوا الاتهامات ، حول التقصير فى الاستعداد لمواجهة هذه الحرب ثم حول النظرية التى كانوا يظنون أنها ستمنع الحرب أصلا أو تكفل لهم النصر الحاسم فيها اذا قامت .. وهى نظرية الأمن التى تقوم على توسيع الحدود واحتلال الأراضى . وكان من التقديرات السليمة أيضا أن الحرب التى سنفتحها على اسرائيل ولن نتوقف عنها حتى تنسحب من أراضينا التى تحتلها وحقوقنا التى تغتصبها ، ستؤدى الى تقليص عمليات الهجرة التى كانت قد بدأت تعد لاستقبال دفعات كبيرة منها ، وان حرب البترول العربية ستصيب الخيوط التى تعتمد عليها اسرائيل فى ارتباطها بالخارج بالانكماش ثم بالانقطاع التام اذا

وصلت حدة هذه الحرب ـ بسبب تسويف اسرائيل نفسها ـ الى درجة لا تحتمل وطأتها الدول التى تربطها باسرائيل هذه الخيوط .. العسكرية والاقتصادية والمعنوية .

لقد [illegible] خطتنا [illegible] الواعية والقائمة على الدراسة والجسارة معا ، لأننا نظرنا الى عدونا و [illegible] بعيدا عن التهويل فى قوته أو التهوين من شأنه ولكن بجدية وموضوعية وبادراك لقدراتنا وما هو متوافر لنا من أسلحة ووسائل لخوض المواجهة وكذلك باستعداد نبيل للتضحية وبذل النفس والفداء من أجل الهدف ..

كنا نعرف أن عدونا مدجج بالسلاح من رأسه الى قدميه ، وان هناك ترسانات مفتوحة يغترف منها كل ما يحتاجه بل وأكثر مما يحتاجه ، ولكن ذلك لم يثننا عن الهجوم ، لأننا شعرنا أن واجبنا هو أن نهاجم ، وانه بالحساب الجيد وبالتدريب وبالاعداد للأمر بمختلف جوانبه ، وبكسر جدار الرعب الذى أحاطت به اسرائيل نفسها ، وبالتخلص من داء الهزيمة الذى أرادت أن يستشرى فينا .. نستطيع أن نحقق معها درجة من الندية فى التعامل بالقتال ، اذا أضيفت لها امكانياتنا الأخرى ، كالتضامن العسكرى والاقتصادى العربى والمعين البشرى الذى لا ينضب فى الأمة العربية وسلاح البترول ، **فان اسرائيل لن تقدر على حرب طويلة معنا .. لن تحتمل النزيف طويلا** ، فهى تنزف فى عدد سكانها المحدود ، وتنزف فى علاقاتها بدول القارة الافريقية التى اقامت علاقات معها ، وحتى علاقاتها الأوربية أصيبت بالضرر نتيجة تململ دول أوربا من أزمة الطاقة التى تعانيها لأنها تعرف أن سببها هو صلف هذه الدولة التى تصر بشكل غير مقنع على احتلال أراضى الغير ، ورفض الامتثال للارادة الدولية الجماعية كما جسدتها قرارات الأمم المتحدة ، وتجاهل كل عروض السلام التى تقدم لها .

وامتداد الحرب بهذا الشكل يزيد من خسائر اسرائيل على كل المستويات وفى كل المجالات ..

يتسع مدى الخلافات والانقسامات داخلها حول مسئولية ما حدث وكيفية الخروج من هذه الورطة .

يزداد النزيف البشرى من القتلى والجرحى فى الاشتباكات .

تخسر المزيد من الأصدقاء ويتعمق الاقتناع بأنها سبب ما يعانيه العالم من عناء وأزمات حقيقية نتيجة لنقص موارد الطاقة .

تصاب صناعتها وزراعتها بمزيد من الكساد .

يشعر سندها الأكبر وهو الولايات المتحدة ، ان استمرار هذه الأزمة والذى ليس له سبب الا عناد اسرائيل ، يزيد من الصدع الذى حدث فى علاقاتها بحلفائها وأصدقائها ويضاعف من تدهور علاقاتها بالدول العربية ودول العالم الاسلامى ، فضلا عن اهتزاز صورتها فى العالم كله بوصفها حامية عدوان اسرائيل لا ضامنة أمنها وسلامتها كما كانت تدعى .

وأمام هذه الحقائق فان اسرائيل لن يكون أمامها الا أن تسير فى واحد من طرق ثلاثة بما تتصوره من مزايا يحققها لها أو يخرجها من هذه الورطة .. وبكل ما فيه أيضا من محاذير ، وما قد يثيره داخلها أو بينها وبين من يعينونها من شقاق وخلافات ..

قد تفكر فى القيام بعمل متهور تضع فيه كل ما تبقى لهـا وما حصلت وما تستطيع الحصـول عليـه أو تطويره محليا من أسلحة الهجوم المدمر . وفى هذه الحالة فانها تعلم انها تخـاطر مخاطرة غير محسوبة ، فان الاعماق عندها ستكون معرضة ، وهى تعلم – على وجه التأكيد واليقين – ان لدى مصر وسائل هجوم قادرة على أن تطول العمق الاسرائيلى ، كذلك فان قواتها التى دخلت الى منطقة غرب القناة عبر الثغرة فى عملية دعائية وحرصا

على كسب قوة تفاوضية ، هي الآن رهينة بين أيدينا وميزة استراتيجية لنا وليست لها . وفي مثل هذه الحالة فان اسرائيل لن تستطيع التحكم في رد الفعل لدى الدولتين الكبيرتين اللتين ضمنتا وقف اطلاق النار كجزء من المسعى نحو التسوية ، وهما الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، والأخيرة بالذات يصعب تصور قيام اسرائيل بعمل عسكري كبير دون موافقتها أو دون علمها على الأقل ، حيث هي موردها الأساسي في السلاح والذخيرة ، فضلا عن كل أسباب الحياة .

ومن الاحتمالات الواردة أن تسعى اسرائيل الى تجميد الموقف أطول فترة ممكنة مع محاولة تحسين أوضاع قواتها على جبهات القتال انتظارا لما قد يسفر عنه الغد من تطورات قد تكون في صالحها . وقد تلجأ في سبيل ذلك الى أسلوب الردع ومحاولات التخويف وهي الوسائل التي كانت تستخدمها قبل حرب أكتوبر . وهناك احتمالات لأن يكون هذا هو تخطيطها بالنسبة للجبهة الشمالية .. أي الجبهة السورية ، فبعض التقارير تشير الى مناورات واسعة النطاق تقوم بها القوات الاسرائيلية حاليا عند حدودها الشمالية قرب الأراضي اللبنانية من جهة وعلى هضبة الجولان من جهة أخرى ، وتشمل هذه المناورات عمليات انزال جوي لجنود المظلات وبطائرات الهليكوبتر . كما تقوم اسرائيل باخلاء المستوطنات الشمالية من سكانها في تكتم شديد . **وكل ذلك قد يكون جزءا من حرب نفسية مقصودة ومحسوبة ، أي عملية ردع تهدف الى استغلال فترة الشتاء ضد الجبهة السورية ، وقد تكون خطوات في اعداد العدوان مفاجيء على الجبهة ، على أمل الانتهاء منها سريعا ثم الاستدارة للجبهة المصرية .**

والتحرك الاسرائيلي على هذا المستوى يرتطم بعدد من المحاذير .. فبعد ما منيت به اسرائيل من خسائر في الحرب وما سال فيها من دماء ، يصعب أن يجد صاحب أي مشروع من هذا النوع تأييدا

أو موافقة اجماعية عليه من الرأى العام أو ممن بيدهم اتخاذ القرار .. وكانت أسرائيل من قبل لا تقدم على قراراتها الهامة الا بعد تأمين موافقة الأغلبية عليه على الأقل ان لم تكن الموافقة الاجماعية ، وذلك بسبب ظروفها السكانية حيث تتكون من عناصر متعددة ومتباينة وتكثر فيها الأحزاب المختلفة والانقسامات والاندماجات داخل هذه الاحزاب والأجنحة المتنافرة داخل الحزب الواحد .

كذلك فان هذا الاجراء يتضمن كل عيوب الحرب الطويلة التى لا تحتملها اسرائيل ويزيد من النفور الدولى منها ، ويكون معناه أنها لم تستفد بدرس الحرب ويكون فيه من التعامى عن حقائق الموقف بعد هذه الحرب ما يعرض اسرائيل لكارثة جديدة على حد تعبير رئيس تحرير صحيفة (هاآرتس) الاسرائيلية الذى قال « أن التعامى عن الحقائق واخفاءها عن الشعب قبل حرب اكتوبر هو السبب فى كارثة الحرب » .

و . ـر الوحيد المتبقى لاسرائيل .. هو أن تنزل عند حكم حقائق الموقف والمتغيرات التى نجح العرب فى فرضها على الصراع بأبعاده المحلية والدولية ... أى تقبل الفصل بين قواتها وقواتنا كجزء من عملية انسحاب شامل من الأراضى التى احتلتها ، فى اطار تسوية عامة وشاملة للموقف كله .

وأنا أكتب هذا قبل وصول كيسنجر الى أسوان فى زيارة خاطفة أخرى من تنقلاته التى استغرقت طول الأسبوع بين أسوان والقدس .. وحتى الآن لم تعرف تفاصيل مشروع الفصل بين القوات الذى يحمله ، وما اذا كان يلتقى مع الحد الأدنى لمطالبنا أم لا ، والموقف بالنسبة للفصل بين القوات على الجبهة السورية أيضا .. وكانت آخر انبائه انه طار بمشروع وخريطة مصرية للفصل بين القوات ، وكذلك وجهة نظر مصر مفصلة بالنسبة

لتصورها الشامل لعملية الفصل بين القوات وموقفها من الانسحاب الكامل والتسوية النهائية ..

وعلى أى حال .. فاننا فى جميع الأحوال ، سنظل متمسكين بالسلام حتى يتم الانسحاب الكامل ، وتتحقق جميع أهداف نضالنا التى بذلنا من أجلها الأرواح والدماء .. عندئذ فقط يكون السلام .

بهذا السلاح وبيسالتنا فى استخدامه حققنا ما حققناه ، وبه وحده سنصل الى تحقيق هدف كفاحنا .. وهو السلام العادل . السلام بشروط نرضى عنها وتتفق مع آمالنا وآمال الأمة العربية .

إسرائيل تعترف بأنه لم يكن أمامها خيار .. إلا الانسحاب

خلاصه الأمر .. أن أسرائيل كانت قبل ٦ أكتوبر تقيم وجودها العدوانى فى المنطقة ، وتبنى أيضا أحلامها التوسعيه فيها .. على فكرة الحرب! وجاء ٦ أكتوبر ليقول لاسرائيل ان كل ما أقامت عليه ((حسبتها)) كان خاطئا . وأن هذا الوهم - الذى يسبح ضد تيار التاريخ ومنطق الأشياء - لا يمكن أن يستمر الى الأبد .

((٢٦ يناير ١٩٧٤))

دافعت جولدا مائير أمام الكنيست عن توقيع حكومتها لاتفاقية الفصل بين القوات على الجبهة المصرية ، فقالت .. انه لم يكن أمام **اسرائيل بديل عن توقيع هذه الاتفاقية .. الا الحرب ، وأن قبول الانسحاب كان هو « الخيار » الوحيد أمام اسرائيل** . ونفس المعنى **جاء فى تعقيب كل من أبا ايبان وموشى دايان على الاتفاقية ..**

الحرب .. هى الآن الشىء الذى ترهبه اسرائيل ، وهى الورقة التى تشهرها الحكومة فى وجه المعارضة لاسكاتها عندما تنتقد قرار سحب القوات . والمتحدثون باسم الحكومة .. جولدا مائير وغيرها ، لا يقولون انهم لم يكن أمامهم خيار آخر ، من قبيل الجدل البرلمانى أو فى محاولة التخلص من موقف صعب مؤقت . ولكن اعترافهم بذلك نوع من التسليم بحقائق لا سبيل لانكارها . كما أن استخدامهم لتعبير « لا خيار آخر » يتمشى مع الاستخدام المنتشر لهذا التعبير فى اسرائيل فقد كانوا قبل حرب أكتوبر يقولون دائما « لا خيار آخر » وكانوا يقصدون بذلك انه « لا خيار غير الحرب » ! ..

كان هذا التعبير شعارا سائدا فى اسرائيل منذ نشأتها — وحتى قبل ميلادها (غير الشرعى) وعندما كانت مجرد عصابات ارهابية ومستوطنات مكتفية ذاتيا ومغلقة على نفسها وبعض التجمعات السكانية والقرى اليهودية المتناثرة . كانت الأجيال الاسرائيلية تربى على هـذا الشعار ويغذى به الوجدان الاسرائيلى بمختلف وسائل الاقناع والترويج . والمقصود بهذا التعبير .. هو **انه لا خيار أمام هؤلاء الذين يريدون ان يقيموا دولتهم فى هذا المكان الا أن يكونوا محاربين دائما** ، اما مشتبكين فى قتال فعلى لهم فيه اليد العليا ، او مظهرين من القوة القتالية والقدرة على الحرب ما يردع عدوهم عن شن الحرب عليهم ، واذا سولت له نفسه الحرب رغم ذلك .. فلا بد أن يخسرها ! ..

وهدف اسرائيل من ذلك مزدوج .. داخليا وخارجيا ..

فى الداخل ترمى الى أن يؤدى حقن أفكار الشعب بهذا الأسلوب، الى خلق مزاج قتالى عام لدى سكان اسرائيل ، فضلا عن اقناعهم بتقبل قوانين التجنيد العام ونظام التعبئة الشامل الذى يجعل سكان اسرائيل جميعا تحت السلاح ، أو كما يصفونهم « جيش فى أجازة ١١ شهرا كل عام » .. لأن كل انسان قادر على حمل السلاح فى اسرائيل يقضى شهرا كل عام فى الخدمة العسكرية .

وفى الخارج تكسب اسرائيل من ترويج هذه الفكرة كل ما تحصل عليه من معونات عسكرية أجنبية . كما أن خلق وهم عالمى اسمه (الخطر المحدق باسرائيل) يسهل مهمة الحكومات التى تريد – لأسبابها الخاصة – تزويد اسرائيل بما تشاء من كميات وأنواع السلاح والعتاد الحربى ، فهو يعفيها الى حد ما من الحرج الذى تشعر به أمام شعوبها ودافعى الضرائب فيها وأمام الرأى العام العالمى والدول الأخرى .. والجميع لن ينظروا بعين الارتياح لفتح الترسانات بهذا الشكل المبالغ فيه لاسرائيل ، ولن تستطيع تبرير موقفها أمامهم جميعا لا بمنطق .. « الخطر المحدق باسرائيل » !..

خلاصة الأمر – رغم ما فيه من تفاصيل كثيرة – أن اسرائيل كانت قبل ٦ أكتوبر تقيم وجودها العدوانى فى المنطقة ، وتبنى أيضا أحلامها التوسعية فيها ، على فكرة الحرب .. الاعداد الشامل لها من ناحيتى التعبئة البشرية والتجهيز بالمعدات ، والتلويح بها لردع العدو عن بدئها ، أى لمنع العرب من شنها عليها ..

كانت اسرائيل تقيم الاستحكامات وتزرع الأرض بالألغام وتتسلح بأحدث وأرقى ما أنتجته مصانع السلاح وتغطى قواتها البرية والبحرية بقوة جوية تكتيكية توخت فيها أن تكون ذات كفاءة ومرونة عالية .. بل ومسيطرة . كان هذا الأسلوب الحربى المحض هو وسيلة اسرائيل لتوسيع الرقعة التى تحتلها ، ثم لتأمين احتلالها للأرض التى اغتصبتها . ولكن ذلك لم يكن هو كل شىء ..

كان السلاح الأكبر والأهم الذى تعتمد عليه اسرائيل لمنع (العدو) من تحرير أرضه هو بث الرعب فى نفسه من الدخول فى حرب معها ، اى ردعه عن الحرب بالخوف من الحرب نفسها .. اهوالها ونتائجها وآثارها الخ .. وبذلك تكسب اسرائيل الحرب حرب ! لأن هدف العدو ــ وهو تحرير أرضه ــ لم يتحقق ، بينما يتحقق هدفها هى ــ وهو بقاء الاحتلال ــ دون أن تكلف نفسها عناء الحرب أو أعباءها ..

وجاء ٦ اكتوبر ليقول لاسرائيل ، وباشد الأساليب قسوة ومرارة ، ان كل ما أقامت عليه ((حسبتها)) كان خاطئا ، وان هذا الوهم الذى يسبح ضد تيار التاريخ ومنطق الأشياء لا يمكن أن يستمر الى الأبد . ان (العدو) الذى كانت تعتمد على انه لن يتحرك .. قد تحرك . اجتاز حاجز الرعب ، فاجتاز كل العوائق والاستحكامات .. قناة السويس وخط بارليف وحقول الألغام ، وتصدى للقوات البرية والبحرية وغطائها الجوى . واستطاع أن يظهر درجة عالية من وحدة العمل ومرونة التحرك على اكثر من جبهة وباكثر من سلاح .. ان هذا العدو ــ اى العرب ــ قد نهض لأداء واجبه ، وكان لابد له ان ينهض يوما . فهذا هو الأمر الوحيد الممكن بل والحتمى . وأمام هذه القدرة التى استطاع العرب اثباتها .. و . .. اسرائيل انه عليها أن تختار بين احد بديلين ..

اما أن تذعن لحقائق الموقف الجديد وتقبل سحب قواتها فى عملية الفصل بين القوات التى تعتبر خطوة طبيعية نحو الانسحاب الكامل ..

وأما أن ترفض الاعتراف بالحقائق الجديدة وتصر فى عناد على التعامى عنها ، وبذلك تتعرض للحرب مرة أخرى ..

وكان من الطبيعى أن تختار اسرائيل البديل الأول ، او البديل حيد .. فهى رغم كل ما كانت ... عن قوتها التى لا تقهر

لشعبها ولعدوها على السواء ، لا تستطيع تحمل الانهاك والاستنزاف ا ين يسببهما ا ل ، و خاصة ا ل الذى لا تعرف له نهاية ولا تضمن له نتيجة .. كما كان ل قبل هذه « الصحوة » العربية ..

ان اسرائيل اذا لم تقبل هذا الخيار ، فانها كانت ستواجه متاعب ومشاكل على كافة مستويات حياتها ، على التفصيل الذى أوضحته فى مقال سابق لقبولها لاتفاقية فصل القوات .. وقلت فيه انه ليس أمام اسرائيل الا ان تسحب قواتها وفقا للمشروع الذى تقبله مصر ، فهذا هو « الخيار » الوحيد الباقى أمام اسرائيل ..

وهذا بالضبط .. وبنفس الألفاظ ما قالته جولدا مائير يوم الثلاثاء فى « الكنيست » البرلمان الاسرائيلى فى شرح موقف اسرائيل من الاتفاقية . وهى لم تقل ذلك لأنها حريصة على قول الحق ، ولكن لأن الحق أقوى منها ولانه واضح ، وقد فرضت حقائق الموقف نفسها ، فلم يكن أمام اسرائيل ومن بيدهم اتخاذ القرار فيها ، الا التسليم بهذه الحقائق .. أو بعبارة أخرى النزول عند حكم الظرف الذى نجح العرب فى خلقه بالمنطقة وفى العالم كله ، وجعلوه الواقع المسيطر على هذه المرحلة من الصراع ..

وأقول « المرحلة » لأن الذى تحقق هو مرحلة .. وقد كانت مرحلة نا . ويجب الا يغيب عن بالنا أن هذه المرحلة الناجحة كانت المرحلة الافتتاحية فقط ، وان هنالك مراحل أخرى تالية . ان الطريق الى بلوغ أهدافنا النهائية لم يزل أمامنا عليه خطوات وخطوات .. و أن نخطوها بنفس القوة .. والثقة اللتين بدأنا بهما الز ..

أمامنا جهود كثيرة يجب أن نبذلها حتى يبلغ كفاحنا أهدافه المقصودة منه .. تحرير الأرض كلها واقرار حقوق شعب فلسطين.

قبل ذلك لن يكون هناك سلام . وعندما يستقر السلام ـ بشروطنا هذه ـ ستكون أمامنا جهود كثيرة أخرى تحتاجها مهمة التعمير التالية للحرب ، ومهمة توجيه الطاقة التى كانت مكرسة للحرب الى المشاركة فى السعى الأساسى للتقدم الاقتصادى والاجتماعى وبناء المستقبل الأفضل للشعب ..

أى أن المهمة ذات شقين .. من النقطة التى نحن فيها الآن وحتى تتحقق الأهداف النهائية لكفاحنا ومن ثم يستقر السلام . ثم ما بعد السلام ..

والشــق الأول ..

سيكون علينا فيه أن نخوض نضالا سياسيا عنيدا .. نخوضه بنفس القوة الدافعة التى خضنا بها الحرب وبنفس الاصرار على تحقيق الهدف وستظل أيدينا على السلاح . ويجب أن تظل للعمل العربى وحدته والدرجة العالية من التنسيق التى استطاع التعبير عنها فى المرحلة السابقة . وستكون أمامنا مهام محددة عبر عنها الرئيس أنور السادات مهندس هذا النصر وقائد المسيرة الى غايتها النهائية والذى أبدى العالم كله اعجابه بشجاعته وحكمته ومقدرته ، وقالت عنه صحيفة « صنداى تايمز » البريطانية هذا الأسبوع .. **« ان الدور البناء للرئيس أنور السادات يتجاوز حد الوصف ، انه أول زعيم عربى فى التاريخ يجبر اسرائيل على الانسحاب » ..**

هذه المهام كما عبر عنها أنور السادات هى :

تحقيق الفصل بين القوات على الجبهة السورية .. ومن الواضح أن مصر ستضع كل ثقلها حتى يتم انسحاب اسرائيل فى الجولان على غرار الانسحاب الإسرائيلى من قناة السويس . وهذا هو الشرط لاقرار السلام فى مؤتمر جنيف الذى ستشترك فيه سوريا بعد فصل القوات ..

ضرورة تمثيل فلسطين فى المؤتمر .. وأن يكون ممثلها الرسمى هو منظمة التحرير الفلسطينية ، التى اتفق العرب بالاجماع - فى مؤتمر القمة بالجزائر - على اعتبارها الممثل الشرعى الوحيد لشعب فلسطين . وقد أعلن الرئيس السادات استعداده لبذل جهد خاص فى سبيل تحقيق هذا الهدف اذا اعترضته اى عقبات .

وباشتراك سوريا وفلسطين فى مؤتمر جنيف يبدأ البحث فى التسوية الشاملة على أساس الأهداف العربية وفى ضـوء القـوة العربية التى سيكون عليها أن تظل ممسكة بكل أسلحتها ..

أما الشـق الثـانى ..

فانه بعد اقرار السلام - على هذه الأسس والشروط - تبدأ مهمة البناء وتعويض ما فات من وقت وجهد زاد من اتساع الفجوة بيننا وبين ركب التقدم العالمى ، وهى فجوة لابد من تضييقها وبلوغ مجتمعنا للمستوى الذى يستحقه ..

ولكن .. ليس هناك معنى لأن تنتظر جهود البناء والتعمير انتهاء كل هذه المراحل . **اننا نستطيع أن نبدأ من الآن - فى ضـوء حقائق الرحلة وما يعد به الموقف الحالى من تطـورات مقبلة فى اتجاه آمالنا** - نبدأ تطهير القناة واعدادها لاستقبال ملاحة العالم لخيره وخيرنا ، ونبدأ تعمير المدن التى هدمتها الحرب ، ونبـدأ الاستعداد لانفتاح اقتصادى كامل على العالم كله ، ونضع الخطط العاجلة لمواجهة المشكلات المتأزمة التى لابد لها من حل سريع .. كالانفجار السكانى الذى أذيعت هذا الأسبوع أنباؤه المذهلة ، ومشاكل المرور والنقل وتوفير السلع . وكلها قضايا عاجلة لا تحتمل التأخير ، كما ان علاقاتنا الاقتصادية وغيرها بدول العالم الأخرى مسـألة تستحق البحث ووضع الأسس المتينة لها .. ولكن هذا حديث آخـر ..

سلاح البترول

- لعبة البترول .. من يوجه فيها ضربة البداية .

- ماذا نقول .. وماذا يدبرون .. ؟

- هل هى محاولة لانشاء جمعية منتفعين بالبترول العربى . ؟

- سلاح البترول يحتاج لاعادة نظر .

(مقالات هــذا الجزء ، نشر بعضها قبل حرب التحرير العربية .. وكان فيه دعوة لاستخدام سلاح البترول .

ونشر بعضها الآخر أثناء الحرب والمقال الاخير نشر بعـد الحرب . والتواريخ المرفقة بالمقالات توضح مواعيد النشر على وجه التحديد)

لعبة البترول

.. من يوجه فيها ضربة البداية؟

ان البترول العربى قوه غير محدودة للأمه العربية . واذا كان هذا السلاح فى أيدى العرب لم يستخدم بالفاعليه الواجبه حتى الآن ، فان الضرورات المصيريه وروح الجدية التى لابد أن تعرف طريقها ـ ان عاجلا أو آجلا ـ الى قلب الأمة العربية ، ستفرض على العرب ان يحسنوا توظيف هذه القدرة الهائلة .

« ١٤ ابريل ١٩٧٣ »

نشرت مجلة ((تايم)) الامريكية موضوعا رئيسيا عن البترول العربى قالت فيه انه لن يكون مستغربا أن نقرأ فى الثمانينات مجموعة من الأخبار التى قد تكون ((خيالية)) اليوم ، ولكنها لن تكون كذلك ، بل ولن تكون مستغربة على الاطلاق بعد اقل من عشر سنوات .. لأنها لن تكون مستحيلة .

وهذا نموذج من تلك الأخبار ..

انضم اثنـان من أمراء السعودية الى مجلس ادارة شركة « جنرال موتورز » التى يملكان فيها عـددا من الأسـهم يعطيهما هذا الحق .

تقيم « شركة الاستثمارات الكويتية » سلسلة من الموتيلات عبر الولايات المتحدة .

اشترى شيخ ابو ظبى ٣٠ ٪ من أسـهم شركة C.B.S. (اذاعة كولمبيا الامريكية) ليضمها الى مملكته الاعلامية فى الولايات المتحدة ، التى تضم دار « وشنطن ستار » الصحفية وشركة « مترو جولدوين ماير » السينمائية !

وتمضى « التايم » فى تعديد الأخبار التى (لن تكون مستحيلة) .. « أحد الاقتصـاديين فى البيت الأبيض صرح بأنه ليس هنـاك ما يدعو الى الانزعاج ازاء هذه الأخبار ، واذا تسبب هذا التغلغل الاقتصـادى العـربى فى اثارة بعض المشاكل لدى الولايات المتحدة (فان فى وسع الحكومة الامريكية ان تؤمم هذه المصـالح !) ومع ذلك فهناك سبب آخر للقلق وهو ان هناك أنباء تفيد ان بعض الدول العربية تتفاوض مع فرنسا للحصول على أسلحة نووية !!

وبعـد هذا الموضـوع الرئيسى الذى نشرته مجـلة « تايم » الامريكية بايام ، نشرت صحيفة « هيرالد تريبيون » الدولية افتتاحيا دعت فيه دول الغرب كلهـا للوقوف صفا واحدا فى وجه المشروعات العربية لاستخدام سلاح البترول على نحو يضر بمصالح هذه الدول ، وقالت انه اذا لم تتصد دول الغرب فورا ومنذ الآن لسلاح البترول العربى الذى تتزايد قيمته ويتزايد خطره ، فان على هذه الدول أن تواجه المصاعب التى سيتعرض لها أمنها ورخاؤها على السواء .

ووسط هذا السيل من عمليات التهويل فى « خطر » البترول العربى على مستقبل العـالم الغربى ... ترددت أنباء عن « أزمة وقود » فى الولايات المتحدة وأن أصحاب السيارات فى بعض الولايات يطوفـــون على أكثر من ثلاث أو أربع من محطات البنزين فى بعض الولايات حتى يجدوا ما يحتاجون له من وقود لسياراتهم .

ومع ازدياد الحديث حول البترول ، والتهويل فى خطره كسلاح فى أيدى العـرب ، والمبالغـات الشـديدة فى قـدرة العـرب على استخدامه ضد رخاء العـالم الغـربى وضد أمنه .. تفوح رائحة مخطط امبريالى جديد ـ ليست اسرائيل بعيدة عنه ـ يهدف الى ضرب أقوى أسلحة العرب وأكثرها فاعلية ، وبعبارة أخرى ووفقا لأسلوب الاستراتيجية الاسرائيلية ، توجيه « ضربة مجهضة » الى جانب من جوانب القـوة لدى الخصـم قبل أن ينمـو ويستفحل ويستخدم بكفاءة ، تمـاما كمـا تفعل اسرائيل بالنسـبة للقـوة العسكرية العربية .

ان البترول العربى قوة غير محدودة للأمة العربية ، واذا كان هذا السلاح فى أيدى العـرب لم يستخدم . علية الواجبـة حتى الآن ، لا جدال فى أن الضرورات المصيرية وروح . ية التى لابد ان تعرف طريقها ـ ان عاجلا أو آجلا ـ الى قلب الامة العربية ،

ستفرض على العرب أن يحسنوا توظيف هذه القدرة الهائلة التى يتيحها لهم وجود البترول فى باطن أرضهم وتحت مياههم بهذه الكميات الضخمة ، ذلك انه لا خلاف ان مخزون البترول العربى يزيد على ٦٠ ٪ من الاحتياطى العالمى المحقق ، وهى نسبة تعنى ان أرض العرب قد أنبتت سلاحا يمكن ان يهدد الغرب فى رخائه وأمنه أيضا على نحو ما قالت مجلة ((تايم)) الامريكية .. وان كان الأمر بالنسبة لها مجرد ((كلمة حق يراد بها باطل)) لأنها اذ تقول هذه الحقيقة فانما تضعها كعنصر فى مخطط كبير يرمى الى تأليب العالم الغربى كله على العالم العربى وتمهيد الأذهان لخطوة ، لا نعرف الآن نوعيتها ولا مداها ، لتجريد العرب من هذا السلاح الهام واجهاض القدرة العربية ـ التى بدأت ملامحها فى الظهور ـ على استخدام هذا السلاح فى المستقبل بأى شكل حاسم يدعم الموقف العربى ويعطى العرب ثقلا أكبر فيما هو مقبل من تطورات الصراع العربى الاسرائيلى .

لذلك قلنا ان اسرائيل ليست بعيدة عن هذا المخطط ، فالأمر يعنيها ربما أكثر من الدول الأخرى المحتاجة للبترول العربى نفسها .. ان أى ازدياد فى قوة خصمها العربى معناه اختلال فى موازين القوة لغير مصلحتها ، واستخدام العرب لما هو متاح لهم من أسلحة وامكانيات بنجاح لن يكون منعزلا عن مستقبل صراعهم مع اسرائيل ، بل ان أول استخدام فعال من جانب العرب لهذا السلاح سيكون ولا شك الضغط على الدول التى تساند اسرائيل ـ وعلى رأسها الولايات المتحدة ـ للتخفيف من تأييدها غير المحدود لاسرائيل على الأقل أو للضغط عليها للاذعان لمطالبة العالم كله ، المتمثلة فى قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن بالانسحاب من الأراضى المحتلة وقبول تسوية تحفظ لها سلامها الذى تتباكى عليه وتحفظ للعرب حقوقهم . كما أن اسرائيل تريد ان توهم دول الغرب والولايات المتحدة بالذات ، انها حامية

مصالحها فى المنطقة وانها تضمن لها استمرار امداداتها البترولية ، وفى اطار هذه المحـاولة كان تصريح ايجال آلون نائب رئيس وزراء اسرائيل عقب عدوان ١٩٦٧ الذى قال فيه انه لولا هزيمة العرب فى هذه الحرب لقاموا بتأميم البترول !

اسرائيل اذن ، وشركاؤها ، فى التـدبير ، وراء مخطط اثارة « حمى » خطر البترول كسلاح فى أيدى العرب .. وهو مخطط يرمى الى اثارة الذعر من هذا السلاح بطريقين ، وبمنطقين :

ان سيطرة العرب على هذه المنابع البترولية كلها بما تحويه من امكانيات هائلة حالية ومستقبلة ، يجعل العرب فى وضع يسمح لهم بالتحكم فى حياة الغرب وامريكا نفسها . ان البترول فى العالم المتقدم كله هو المصدر الرئيسى للطاقة ، وهو فضلا عن دوره هذا – وهو دور بالغ الخطورة – قد بدأ يدخل فى صناعات عديدة ، انه يدخل الآن فى معظم صنـاعات الأنسجة والملبوسات ، كما ان بعض مشتقاته تدخل فى صناعات الأغـذية أحيانا . وحرمان الغرب من هذه الخامة الحيوية سيضعه فى موقف بالغ الصعوبة .

ومن ناحية أخرى هناك أثر خطير آخر لامتلاك العرب لهذه الموارد البترولية الضخمة . ان الدول العربية تحصل نتيجة لعمليات انتـاج البترول ونقله وتسويقه على موارد مالية هائلة .. ويقال فى هذا الشأن انه على فرض أن العرب سينفقون نصف دخلهم من البترول – وهى نسبة عالية جدا – ويحتفظون بالنصف الآخر ، فان رصيدهم خلال عشر سنوات فقط سيصل الى ١٢٠ ألف مليون دولار أى ما يوازى مجموع ما يملكه العالم كله من احتياطى الذهب والعملات الصعبة !

وفى اطار عملية نشر « الحمى » واثارة الذعر من الامكانيات التى ينطوى عليها استخدام العرب لبترولهم كسلاح .. تكثر الاشارة

الى عدة حقائق توحى بأن العرب قد بدأوا يفكرون جديا فى استغلال هذا السلاح ، وأنه على العالم الغربى أن يأخذ منهم زمام المبادرة لأنه اذا استمر « المد » الحالى فان الموجة لن تنحسر الا وقد أصبح رخاء العالم الغربى معرضا للخطر ، بل وأصبح أمنه هو الآخر معرضا !

ومن الأمثلة على ذلك ..

ان ليبيا قد نجحت فى زيادة عائداتها من بيع بترولها بنسبة ١٢٠ فى المائة خلال عامين فقط .

ان السعودية تزيد باستمرار من حصتها فى أسهم شركة « أرامكو » التى تضم مجموعة من شركات البترول الامريكية وانه فى عام ١٩٨١ سيكون لها ٥١ فى المائة من أسهم هذه الشركة .

ان بعض الدول العربية المنتجة البترول قد بدأت فى استغلال أرصدتها الموجودة فى أوربا ، فى شراء بعض معامل التكرير ومحطات البنزين فى الدول الأوربية . أى أنها بدأت تنحو نحو الحصول على المزايا الاقتصادية المعروفة لمبدأ « تكامل المشروع » .

انه اذا كان اعتماد امريكا الحالى على البترول العربى هو مجرد ٧ فى المائة من احتياجاتها ، فان هذا الرقم سيصل عام ١٩٨٠ ــ مع استمرار المعدلات الحالية فى الانتاج العربى والاستهلاك الامريكى ــ الى ٥٠ فى المائة . ومعنى هذا زيادة الاعتماد الامريكى على العالم العربى وزيادة القدرة العربية على الضغط الاقتصادى .. ومن ثم السياسى ، على امريكا .

هذه هى الملامح الرئيسية للحملة المدبرة التى تهدف الى استباق العالم العربى فى استخدام سلاح البترول ، أو بعبارة أخرى توجيه ضربة مجهضة الى القوة العربية الكامنة ، لمنع العرب من استخدامها وحرمانهم منها . ان أصحاب هذه الحملة يعرفون

ان العــرب يفكرون الآن بجــدية ، أو لابد ان يفكروا فى المستقبل بجدية ، فى استخدام سلاح البترول بشقيه .. التحكم فى امداداته ، وحسن استخدام عائداته .. واذا كان الجيل العــربى الذى عاش بداية ظهور الثروة البترولية العربية فى السنوات الماضية لم ينجح فى استخدام هذه الثروة الا فى ترف غير مسئول ومظاهر ابهة زائفة ومضحكة ، فان أجيالا عربية جديدة ستطالب وتصر على أن يكون بترول العرب من أجل رخاء العرب .. وليس رخاؤهم فقط ، بل تدعيم قضيتهم من كل جوانبها وحل مشاكلهم كلها ، وعلى رأسها مشكلة العدوان الامبريالى الصهيونى الجاثم فى قلب الوطن العربى .

وسواء أكانت هذه الحملة مجرد تهويل مقصــود ومتعمد فى خطر البترول العربى لاثارة ذعر مفتعل يهيىء الأذهان لعمــل ضد هذا السلاح قبل ان يتمكن العرب من استخدامه على نحو فعال ، أو كانت تمثل خشية حقيقية من هذه القــوة التى يمتلكها العــرب وقدرتهم على الاستفادة منها (وهــو حسن ظــن بالعرب نشــكر أصحابه عليه !) .. فان هذه الحمى ضد البترول العربى وما تنطوى عليه من تدبير متربص بمســتقبل البترول العــربى واحتمــالات استفادة العرب منه كسلاح ، توجب على العرب أن يمسكوا فى هذا الميدان بزمام المبادرة وان يتشبثوا به ، فالحقائق كلها الى جانبهم ، وفرصتهم فى « اللعبــة » أكبر بشرط ان يلعبوا بجــدية أكثر وان يبدأوا على الفــور .. فقط عليهم ان يبادروا « بضربة البــداية » والا يتركوا خصومهم يوجهونها قبلهم !

مـــاذا نقـــول
.. ومـــاذا يدبّـــرون؟

لقد علمتنا خبرتنا وسابق تعاملنا مع خصـوم ليسـوا بلهـاء ، ان الكلام الذى لا يرتبط به عمل جاد ، يمكن ان يكون وبالا على أصحابه .

والحديث عن استخدام سلاح البترول .. سيكون ضارا اذا ظل مجرد كلام ، ولم يشفع بخطط مستنيرة تعتمد على اكثر الدراسات جدية وواقعية .

« ٢١ يوليو ١٩٧٣ »

اشتهرنا ـ نحن العـرب ـ بأننا نتكلم كثيرا ، وبأننا « ملوك ا م » .. وا م وحده ـ وخاصـة فى هذا الزمان ـ لا يوصل الى شىء .. ولكن ليست هـذه هى كل المشكلة . أحيـانا يؤدى ا م ـ غير المشفوع بعمل مواز له فى الاتجاه ومساو له فى الحجم ـ الى الاضرار بأصحابه !

ليكن لنا من التاريخ عبرة ، وليكن لنـا من المواقف والاحداث التى مرت بنا درس وخبرة .

كان (الكلام) عن محو الدولة الصهيونيـة من الوجود والقـاء الاسرائيليين فى البحر ، هو كل (الفعل) العربى ازاء الخطر الكامن بينهم .. فماذا كانت النتيجة ؟!

على الجـانب العـربى ، استنفدنا الجهـد فيما لا يحقق أى شىء .. واعتبرنا أن تصعيدنا لصرخة الحرب يوفى بالتزامنا وواجبنا فى التصدى للخطر والاستعداد الحقيقى للمواجهة .

وعلى الجانب الاسرائيلى . أدى هذا الخطر العربى المزعوم الى تماسك مجتمـع مفكك يحمـل فى داخله جميـع جراثيم التحلل والتفسخ . وباسم هذا الخطر العربى مرة أخرى حصلت اسرائيل على كميات هائلة ونوعيات بالغـة التقـدم من الأسلحة ومعـدات الحرب ، استعدت بها لمحاولة حقيقية ضـد العـرب ، ولم تجـد الحكومات التى أمدتها بها سرا أو جهرا ، صعوبة كبيرة فى تبرير عملها هذا أمام شعوبها أو الدول الأخرى . فالعرب قد كفوها مئونة هذا التبرير ، بطبول الحرب ـ مجرد الطبول ـ التى ظلوا يقرعونها ويرفعون من دويها حتى غطى الدنيا كلها !

ويقال دائما ان ا م وحده لا يقدم ولا يؤخر .. وفى حالتنا فان الكلام لم يقدمنا طبعا ، ولكنه أخرنا !

وفى هـذه الأيام يكثر الحـديث عن قدرتين عربيتين ، يجب

استخدامها بفاعلية فى خدمة الهدف العربى فى هذه المرحلة .. والمقصود بذلك هو الضغط على الدول التى تساند اسرائيل من ناحية وتوظيف الموارد العربية الهائلة من ناحية أخرى فى تحسين الوضع العسكرى والاقتصادى والاجتماعى والموقف العربى بصورة عامة .. فى مواجهة اسرائيل .

هاتان القدرتان العربيتان ، اللتان يكثر (ا م) الآن عن استخدامها بصورة فعالة فى مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى . هما البترول ، والأرصدة العربية الضخمة المكدسة فى الخارج .

ونريد ان نستفيد من الدرس .. أولا بألا نكتفى بالكلام لأن الكلام وحده لا يوصل الى شيء ، وثانيا بألا نسمح للكلام بأن ينقلب علينا ، فقد علمتنا خبرتنا وسابق تعاملنا مع خصوم ليسوا بلهاء ، ان الكلام الذى لا يرتبط به عمل جاد ، يمكن أن يكون وبالا على أصحابه .

الحديث عن استخدام سلاح البترول .. سيكون ضارا اذا ظل مجرد كلام ، ولم يشفع بخطط مستنيرة تعتمد على أكثر الدراسات جدية وواقعية .

ان أعداءنا قد بدأوا — من جانبهم — يعدون لقلب المائدة علينا فى موضوع البترول ، وبدأت خطط ودراسات مستفيضة تهدف الى أن ترد سهمنا الى نحرنا والمبادرة الى استخدام هذا السلاح قبل ان نتمكن نحن من استخدامه ..

● من ذلك انهم يبحثون عن مصدر بديل للطاقة يغنى عن البترول أو يضعه فى مرتبة متأخرة من الأهمية كمصدر للطاقة .

كذلك نشطت فى الأيام الأخيرة محاولات اثارة « حمى البترول » كخطر قادم من العالم العربى ، وان العرب يعدون لاستخدام هذه الخامة الهامة التى يملكون مصادر هائلة منها ، فى تهديد رخاء المجتمعات الصناعية المتقدمة .. وامنها ايضا !

وهناك من البوادر ما يشير الى محاولات قادمة فى الطريق

ضد البترول العربى ، وبعض التقارير – التى لم تتأكد نهائيا بعد – تفيد أن بعض الدول المستهلكة للبترول ستدعو الى عقد مؤتمر دولى لبحث مستقبل الطاقة فى العالم ، والنغمة التى يرسمون لعزفها فى هذا المؤتمر .. ان البترول ملك للانسانية كلها ، وأنه وان كان قد تصادف ظهور معظمه تحت أرض العرب أو مياههم ، فليس معنى ذلك أنه ملكهم وحدهم ، ان حقوله متصلة فى باطن الأرض وتحت البحار والمحيطات ، والاعتبارات الطبيعية (الجغرافية والجيولوجية) التى جعلت هذه المادة الحيوية الضرورية لرخاء العالم كله ، تظهر فى أجزاء من العالم دون أجزاء أخرى ، لا تبرر أن يكون للأجزاء التى ظهرت فيها ميزة على الأجزاء الأخرى التى لم تظهر فيها ، وقد تكون الأخيرة أكثر احتياجا لها من الأولى ، ولذلك فانه لا يجوز أن يكون للدول التى ظهر أو يظهر البترول فى أرضها السيطرة الكاملة عليه .. وأنه لذلك لابد من بحث فرض نوع من (الاشراف الدولى) على عمليات التنقيب عن البترول واستخراجه وتسويقه !

هكذا يدبرون .. انهم يضعون الآن الخطط التى قد تمتد آثارها لعشرات بل ومئات السنين . وهى خطط عدوانية وماكرة ، ويجب الا ننتظر حتى نفاجأ بها ، علينا من الآن ان نبحث وندرس ونخطط .. ندبر نحن أيضا !

أما القدرة العربية الثانية التى (نتكلم) عن استخدامها فهى الأرصدة العربية الضخمة المكدسة خارج الوطن العربى ..

وفى هذه المسألة أيضا يجب ان يكون تفكيرنا واعيا وشاملا ومتنبها لأمرين :

التطورات والتحولات السريعة فى عالم المال والاقتصاد اليوم ، وكل ما فى العالم من متغيرات بصفة عامة ..

وما يدبر له ويفكر فيه الآخرون من خطط ومشروعات موجهة ضدنا .

قد يقول صوت عربى .. لنسحب ارصدتنا من الدول التى

نودعها فيها ، ونربك بذلك اقتصادياتها ونحرمها من أى نشاط استثمارى لهذه الأموال .

ولعل هــذا القائل لم يسمع بما ذكرته صحيفة اقتصادية بريطانيــة عن هذه الأرصــدة ، وكيف أنها خطر على الاقتصــاد البريطانى ، وضرورة « التخلص من هــذا العبء » فهــذه الأموال — كما تقول الصحيفة — لا تدر أى عائد على الاقتصاد البريطانى ، لانه لا حاجة اليها فى أى استثمار ، هى عبء على هذا الاقتصاد لأنه يدفع عنها الفوائد الكبيرة دون أن يستفيد منها شيئا !

ولعل هذا القائل لم يسمع أيضــا بتصريح المسئول الامريكى الكبير الذى قال هذا الأسبوع .. ان الأرصــدة العربية الضخمة المكدسة خطر على نظام النقد العالمى كله . فتكديسها وتراكمها بهذا الشكل المتزايد ، وتجميدها بهذه الصورة المستديمة يخل بأسس نظم النقد الدولية وموازين المدفوعات ، كما أنه مسئول بشكل أو بآخر عن تدهور قيمة الدولار . ثم يزعم أن الدول العربية صاحبة هذه الأرصــدة ، لا تستطيع حتى سحبها لاستخدامها فى عمليــات التنمية ، لأن قدرتها على التنمية ومعدلات التنمية فى البلاد العربية بصفة عامة ، لا يمكن ان تستوعب هذه الأرصدة الضخمة كلها !

وبعد هذه الحجج والتعليلات الغــريبة التى ساقها المســئول الامريكى ، طالب بالبحث فورا عن أسلوب لمواجهــة هذا « الخطر العــربى » وألمح الى احتمــال مصــادرة هــذه الأرصــــدة .. كعلاج للأمر !

بهذا الشكل ، والى هذا المدى يدبرون ويخططون ويعملون .. أو يستعدون للعمــل . وهم اذا تكلموا فان كلامهم جــزء من خطة ل أو حلقة فى التدبير .. وكذلك يجب أن نفعل .

أما اذا كنا سنظل كما كنا ، نتكلم فقط ولا نفعل شيئا ، فخير لنا الا نتكلم . فلقد علمتنا تجاربنا — أو كان الأحــرى بنا أن نتعلم منها — ان ا م غير المرتبط بفعل ، والذى ليس جزءا من عمل أو تحرك .. قد يضر ، فضلا عن انه — — لا يفيد .

هل هي محـــاولـــة لإنشـــاء جمعية منتفعين بـالبـترول العربي؟

من حق الدول العـــربيه ، بل ومن واجبها أن تبحث المراحل القادمة من سياستها البترولية وفي اعتبارها ان هذه الخامه الاستراتيجيه الهامة يجب أن توضع في خـدمه التقدم العـربي ومصلحة الأجيال العربيه .

ومن المهم أن تمارس الدول العـربية هذا الحـق بحرية تامة ، وبصلابة في مواجهة الضغوط .

((٢ فبراير ١٩٧٤))

و روبرت ماكنمارا رئيس البنك الدولى ، قرار احدى لجان الكونجرس الامريكى برفض زيادة المساهمة الامريكية فى « را التنمية الدولية » .. بانه كارثة !

ورابطة التنمية الدولية جهاز جديد يتبع البنك الدولى ، والبنك الدولى جهاز من أجهزة الأمم المتحدة وجزء من هيكلها الأساسى . وأهداف رابطة التنمية قريبة الشبه من أهداف صندوق النقد الدولى ، مع اختلاف فى بعض التفصيلات .. من حيث نوع المشروعات التى يساهم فيها كلا الجهازين والدول المستفيدة من المعونة وأسلوب اتخاذ قرار المساهمة ونسبة الفائدة على القروض .. الخ ، أى شكل المساهمة الدولية بصفة عامة فى الجهود التى تهدف الى مساعدة الدول المحتاجة .

وبصرف النظر عن هذه الفروق .. فان الهيئتين ـ رابطة التنمية الدولية وصندوق النقد الدولى ـ جهازان معنيان بتنظيم وتقديم المساعدة الدولية .. ورابطة التنمية يجرى العمل فيها على شكل جمع الأموال والاعتمادات من الدول الغنية والمتقدمة ، لاستخدامها فى عمليات التنمية فى الدول الأقل حظا من التقدم والتى لا يزال أمامها الكثير حتى تلحق بالعصر (أى المتخلفة) والتى يسمونها ـ من باب حسن اختيار الألفاظ ـ بالدول النامية . والمساعدة تقدم على شكل قروض بفائدة اسمية (واحد فى المائة) ودراسات على الطبيعة لاحتياجات التنمية وتقديم خبرة فنية وكافة أنواع المساعدات .

وعندما صوتت اللجنة ضد مشروع زيادة المساهمة الامريكية فى أموال هذه الرابطة ـ اشتد استياء ماكنمارا ـ الذى كان وزيرا للحربية الامريكية قبل تقلده هذا المنصب الدولى ـ وتساءل ..

كيف ستنهض الدول المحتاجة بأعباء التنمية التى تحتاجها اشد الاحتياج .. ووصــف القــرار بأنه كارثة بالنسبة للدول الفقيرة ! والغريب أن مسئولا فى اللجنة الامريكية التى رفضت زيادة المساهمة الامريكية قال .. ان اللجنة اتخذت هذا القرار لأنها تعلم أن الدول المحتاجة لن تستخدم الأموال التى تحصـــل عليهـا فى مشروعات تنمية ، ولكن لمواجهة الزيادة التى طرات على أسعار بترول العرب !

هذه هى النغمــة التى يجب أن نتنبه لها ونراقبهــا بكل يقظة ونبحث ــ من الآن ــ خطواتنا وتحركاتنا ازاءها .

فهذه النغمة ليست هى المعــزوفة كلها .. هى مجرد لحن فى سيمفونية عالمية يراد عزفها ضد الاجراءات العــربية الاقتصادية التى كانت جزءا من حرب التحرير العــربية .. وســلاح البترول بالذات ..

هناك الآن حمــلة واســعة ... ع خيوطها فى أكثر من مكان لتسديد ضربة مضادة للحرب الاقتصــادية العربية . وتتخذ هذه الحملة أشكالا متعددة ..

محاولة تكتيل الدول الصنــاعية (المتقــدمة) وهى أكبر مستخدم قة أى أكبر عميل لسلعة البترول لبحث الاجــراءات الواجب اتخاذها ضــد الدول المنتجة للبترول بالنسبة لجناحى هجومها البترولى .. نقص الامدادات ورفع الأسعار . وتتجسد المحــاولة فى المؤتمر الذى وجه الرئيس الامريكى الدعوة الى فى وشنطن يوم ١١ فبراير الحالى .

وهذه المحاولة ليست مضمونة النتيجة بالنسبة لأصحابها .. فقد اعترضت فرنسا مثلا على المؤتمر فضلا عن رفضها الاشتراك فيه وقال وزير خارجيتها ميشيل جوبير .. ان الأمم المتحدة هى المكان الصحيح لعقد مؤتمر لبحث أزمة الطاقة عالميا ، وأى بحث من

هذا النوع يجب أن تشترك فيه ايضا الدول المنتجة لمصادر الطاقة .. اى دول البترول .

كما أن الشيخ زكى يمانى وزير البترول السعودى وجه انذارا الى هذا المؤتمر من طوكيو حيث كان يبحث الترتيبات البترولية السعودية اليابانية . وقال ان لديه شكوكا كثيرة بالنسبة لهذا المؤتمر وأهدافه ، وانه لن يكون فى مصلحة الدول المستهلكة ان تفكر فى الدخول فى مواجهة ضد الدول المنتجة .

والحقيقة ان محاولة خلق تكتل من الدول الصناعية (المستهلكة للبترول) ضد الدول المنتجة قد يسىء الى هذه الدول (المستهلكة) نفسها . ان بعض هذه الدول .. ومنها اليابان والمانيا الغربية وانجلترا وفرنسا ، قد نجحت أو هى فى مرحلة المحاولة — فى الاتفاق على ترتيبات ثنائية بالنسبة لاحتياجاتها البترولية . وهذه الترتيبات تتعلق بضمان استمرار تزويد هذه الدول بالكميات التى تحتاجها الآن وفى السنوات العشر أو العشرين القادمة . والمقابل الذى تقدمه .. هو عين ما تحتاجه الدول المنتجة للبترول ، وهو التصنيع ومشروعات التنمية التى تضمن استمرار مضى هذه الدول على مستويات الحياة السائدة فيها حاليا ، وكذلك ايجاد وضمان استمرار معدلات للنمو الاقتصادى فيها بعد أن ينضب البترول .. وبالاختصار حصولها على « التكنولوجيا » التى تحتاجها للحاق بالعصر .

أما المحاولة الثانية أو الشكل الآخر للهجوم المضاد للموقف البترولى العربى . والذى تحتشد الآن عناصره تمهيداً للا ق . . فهو العمل على تأليب أكبر عدد ممكن من دول العالم مية ضد الاجراءات البترولية العربية .. وبالذات مسألة رفع الأسعار ، لأن موضوع نقص الامدادات ليس واردا .

ويقال فى هذا الشأن .. انه اذا كانت الزيادة فى أسعار البترول قد الحقت كل هذه الخسائر بدول العالم المتقدمة ، فما هو الحل بالنسبة للدول الفقيرة . ان هذه الدول لن تستطيع الحياة وبالطبع لن تخطو اى خطوة فى طريق التقدم والتنمية — فى ظل احتياجها لسلعة ضرورية تضاعف سعرها بهذا الشكل الذى لم يسبق له مثيل .

وتضرب الأمثلة بأثر رفع الأسعار فى عدد من دول العالم الثالث .. فيقال ان مشروع السنوات الخمس للتنمية فى الهند لن يكتب له الاكتمال ، لأن الزيادة فى أسعار البترول قد ابتعلت كل دخلها من الصادرات ، كما أن دولة (نامية) أخرى هى سيريلانكا تدفع الآن نصف مجموع ما تحصل عليه من عملات صعبة ، لمواجهة زيادة أسعار البترول . وغير ذلك كثير من الأمثلة على أضرار لحقت بدول ليست غنية وليست معادية للعرب .. بسبب رفع أسعار البترول العربى .

والغريب أن تستمر هذه المحاولات رغم أن الدول المنتجة للبترول — وعلى رأسها الدول العربية — قد أوحت فى الأيام الأخيرة بأنها تفكر فى تخفيض أسعار البترول الخام .. ولكنها بطبيعة الحال **لن تقوم بهذا التخفيض تحت الضغط ، ولن تقوم به دولة من جانبها وحدها ، ولن ترجع الأسعار الى مستويات ما قبل سياسة رفع الأسعار فهذه المسائل يجب أن تكون موضع بحث عربى عام ومحل قرار اجماعى .**

ان تخفيض الأسعار ، أو العودة بها الى قرب مستوياتها السابقة وكذلك النظر فى كيفية الوفاء بالثمن ونوع العملة التى يتم بها هذا الوفاء ، مسائل بالغة الأهمية ، وستمتد آثارها الى كل الدول المنتجة والمستهلكة على السواء لفترة طويلة .. فى اقتصادها وحياة مجتمعاتها ومعدلات التنمية ودرجة الرخاء أو التأزم فيها جميعا .

ان العالم ينقسم ــ بين ما يحفل به من تقسيمات ــ الى دول منتجة للمادة م ، وأخرى صناعية . والدول الأخيرة تحصل على ما تحتاجه صناعاتها من المادة الخام من الأولى باسعار كانت تتحكم فيها بنفسها أو مع غيرها من الدول الصناعية . . ولا حول للدول المنتجة م ولا قوة فى تحديد هذه الأسعار .

والبترول هو أهم المواد الخام العالمية على الاطلاق .. وكان من قبل مثله مثل المواد الخام الأخرى ــ موضع استغلال رأسمالى عالمى . كانت الدول المستهلكة أو المستفيدة به هى التى تتحكم فى أسعاره . بل والأدهى من ذلك ، أن مجموعة من الشركات الاستغلالية الأجنبية هى التى تتحكم فى كل عملياته .. لا فى أسعاره فقط . فى التنقيب والتعرف على مواطنه وفى استخراجه ونقله وتكريره وتسويقه . وهذه الشركات ثبت فى الأيام الأخيرة ــ وحتى على مستوى الدول التى تتبعها كالولايات المتحدة ــ انها تتلاعب تلاعبا خطيرا فى هذه الخامة الأساسية والضرورية . والأزمة الحالية بين الحكومة الأمريكية وشركات البترول الكبرى اكبر شاهد على ذلك . فعندما اشتدت ازمة الطاقة فى الولايات المتحدة أخيرا ، ووجدت الحكومة الأمريكية انها تحتاج لدراسات احصائية دقيقة حول (الحالة البترولية فى البلاد) ، تمهيدا لاتخاذ الاجراءات اللازمة لمواجهتها .. تبين أن شركات البترول تقدم بيانات غير دقيقة بل أبعد ما تكون عن الحقيقة (ثبت مثلا أن تقديراتها تختلف عن تقديرات الأجهزة الرسمية بمقدار مليون برميل يوميا !) كذلك تتلاعب هذه الشركات فى حساباتها وأرباحها والضرائب التى تدفعها .. الخ . الخلاصة أنه من حق أصحاب الخامة أن يكون لهم رأيهم واعتباراتهم الخاصة ــ ولا أقول تحكمهم ــ فى تحديد أسعارها ، بل وفى غيرها من العمليات المتعلقة بها .. مثل معدلات الاستخراج ووسائل التسويق . ان هذه الدول قد تجد أن من مصلحتها التحفظ فى كميات الاستخراج .

لأن كمية المخزون المعروف لديها تكفى عدداً من السنين وهى تريده أن يستمر لفترة أطول . انها قد ترى من مصلحتها أن تبيعها فى أسواق معينة لتحصل على نوع معين من العملات أو على مقابل ــ من أى شكل ــ تقدمه هذه الأسواق .

لذلك كله يكون من حق الدول العربية .. بل ومن واجبها ان [illegible] المراحل القادمة من سياستها البترولية وفى اعتبارها أن هذه [illegible]مة الاسترا[illegible] الهامة يجب أن توضع فى خدمة التقدم العربى ومصلحة الأجيال العربية . ان هذه [illegible]مة تستطيع أن تفتح أمام العرب آفاقا عريضة فى ظل السلام ، كما كان لها دورها فى الحرب . ومن المهم أن تمارس الدول العربية هذا الحق أو هذا الواجب ، بحرية تامة وبصلابة فى مواجهة الضغوط . يجب الا تتردد اوتتراجع امام محاولات تكتيل الدول المتقدمة (الصناعية والمستهلكة الرئيسية للبترول) . وأهم خطوة فى هذا الشأن هى أن تمضى فى الترتيبات الثنائية مع بعض هذه الدول وتشجعها عليها بما تقدمه لها من مزايا . ان هذه الترتيبات هى التى تحطم محاولات التكتل وتنفذ من خلالها . وعلى اى حال فان محاولات التكتيل هذه مقضى عليها بالفشل . فامام حقائق الموقف البترولى العالمى وامام صلابة العرب فى الدفاع عن حقهم ، لن تنجح محاولة خلق (جمعية منتفعين) بالبترول العربى وسيكون مصيرها من نوع مصير سابقتها التى كانت تريد التحكم فى قناة السويس عام ١٩٥٦ . تموت قبل أن تولد !

أما بالنسبة للدول النامية والدول الأفريقية مثلا وغيرها من الدول الصديقة التى يجب أن نحرص على عدم الحاق الضرر بها نتيجة لسياستنا البترولية .. فان مسألة الترتيبات الثنائية تصلح لمعالجتها ويمكن بحث الدخول فى اتفاقات بين دول البترول العربى ــ أو على نطاق الجامعة العربية ــ وبين كل منها على حدة ،

يكون فيها مراعاة لظروفها وتقديم كافة التيسيرات وغيرها . كذلك فانه بما ستحققه السياسة البترولية العربية الناجحة عالميا من توفير مبالغ هائلة من دخل البترول للدول العربية المنتجة . . يمكن العرب تقديم مساعدات قيمة للدول النامية عموما ، التى تأثرت بالبترول والتى لم تتأثر به .

واخيرا .. فان هناك محاولة ... ان نتنبه جيدا ونعطيها اكبر قدر من ... ية والدراسة والبحث .. لا نقبل عليها اقبال المتلهف ... ش ، ولا نرفضها بتحجر العناد الأعمى . ذلك ان بعض الدول الأوربية المستهلكة للبترول والولايات المتحدة الأمريكية ، ستعرض على دول البترول العربية استثمار عائداتها الضخمة (سواء المكدسة على شكل أرصدة أو ما يستجد ... الزي... ت الأخيرة) فى مشروعات خاصة بها فيها أو بالمشاركة مع رءوس الأموال المحلية ..

والمسألة لها بريقها .. لأن تحريك الأرصدة وادخالها فى استثمار أفضل من بقائها مجمدة . . وربما معرضة لأخطار المصادرة أو على أقل تقدير تناقص قيمتها بانخفاض أسعار العملات . . والفكرة لها جوانب تجد معها من يتحمس لها . وقد يقول قائل اننا كنا نرفض الاستثمار الأجنبى لأنه يحمل شبهة النفوذ ، فكيف نرفض أن نقوم نحن بالاستثمار فى الدول الأخرى ، وما المانع فى ان يحمل رأسمالنا نفوذنا معه الى هذه البلاد ! لماذا لا نقوم بتشغيل أموالنا (الميتة فى الخزائن) فى مجتمعات سريعة العائد كبيرة الربح ، ويكون فى هذا ايضا اعلاء صوتنا فى هذه المجتمعات .. ما المانع فى أن تكون لنا شركات ملاحة وسياحة بل وصحف ومحطات اذاعة وتليفزيون وشركات سينمائية فى هذه البلاد .

وقد يقول آخر .. انه الأقرب الى المعقول وطبائع الأشياء أن تكون لنا معامل تكرير للبترول ومحطات بنزين وشركات غاز ، فهى عمليات متصلة بخامتنا والتكامل الاقتصادى سيؤدى مفعوله بكل مزاياه لمثل هذا الاستثمار .

وهنا مكمن الخطر فى مثل هذه الأفكار .. ان الدعوة الى توجيه الأموال العربية الى الاستثمار فى الدول الصناعية المتقدمة ، فكرة نابعة من هذه الدول أصلا حتى ولو كان هناك من يدعو اليهما فى العالم العربى . ولا يمكن ان يكون توجيه مثل هذه الدعوة من جانب الدول الصناعة ، حبا فى سواد عيون العرب أو من قبيل الحرص على زيادة أموالهم ! انها فكرة بعيدة الهدف شديدة الطموح هدفها ضمان عدم تكرار اتخاذ العرب لخطوات فى مجال البترول .. وذلك عن طريق ربط عمليات انتاج هذه الخامة والمصادر والمصالح المالية المتعلقة بمنبعها ــ وهى الدول المنتجة ــ بالمصب الذى تصب فيه ــ وهى الدول المستهلكة . ومن طريق هذا الربط العضوى ، والتكامل الاقتصادى من وجهة نظر أصحاب المشروع .. يكون من الصعب على طرف واحد من أطراف العلاقة ، أن يتخذ من الاجراءات والقرارات ، ما يؤثر على المشروع كله ، لأنه يهمه كله وله مصالح فى خطواته جميعا ..

ان الأموال العربية المودعة فى بنوك هذه الدول تدفع عنها فوائد ولكنها فوائد ضئيلة تبلغ ٣ أو ٤ فى المائة ولا تزيد عن ٧ فى المائة فى أحسن الأحوال . أما الاستثمار اى القيام بمشروعات أو المشاركة فيها ، فان عائده يصل الى نسب لا حدود لها وقد يصل الى مائة فى المائة أو أكثر ــ كما ثبت بالنسبة لشركات البترول العالمية التى بدأت أصابع الاتهام تشير اليها ــ حتى داخل دولها نفسها ــ حول عمليات تلاعب خطيرة فى مجالات نشاطها .

المسالة على كل حال تحتاج لدراسات وثيقة ومتأنية وجادة..
والعلاقات الاقتصادية العربية بالعالم الخارجى يجب أن تضع فى اعتبارها أن تركز على مسألتين ، يكون لهما الأولوية فى كل ما تقدم عليه من خطوات أو تفكر فيه من اجراءات .

ان مهمة التنمية فى العالم العربى نفسه هدف اساسى .. ولهذا الهدف يجب أن توجه كل ا قات وتوظف الا نيات .. واستخدام ما لدينا من قدرات وارصدة حاليا ليس من قبيل الترف ، ولكنه ضرورة ، فالبترول فى باطن ارضنا له عمر محدود ، وهو لا يزيد عن ثلاثين عاما فى أحسن التقديرات .. ولذلك ... من الآن تطوير مصادر أخرى للدخل والاستفادة بما لدينا ، والا فاننا قد نجد انه لم يعد لدينا بعد سنوات سوى بضع أوراق بنكنوت.. ذات قيمة أثرية !

والمسالة الثانية التى يجب أن ناخذها بعين الاعتبار دائما .. هى أن ندرك أن ما قمنا به من اجراءات ، لابد وأن يكون قد استفز ردود فعل مضادة وتدبيرات معادية . وفى ضوء ذلك فانه ... ان كل ما يعرض علينا وما يطرح من ا ر ، بحرص وعناية بالغة ، نقدم على خطوة الا اذا كانت لدينا اسباب جادة بانها تسير فى اتجاه أهدافنا فى المستقبل .

سلاح البترول
.. يحتاج لإعادة نظر

ان حقيقة الأمة العربية قوة وعدل . ولقد أثبتنا القوة . ويجب أن نمارس العدل .

يجب أن يستقر فى اقتناع العالم أنه اذا أصابه أذى نتيجة لموقف العرب ، فان هذا الأذى ليس مقصودا لذاته . وأنهم ــ أى العرب ــ فعلوا ذلك لأنه من حقهم ودفاعا عن حقوقهم .

انهم يدركون تماما أن عملهم مرتبط بهدفه . فهو لا يتخاذل عن القيام بما يشعر أنه واجبه ، ولا يتمادى الى ما وراء هذا الوجب .

« ٩ مارس ١٩٧٤ »

كنت من اول من طالبوا باستخدام القدرة البترولية العربية سلاحا فى المعركة وحتى قبل أن تبدأ المعركة .

وفى ١٤ ابريل عام ١٩٧٣ كتبت أطالب بمبادرة العرب الى استخدام سلاح البترول " عنوان « لعبة البترول .. من يوجه فيها ضربة البداية » ؟ كنت أتمنى أن يلعب العرب البترول قبل أن تكتمل ت المؤامرة ضد استخدامهم لهذا السلاح وكل المحاولات والتدبيرات التى كانت تعد لمنع العرب من استخدامه .

ومع بداية المعركة تقريبا استخدم العرب سلاح البترول بنجاح وقوة .. خفضوا امداداته عن الجميع ومنعوها تماما عن البعض ، ورفعوا أسعاره .

وكان لهذا السلاح فاعلية ضخمة ، ربما فاقت كل التصورات وزادت عن أكثر التقديرات تفاؤلا . ولمست المجتمعات التى وجهنا اليها هذا السلاح آثارا له ــ واستخدامه لم يزل فى مستواه الحالى ــ لم يكن يتوقعها أشد المتشائمين . ووجدت شعوب كثيرة أن هذا السلاح العربى (يتدخل) فى حياتهم اليومية وأساليب عملهم وحتى عاداتهم الخاصة وعلاقاتهم الاجتماعية . بشكل لم يكونوا يتصورون أن يحدث لهم مطلقا ، وما كان يخطر على بالهم قط أنه يمكن أن يسمحوا به ابدا .

والتفاصيل كثيرة فى شكل هذه الآثار « الغريبة » الكثيرة التى نجمت عن استخدام العرب لسلاح البترول .. والآثار المترتبة على هذه الآثار . أى سلسلة ردود الفعل التى مست حياة هذه المجتمعات أو هزتها بشكل عنيف .. وغيرت الكثير من مفاهيمها وعلاقاتها الاقتصادية والاجتماعية ، لا أحوالها فقط ، هل يكفى أن نقول أن هناك معركة « أدبية » فى بريطانيا بين الصحافة والحكومة، بسبب الاعلان الذى نشرته الصحف لحساب اللجنة الوزارية لشئون الطاقة والوقود ، تطلب فيه من الناس أن يستخدموا الحمامات ، كل اثنين معا ، اقتصادا فى الماء الساخن ! وما تبع ذلك

من تبادل الاتهامات الخلقية والرسوم الكاريكاتورية المضحكة وضجة في مجلس العموم .. هذا غير استخدامها في الحملة الانتخابية ، التي لم تشهد بريطانيا معركة انتخابات في عنفها من قبل والتي انتهت بسقوط الحكومة .

المهم .. أن الكثير من دول العالم ـ وبعضها صديق وبعضها كان معنا على طول الخط أثناء الحرب وبعدها ، وبعضها على الأقل لم يقم ضدنا بأي عمل يستحق أن نعاقبه عليه ـ قد عانت من مسألة البترول بشكل بالغ الخطورة ، وهو شكل خطر لأنه أدى الى كبيرة واختناقات في الاقتصاد القومي كله لا في حياة الأفراد .. !

وقد آن الأوان لأن نعيد النظر في هذا السلاح ، ... أن نثبت أننا عادلون بقدر ما نحن جادون ، وأننا متحضرون لا نريد أن ننزل الأضرار بمن لا يستحق ، ولا نقبل أن يكون لعمل بدأناه سلسلة من الآثار تنتهي . ..

نحن لا نريد أن تنزل المصائب على رأس قوم لا ذنب لهم ، ولا يوجد بيننا وبينهم ما يستدعي أن نؤذيهم أو يبرره .. بل وبعضهم ـ ان لم يكن كلهم ـ يريد أن يتعاون معنا لصالح الطرفين .. وهو تعاون ربما نحتاجه نحن أكثر من احتياجهم اليه واذا تحقق ما نشهده الآن من بشائره فان خيره قد يصل الى آفاق بعيدة جدا من التقدم الاجتماعي والاقتصادي وحل الكثير من المشاكل وازمات في بلادنا وفي مجتمعاتنا العربية كلها .

اننا نستطيع ان نتوقف عند هذا .. مكتفين بما فيه من درس ، ان المجتمعات التي وجهنا اليها سلاح البترول متعلمة و ... ، ومن شان ... أن يجعل استيعابها للدرس مؤكدا .. وتصر ... تها كلها توحي بانها تعي الدرس من الآن .. و ... جيدا . دفعت ... ثمن ... الدرس ، وهي لا تريد ـ ولا تحتمل ـ

أن تدفع المزيد . ان في داخل المجتمعات نفسها منصفين كثيرين يدافعون عن موقفنا عامة .. وحتي عن استخدامنا لهذا السلاح ضدهم ، فهل نكون نحن أقل انصافا منهم ، أو نسمح لأنفسنا ان تكون لنا الصورة ؟؟

ان حقيقة الامة العربية قوة وعدل .. ولقد اثبتنا القوة ، و . . . ان نمارس العدل . ان هاتين الصفتين اذا اقترنتا بصورتنا واثبتنا تمكسنا بهما ، فانهما تزيدان هذه الصورة اشراقا وضياء ، يجب ان يستمر في اقناع العالم انه اذا اصابه اذى نتيجة لموقف العرب ، فان هذا الاذى ليس مقصودا لذاته ، وانهم ــ اي العرب ــ فعلوا ذلك لانه من حقهم ودفاعا عن حقوقهم . وانهم عندما يحصلون على حقهم العادل ، فلن يقبلوا استمرار الاذى الذي يلحق بالاخرين .. لن يستمرئوا اللعبه . لانهم جادون وليسوا غوغائيين . انهم يدركون تماما أن عملهم مرتبط بهدفه .. لا يتخاذل عن م بما يشعر انه واجبه ، ولا يتمادى الى ما وراء هذا الواجب .

بهذا نكسب احترام العالم وثقته ، ونقيم علاقاتنا معه من واقع كريم .. لا من الخوف ولا من ضغط لا يفهم مبرراته !

ان موقفنا المتعقل من هذه المسألة أيضا في تفادي أي مواقف غير متعقلة من جانب من تأثروا بسلاح البترول . فهو يمنع تفكيرهم في المسألة بطريقة هستيرية .. كالاجراءات الانتقامية وغيرها من عمليات التصعيد التي ربما تكون ضارة بالأطراف كلها . واذا ار أصوات في هذه الدوائر تطالب باجراءات مضادة ضد العرب ، فلن يكون لها صدى ، ولن يلتفت اليها أحد ، لأن العرب قد أثبتوا حسن نيتهم وتفهمهم .. كما أثبتوا من قبل قوتهم وصلابتهم في ع عن حقهم .

واعادة النظر في استخدام سلاح البترول ، لا تعني العودة بأسعاره الى ما كانت عليه من قبل . فالأسعار القديمة كانت مجحفة للعرب . ورفع الأسعار كان استردادا لحق ضائع أكثر منه

وسيلة للضغط . فالضغط يتحقق بخفض الانتاج مما أثر فى حجم الامدادات البترولية للدول المعتمدة على البترول العربى عموما . وقد كانت هذه سياسة صائبة تماما . فلو اننا اكتفينا بفرض الحظر على دول بعينها ، لحصلت هذه الدول على ما تريد من الدول الأخرى التى لم يشملها الحظر . ولن يجدى هنا اى أسلوب للرقابة او وسيلة لضمان عدم « تسرب » البترول الى الدول التى لا نريد وصوله اليها . فالبحار والمحيطات واسعة وتستطيع اى ناقلة أن تغير وجهتها فى عرض البحر متفادية اى رقابة فعالة وكميات البترول المتاحة عالميا تسمح بتوجيه الفائض من دولة الى أخرى ، ولكن خفض الانتاج من المنبع جعل ذلك صعبا ان لم يكن مستحيلا، فكيف يفرط أحد فى شىء يحتاجه بشدة ، والموجود لديه منه لا يكاد يكفي بعض حاجته . ولأن البترول سلعة ويخضع لاعتبارات السوق من عرض وطلب .. فان اغراء الكسب الكبير بالحصول على أثمان عالية نتيجة عمليات اعادة التصدير ، هذا الاغراء لم ينجح فى توصيل البترول الى البلاد التى أردنا حرمانها منه ، لأن رفع الأسعار الأساسية مع خفض الانتاج ، جعل هذا الطريق مسدودا تماما .

لقد نجحنا على طول الخط فى المراحل السابقة من كفاحنا .. وتم انسحاب اسرائيل بعيدا عن قناة السويس وفى عمق سيناء . وهناك اتصالات تجرى لتحقيق فصل بين القوات على الجبهة السورية .. اى لانسحاب اسرائيل فى الجولان . وعندما يتم هذا الانسحاب فان سوريا ستحضر الى مؤتمر جنيف الذى سيستأنف أعماله للبحث عن تسوية شاملة ــ ويجب أن تكون عادلة ــ للموقف كله .

وفى ظل هذا النصر ، وأمام حقائق القوة التى نجح العرب فى اظهارها بالا [illegible] ام الفعلى .. يكون من الطبيعى والمنطقى أن [illegible] العرب النظر فى ا [illegible] ام سلاح البترول .

ما بعد الحرب

- فى الطريق الى مؤتمر السلام .
- العبور الى آفاق دولية أرحب .
- عودة الطيور المهاجرة .
- نحن والعـــالم .
- الانفتاح .. فى العقول .

فى الطريق إلى مؤتمر السلام
ومؤتمر أوربى سندعى إليه
ومؤتمر أفريقى نقترح الدعوة له

ان لقاءنا مع دول أوروبا الغربيه أو دول المجتمع الاقتصادى الأوروبى كما يسمونها ـ فى اطار هذه الظروف ـ يعنى أنهم هم الذين يجيئون الى شروطنا . يريدون الاستماع الى وجهة نظرنا ، ويبحثون معنا عن كيفية الوصول الى الشرط الذى يعرفون أنه لا مفر منه لانهاء الأزمة .. وهو انسحاب اسرائيل .

« ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ »

اقترح مشيل جوبير وزير الخارجية الفرنسى مؤتمر يضم الدول العربية ودول السوق الأوربية المشتركة التسع كلها ، او من تشاء منها الحضور .

ويرتبط هذا الاقتراح بشكل ما مع الكلمة ـ شديدة اللهجة ـ التى القاها وزير الخارجية الفرنسى فى مؤتمر حلف الأطلنطى الذى انعقد فى بروكسل وهاجم فيها الولايات المتحدة على مستويين : سياسة الوفاق بينها وبين الاتحاد السوفييتى وأثرها على «الاخلاص» الأمريكى تجاه أوربا ، والطريقة التى تعاملت بها مع أزمة الشرق الأوسط .

ونفس المعنى تقريبا ورد فى كلمة فالتر شيل وزير خارجية ألمانيا الغربية ، الذى قال فى معرض حديثه عن الأزمة التى تواجهها أوربا كلها بسبب اجراءات حرب التحرير العربية « سلاح البترول » .. **ان الطريقة الوحيدة للتغلب على المصاعب الناجمة عن هذه الأزمة هي ايجاد تعاون معقول بين الدول العربية المنتجة للبترول والدول الأوربية المتقدمة صناعيا .**

بهذا تكون فكرة عقد مؤتمر من الدول العربية ودول السوق الأوربية « واردة » فى جدول أعمال الزيارة التى ينتظر أن يقوم بها وزير الخارجية الفرنسى للقاهرة وعواصم عربية اخرى فى مستهل الشهر القادم . قد يتولى « طرحها » خلال اتصالاته ومحادثاته وقد يقوم « بعرضها » رسميا ، بتفويض من دول السوق المشتركة التى يبدو أن أغلبيتها تؤيدها أو تتحمس لها ـ كما يتضح من تصريحات وزير الخارجية الألمانى .

الفكرة ـ من وجهة النظر العربية ـ كبيرة القيمة و [illegible] ندة على ما [illegible] . ومتمشية [illegible] ما مع الاستراتيجية العربية الشا [illegible] التى

خضنا بها حرب التحرير .. ضغط بالسلاح يرا ¨ ضغط . ¨ الأسلحة المؤثرة ((البترول ـ الأرصدة النقدية ـ الدبلوماسية)) .

ولقد استخدمنا السلاح بفاعلية وكفاءة عالية .. وأى حديث عن روعة القتال لن يصل الى مستوى روعة الملاحم البطولية التى سطرها المقاتلون بدمائهم وعلى اى حال فان **السلاح مشرع دائما ، وهو الآن اكثر دربه وخبرة واصرارا على ((تكملة)) النصر و ((فرض)) السـلام اذا حالت دونه مراوغات أو مماطلة** . الرجال متأهبون ومتشوقون لجولة ثانية . وقد بدات اصوات اسرائيل ترتفع بالشكوى من ((اعتدائهم)) على قواتها فى غرب القناة وشرقها على السواء . وبلغ عدد شكاواها فى يوم واحد ثلاثين شكوى ، بينها أن القـوات المصرية قد تقدمت على ضفتى القناة ، وان الجيش الثالث الذى كانت تقول انه محاصر ــ قد تقدم فى القطاع الجنوبى من عمق سيناء حتى تجاوز عيون موسى .

ومن الأسلة الأخرى المتاحة للعرب . والتى بدأوا استخدامها بفاعلية كبيرة ايضا .. **سلاح البترول** . لقد نجحنا فى فرض الأزمة عالميا على شكل الحاح يومى على حياة المجتمع الغربى كله . والى جانب قيمة هذا الاجراء فى شل جزء كبير من قدرة المساندة العسكرية الخارجية لاسرائيل ، فانه قد اصاب دول أوربا الغربية كلها وغيرها من دول العالم المتقدمة كاليابان وحتى الولايات المتحدة ــ وهى نفسها دولة منتجة للبترول ــ اصابات شديدة فى أسلوب حياتها ودرجة رخائها وحالتها الانتاجية والاقتصادية بصورة عامة .

ثار هى التى تدعو دول اوربا الصناعية ری ، أو كما يسمونها ((مجتمعات الرخاء)) الى طلب ا ¨ ء معنا والجلوس الينا فى مؤتمر ... فيه ــ معا ــ وسائل انهاء الموقف وتخليصها مما تعانيه . وطبيعى انها فى مثل هذا اللقاء وفى ظل الظروف التى

يعقد فيها .. لا يمكن لها الكلمة العليا ولا يتصور أن تكون هى التى تفرض شروطها .. **هم الذين سيأتون الى شروطنا** ، وهم الذين سيبحثون عما يرضينا لنخفف عنهم ضغط البترول أو نرفعه عنهم تماما .. وهم الذين يعلمون تماما ، ومنذ الآن ، **أنه لا رضاء لنا ولا قبول لنا بأى شىء ، أقل من انسحاب اسرائيل من أرضنا التى احتلتها فى عدوان بالقوة المسلحة ، وعودة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين الذى طرد من أرضه فى سلسلة طويلة من أعمال عدوان أخرى وبالقوة المسلحة أيضا .**

اذا كانت شعوبهم تعانى من وطأة نقص البترول ، فان هناك شعوبا أخرى تقاسى اغتصاب جزء من أرضها ، وهناك شعب طرد من أرضه كلها .. فتعالوا نبحث معا كيف تعود كل الحقوق الى أصحابها وكيف تخف الوطأة أو ترفع تماما عن كل المصابين بها .

ان لقاءنا مع دول أوربا الغربية أو دول المجتمع الاقتصادى الأوربى كما يسمونها ــ فى اطار هذه الظروف ــ يعنى أنهم هم الذين يجيئون الى شروطنا .. يريدون الاستماع الى وجهة نظرنا التى طال وتعدد ما قمنا به قبل حرب التحرير « بالنار وبالبترول معا » لايصالها الى أسماع العالم ، ويبحثون معنا عن كيفية الوصول الى الشرط الذى يعرفون أنه لا مفر منه لانهاء الأمة .. **وهو انسحاب اسرائيل .**

وهم يعلمون جيدا أن البترول ليس نهاية المطاف فى **« الحرب العربية بدون النار »** .. ولكن هناك **سلاح الارصدة النقدية** العربية فى الخارج . وبمجرد بدء العرب فى التفكير فى اجراءات فتح هذه المرحلة من الحرب ــ أى سحب الأرصدة ــ بدأت الاهتزازات الحادة فى بورصات الأوراق المالية العالمية ، وبدأت أسعار بعض العملات الرئيسية كالاسترلينى تعانى هبوطا شديدا . وهم يعلمون الآن

أيضا أن الدول العربية قررت واتخذت الاجراءات التنفيذية لمد خط انابيب البترول من السويس الى البحر المتوسط . ومن الطبيعى أن يسحب العرب بعض ارصدتهم المالية فى الخلرج لتوظيفها فى هذا المشروع ، وفى غيره من مشروعات التنمية داخل الوطن العربى .

إنهم يدركون أن اجراءاتنا متعقلة وواثقة وبعيدة عن الغوغائية . وبناء خط الأنابيب دليل فى حد ذاته على اننا لا نريد أن نحرمهم من البترول واننا لا نستخدم هذا السلاح ـ دون عدل ـ ضدهم ، ولكننا حريصون على مصالحهم ورخائهم واستمرار نمو مجتمعاتهم .. نريد انتهاء الظلم الواقع علينا ، ونريد انهاء المشكلة التى تعانيها أوطاننا ، وبعد ذلك نشارك العالم فى جهود الرخاء ونتعاون مع الجميع من أجل مصلحة الجميع .

وهذا يقودنا الى العنصر الثالث من عناصر « الحرب غير الساخنة » التى تسير متوازية مع حربنا الساخنة لتحرير الأرض واستعادة الحق . هذه الحرب غير الساخنة تتكون من ثلاثة عناصر **هى البترول ـ الأرصدة ـ الدبلوماسية النشطة .**

استخدام العنصرين الأولين (البترول والأرصدة) الى جانب القتال قد فتح الباب واسعا أمام جهد دبلوماسى هام ... أن نحرص على أن يؤدى الى تحقيق كفاحنا كله . نحن الآن فى الطريق الى **« مؤتمر السلام »** ومن الواجب أن ندخل هذا المؤتمر وان نعمل على توجيه مساره بالشكل الذى نتوخى منه أكبر قدر من النجاح لمساعينا .

وقد كانت مصر حريصة على أن يعقد المؤتمر تحت اشراف الأمم المتحدة ويرأسه عند افتتاحه وفى مراحله الأولى سكرتيرها العام . وقد تحقق ذلك فى الاتصالات الواسعة التى جرت فى الأيام الأخيرة . ولا مانع بعد ذلك من أن تتولى الدولتان الداعيتان الى المؤتمر « الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى » رئاسته معا بعد ذلك .

فهما اللتان وجهتا الدعوة لحضوره ، وهما اللتان تقومان بالاتصال بطرفى النزاع فى شئون الحرب والسلام معا ، وهما ـ بحكم وضعهما الدولى ـ تمثلان ثقلا خاصا فى الشئون الدولية . كذلك فان هناك سابقة دولية على رئاسة دولتين لمؤتمر سلام دولى . فالاتحاد السوفييتى وبريطانيا راسا معا مؤتمر جنيف للسلام فى الهند الصينية عام ١٩٥٤ وان كانت التسوية التى توصل اليها ذلك المؤتمر للأوضاع فى شبه الجزيرة قد عصفت بها بعد ذلك حرب فيتنام .

الأهم من ذلك كله هو **الاتفاق على مو[illegible] عربى موحد فى ا[illegible]تمر نفسه** . يجب ان ندخل المؤتمر باستراتيجية محددة ومتفق على جوانبها كلها منذ جميعا . نحدد الدول التى ستشترك فى المؤتمر فى مراحله الأولى . والحد الأدنى لمطالبنا التى لن نتنازل عنها . ثم الدول التى قد نرى أشتراكها فى مراحل متقدمة لما لها من صلة بالصراع أو حتى بآثاره الجانبية .

ومن اهم المسائل التى يجب أن نتفق عليها بصورة نهائية ودون أى خلاف موضوع **تمثيل الشعب الفلسطينى فى المؤتمر** ، وقد كان مؤتمر القمة العربى فى الجزائر واضحا فى هذا الشأن وقد اتفق على **أن منظمة التحرير الفلسطينية هى ممثل [illegible] فلسطين . و النقطة يجب الا تكون محل اى خلاف او محاولات [illegible]ق حولها** ، وانه لما يضعف الموقف العربى كثيرا فى المؤتمر أن يحدث بين العرب خلاف حول مسألة التمثيل الفلسطينى . هذه الفرصة لن تخطئها أسرائيل ، وستحاول استغلالها بكل وسيلة ، وسنرى منها فى هذا الشأن الكثير من التلاعب والأعاجيب .

ان دول أوربا الغربية مثلا قد حققت فى الأيام الأخيرة الكثير من التنسيق فى مواقفها ، والظروف الحاضرة قد دفعتها الى ما يشبه الوحدة الكاملة فى الارادة أو تطابق الموقف . ويرجع ذلك الى وحدة المتاعب التى بدات تعانيها من الأزمة ، والى الموقف الأمريكى المتجاهل

لها أثناءها ، مما نشأ عنه حالة وصفها المراقبون الغربيون بأنها **« انشقاق فى التحالف الغربى على جانبى المحيط »** . هذا الشقاق الذى حاول هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية راب ما تيسر من صدعه فى اجتماعات وزراء خارجية حلف الأطلنطى الأخيرة فى بروكسل .

وأمامنا الآن دعوة من دول أوربا الغربية وبالذات دول السوق المشتركة لعقد مؤتمر معها ، **فلماذا لا نستفيد من هذه الفرصة لادخال هذه الدول ـ التى تقول أنها تحرص على التعاون معنا ـ فى جهود تسوية المشكلة واقرار السلام** • ان ذلك يعوضنا عن غيابها عن مؤتمر جنيف ، واتفاقنا معها يزيد من قوتنا التفاوضية فى جنيف .. ومؤتمر السلام لن ينتهى فى يوم أو أيام أو حتى شهور . أنه ما أن يبدأ حتى يتوقف بسبب اجازة أعياد الميلاد ورأس السنة من ناحية ، ولاصرار اسرائيل على انتظار نتيجة الانتخابات التى ستجرى آخر يوم فى العالم . ومعنى ذلك أنه عندما توجه السوق المشتركة دعوتها لمؤتمر مع العرب ، ستكون محادثات جنيف لم تزل مفتوحة **ويمكن لنا أن نجتمع مع الأوربيين ونتفق معهم ، ويكسب ذلك موقفنا فى مؤتمر السلام قوة أكبر** •

لهذا قلت أنه لأمر كبير القيمة ومفيد معا أن تدعونا الدول الأوربية المتقدمة الى مؤتمر لبحث تسوية الأزمة واقرار السلام . لن نخسر شيئا بحضورنا هذا المؤتمر وفرصتنا فى الحصول منه على بعض المزايا والمكاسب كبيرة .

والى جانب ذلك .. **لماذا لا نوجه نحن دعوة الى الدول الأفريقية لعقد مؤتمر عربى ـ أفريقى** ، أن لدول الأفريقية قد وقفت الى جانبنا وقفة رائعة وقطعت غالبيتها العظمى « ٣٠ دولة » علاقاتها السياسية .. وبالتالى الاقتصادية والثقافية والتجارية باسرائيل ، لماذا لا نطرق الحديد وهو ساخن ؟ ! ليس من المصلحة ان ننتظر كثيرا

حتى تبرد الأمور ثم نلتفت الى القارة نبحث كيفية الحصول على ثبات ودوام لموقفها هذا ، والى عدم مراجعة نفسها فيه ، والى اشعارها بالتقدير والامتنان لهذا الموقف ، وقبل ذلك واهم منه .. **اشعارها بأن الخطوة الشجاعة العادلة التى أقدمت عليها ، لن تعود عليها بأى اضرار ولن تحرمها من مزايا تعاون كان قائما بينها وبين اسرائيل .** حقا أن هذه الدول قطعت علاقاتها باسرائيل عن اقتناع بأن هذه الدولة تتخذ موقفا ضد العدالة الدولية والانسانية .. وحقا أن الدول الافريقية قد تبينت « عدم اخلاص » اسرائيل فى التعاون معها .. ولكن ، **أليست هذه الدول ، أو الكثير منها ، فى حاجة الى تعاون اقتصادى ومعونات أحيانا ، غير الخبرة الفنية والمساعدات الادارية والتكنولوجية التى كانت هى نفسها مجالات التعاون بينها وبين اسرائيل .** لماذا لا نقدم هذا التعاون الى دول القارة التى وقفت معنا ، أو على الأقل نبحث معها ــ فى حدود طاقتنا وامكانياتنا ــ تقديمها اليها .

أن مجرد الدعوة الى عقد مؤتمر عربى أفريقى بهذا الهدف ، ثم ما ستتبينه الدول الأفريقية أثناءه من حرص جاد على المساعدة دليل على « الاخلاص » فى التعاون وهو أمر مطلوب لاستمرار دفع الأمور فى القارة فى اتجاهها ا لى ، كما أنه لابد وأن يكون « متنو » من جانب شعوب قدمت الكثير من التضحية فى وقوفها الى جانبنا .

العبور إلى آفاق دولية أرحب..

ان حرب التحرير لم تكن الا البداية. ان عبورنا يجب أن يكون عبورا الى آفاق أرحب لمستقبلنا فى كافة جوانب حياتنا . اننا بهذه الانطلاقة لا نحرر أرضنا من وجود عدوانى طارىء فقط . ولكننا نسعى لتحرير حياتنا من كل ما كان يكبلها ويحول بيننا وبين أخذ مكاننا الصحيح على خريطة الحضارة الانسانية .

« ٩ فبراير ١٩٧٤ »

كانت ... الاستفتاء الذى اجرى بين عمال الفحم البر... نيين حول القيام باضراب عن العمل لتعزيز مطالبهم فى زيادة الأجور .. تفويض زعماء عمال المناجم بتنظيم التوقف ... مل عن العمـل فى استخراج الفحم ، حتى تجاب ... لبهم فى رفع الأجور . وقد قرر زعماؤهم الاضراب . وفى نفس الوقت توقفت ا ... دثات التى كانت جارية بين ممثلى ... ل والحكومة البر... نية لتسوية الأزمة . وقال المتحدث باسم العمال .. لن يكون هناك كلام بيننا وبين الحكومة بعد الآن ، واذا أرادت تفادى الأضراب فان ا ... الوحيدة التى سنقبل التفاهم معها بها هى (النقود) .. تدفع اذا كانت تريدنا ان نكلمها .

وعمال مناجم الفحم يضربون عن استخراجه لأنهم يرون فى ذلك وسيلة للضغط لتحقيق مطالبهم .. وهو زيادة الأجور فورا . وهم بطبيعة الحال يرغبون فى زيادة أجورهم الآن وفى كل وقت . كما أن غيرهم من العمال الانجليز يرغبون فى زيادة اجورهم أيضا . وارتفاع تكاليف الحياة فى بريطانيا ــ وفى غيرها من المجتمعات الصناعية المتقدمة ــ ظاهرة عامة زادت فداحةفى الأيام الأخيرة بسبب استخدام العرب لسلاح البترول . كل الناس فى هـذه المجتمعات ــ عمالا وأصحاب أعمال وشركات وحكومات ــ قد تأثروا بهذا السـلاح واحسوا بوطأته بشكل او بآخر . ولكن عمال الفحم دون سائر العمال هم الذين يتوقفون عن العمل فى بريطانيا ، وبذلك لا يضغطون فقط لتحقيق مطلبهم ، ولكنهم أيضا .. وهذا هو الأهم يعملون بذلك على زيادة تفاقم الأزمة .

فالأزمة أزمة طاقة اساسا . وكانت ملموسة الى حد ما قبل حرب التحرير العربية ، ثم زادت بخفض العرب لانتاجهم ورفع أسعار خامتهم . وبنقص البترول اتجهت الأنظار الى الفحم ، وخاصة للأغراض الصناعية ، وصناعة الصلب بالذات التى هى عماد كل الصناعات . فى هذه اللحظة تحرك عمال مناجم الفحم وقدموا مطالبهم .. وشفعوا الطلب بتهديد بالاضراب ، اى الامتناع عن استخراج

الفحم ، مما يجعل النقص فى مصادر الطاقة امرا مخيفا وليس مجرد ازمة . وهو ما جعل الوزراء المختصين فى الحكومة وعلى رأسهم ادوارد هيث رئيس الوزراء نفسه يهرعون الى العمال ويحاولون ارضاء مطالبهم وتسوية الازمة معهم . ثم تفكير رئيس الوزراء فى الدعوة لانتخابات جديدة .. اى طرح الثقة بوزارته .

والذى فعله هؤلاء العمال نوع من حسن استغلال الظرف واختيار الوقت المناسب . والآن .. اذا اذعنت الحكومة لمطالبهم ، اى منحتهم الاجور الأعلى التى يطالبون بها ، فانهم سيعودون الى عملهم وقد يقبلون عليه بهمة أكبر ويستخرجون فحما أكثر . وزيادة معدلات انتاج الفحم ستكون فيها درجة من التعويض عن العجز فى امدادات البترول .

وشبيه بهذا الموقف ما لجأ اليه العرب من اجراءات لدفع قضيتهم الى الأمام وتحقيق لبهم . فالعرب استخدموا السلاح وشفعوا قتالهم . جراءات البترولية . وهذا الجهد يسير الآن بنجاح نحو أ فه النهائية . وأيدى العرب لم تزل ممسكة بالأسلحة .. العسكرية والاقتصادية ، وقد قبلنا أن نضع البندقية بجانبنا ـ ونحن ممسكون بها ـ عندما رأينا الأمور تسير فى اتجاه النهائية ورأينا أهدافنا القريبة والعاجلة ، وهى انسحاب القوات الاسرائيلية .. تتحقق المانع من ان نضع سلاح البترول بجانبنا هو الآخر ـ ونحن ممسكون به ـ ما دامت أهدافنا تقترب ، خاصة وان مثل الموقف لا بد أن يحظى بالتقدير والاحترام ، ويشعر الجميع اننا نتصرف من منطلق قوة وثقة بالنفس وقدرة على العودة الى السلاح .. والأسلحة كلها ، اذا لمسنا مماطلات أو نقضا أو تسويفا او اى شكل من اشكال المراوغة .

وكما انتصرنا فى المعركة العسكرية ، بالشجاعة والحكمة معا فى استخدام السلاح .. نستطيع أن نحقق النصر لمعركتنا الاقتصادية بحسن أستخدامنا لاسلحتها ، وقد قلت فى حديث سابق ان الهجوم المضاد لحربنا الاقتصادية بدأت عناصره تحتشد وتتجمع وأنه يأخذ

اتجاهين .. محاولة تكتيل الدول الصناعية الرئيسـية المستهلكة للبترول ، ومحاولة تأليب دول العـالم الثالث ضـد الاجراءات البترولية العربية . ويجب أن نتصدى من الآن لكلا الاتجاهين ، وندخل المعركة بنفس الشجاعة والحكمة لنردع هذا الهجوم المضاد ونحقق لهجومنا أهدافه .

ولدينا قاعدة طيبة نطـلاق .. أن محـاولة تكتيل الدول الصناعية فى مؤتمر واشنطن تتعثر بشدة . وأوربا لا توا على اهدافه وتخشى نتائجه . وقد انتهت المشاورات التى تمت بين دول السوق الأوربية فى بروكسل هذا الأسبوع بقرار بانهم لن يسمحوا لهذا المؤتمر بأن يكون نواة لتكتل من الدول المستهلكة ضد الدول العربية المنتجة للبترول . أنهم يخشون اتخاذ أى اجراء مضاد للاجراءات العربية . وكل دولة عن سلامتها وعن وسيلة (سلمية) لمواجهة الأزمة صة بها . و كلها ظروف مواتية لنا فى معركتنا ضد الذين يريدون أن يحبطوا جهدنا . نستطيع أن نشق الجبهة التى يريدون اقامتها فى وجه تقدمنا بالمزيد من الا الثنائية التى نعقدها مع كل دولة معنية على حدة ، ونربط بين اقتصادياتها وحياتها كلها للسنوات دمة وبين القرارات التى نتخذها هنا فى العالم العربى .

كما أننا يجب أن نضع كل ثقلنا وراء الاقتراح الجزائرى بعقد دورة طارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة لبحث مشكلة التنمية الدولية برمتها لا مشكلة الطاقة فقط . ان هذا المؤتمر الكبير الذى ستشترك فيه دول الأمم المتحدة كلها وعددها ١٣٥ دولة يستطيع أن يواجه بقوة وحسم مؤتمر وشنطن الذى دعيت اليه ٩ دول ، وبعض هذه الدول ــ كفرنسا ــ تعترض على أهدافه رغم قبولها الاشتراك فيه ، وتصمم على الا يكون مظاهرة ضد العرب أو نواة لتكتل من الدول المتقدمة ضد الدول التى تحتاج للتقدم ..

لقد آن الأوان لكى تاخذ الدول التى عانت الحرمان طويلا ، من التقدم الإنسانى .. بل وحقها فى أن تنعم ببعض خير موار

ومواردها الأولية التى قام عليها تقدم العالم المتحضر .
الفرصة ـ و. . . أن نحسن استغلا كما استغلها عمال الفحم الانجليز ـ لكى يعاد النظر عالميا فى خر التقدم الانسانى ، وتو انصبة عوائد مات وعوائد التكنولوجيا الحديثة بصورة بين أصحاب ا مات ومالكى ناصية التكنولوجيا التى ما كانت لتقوم الا على ا مات .

أن مؤتمر الأمم المتحدة الذى دعت اليه الجزائر الرد العملى على كل محاولات التكتل التى تقوم بها حاليا (دول الر) الدول والشعوب التى تريد أن تاخذ نصيبها من الرخاء .

وليس معنى ذلك أنه يجب علينا أن نتمسك برفع أسعار البترول أو ان نصر على خفض امداداتنا منه . من الممكن ـ بل الطبيعى ـ أن نعيد النظر فى الأسعار ومناسيب الانتاج .. لكن بشرط أن يكون ذلك فى اطار ترتيبات دولية تراعى حقـوق المنتج والمستهلك على السواء وتراجع أسعار المواد الأولية عالميا ونسبتها الى أسعار السلع المصنعة . وقبل ذلك كله وأهم منه فى المرحلة الحالية .. تحقيق الأهداف النهائية لحرب التحرير العربية وهى بالتحديد انسحاب اسرائيل من كل الأراضى العربية التى احتلتها فى حرب عام ١٩٦٧ واقرار الحقوق المشروعة لعرب فلسطين .

فى هذا المؤتمر الكبير ستكون معنا جبهة عالمية تضم كل دول العالم الثالث والدول الاشتراكية والدول النامية .. وا بعض الدول الصناعية المتقدمة مثل فرنسا وبعض دول السـوق الأوربية المدعوة الى مؤتمر وشنطن . هذه الدول منطقها ومصالحها كذلك .

أن حرب التحرير لم تكن الا البداية .. ان عبورنا . . . أن يكون عبورا الى آفاق أرحب لمستقبلنا فى كافة جوانب حياتنا . اننا بهذه الا قة لا نحرر ارضنا من وجود عدوانى طارئ . ولكننا نسعى لتحرير حياتنا من كل ما كان يكبلها ويحول بيننا و اخذ ننا الصحيح على خر الحضارة الانسانية .

عودة الطيور المهاجرة

ان كل الكفاءات التى افرزتها هـذه الأمة العظيمة يجب ان تشارك فى جهد البنـاء فى مختلف جوانب حياتنـا ومرافقنا ، لا مجرد تعمير ما خربته الحرب . وما اكثر مجالات العمل . وما اشد حاجـة الوطن الى خبرات كل ابنائه .

« ١٦ فبراير ١٩٧٤ »

عندما قاد الرئيس انور السادات ثورة التصحيح فى مايو عام ١٩٧١ .. كان يضع الأساس ويخطو الخطوات الأولى فى طريق بناء كبير .. اسمه المستقبل ..

كانت أمامه تجربة الماضى بكل ايجابياتها وسلبياتها . وكان لابد من القضاء على السلبيات . وبدأت سلسلة طويلة من الاجراءات يربط بينها ويجمعهـا كلها خط واحد .. هو « روح التصحيح » التى امتدت الى حياتنا كلها والى عملنا الوطنى بمختلف جوانبـه وأ [illegible] ..

هذه الروح هى التى خلصت حياة الشعب من مراكز القوة التى كانت تتحكم فيها وتستبد بها .

وبهذه الروح تم الاستعداد لمعركة ــ حربية لا كلامية ــ فى جدية وصمت وشعور بالمسئولية ، بعد أن كانت كلمة « المعركة » وسيلة للمزايدة الداخلية وكانت ضجيجا ليس له أى صدى من الحقيقة ، وكانت ادعاءات رخيصة تنشر الكذب بين الناس تضليلا لهم وتمويها عليهم فى حقائق الامور .

وهذه الروح هى التى اقدمت بكل الحكمة والشـجاعة على مواجهة الموقف بكل ابعاده السياسية والعسكرية .. فخاضت الحرب بحساب سياسى سليم ، وتخوض النضال السياسى بكل القدرة على القتال ، قدرة أثبتت نفسها لنفسها وعدوها وصديقها على السواء ، وازداد رسوخها بعد اختبارها عمليا فى المحك .

وروح التصحيح ــ أخيرا ــ لا تكتفى بكسب الحرب ، ولكنهـا تصر على كسب السلام أيضا ، وعلى أن يكون الانتصار فتحا لآفاق جديدة أمام العمل الوطنى فى التحدى الاكبر الذى يواجهه .. بناء المستقبل الافضل .

ولقد بدأت هذه الافاق تتفتح بالفعل .. فى علاقاتنا الدولية وفى سياستنا الاقتصادية وفى تعمير ما هدمته الحرب وفى وضع الحلول للمشاكل التى يعانى منها الشعب ..

ولم يكن ذلك مستغربا ولم يكن فيه أى مفاجأة .. فالعمل الذى تتوافر له سلامة القصد ويقوم على حساب دقيق لابد ان يقود الى هدفه وتتحقق الاثار المطلوبة منه . كما ان عملية التصحيح كانت تحمل ـ منذ بدايتها ـ كل المؤشرات التى توضح مسارها وتكشف عن دورها التاريخى فى حياة هذه الامة ومستقبلها . وقد قلت فى سبتمبر عام ١٩٧١ أنه سيكون من نتائج هذه العملية التى أعادت الروح الى مصر .. **« ان مصر ستشهد فى السنوات القليلة القادمة تغيرا كاملا فى اوضاعها الداخلية والدولية ، وسيلمس الجيل ا لى أثار البناء الذى توضع اليوم لبناته من أجل أجياله القادمة » .**

لقد كان من أهم مبادىء التصحيح الذى بدأ فى مايو عام ١٩٧٠ ان مصر يجب أن تكون لكل المصريين وان كرامة المواطن وحريته هما السلاح الاكبر الذى يخوض به الوطن معارك الحرب والسلام على السواء .. وجاء اكتوبر ٧٣ ليعلن أن الابواب كلها قد فتحت أمام المصريين جميعا لكى يعملوا من أجل مصر ، ويشاركوا فى الجهد الكبير الذى يبذل الان على الطريق الى المستقبل الافضل .

ان كل ا ءات التى افرزتها هذه الامة العظيمة يجب أن تشارك فى جهد البناء فى مختلف جوانب حياتنا ومرافقنا ، لا مجرد تعمير ما خربته الحرب . وما أكثر مجالات العمل وما أشد حاجة الوطن الى خبرات كل ابنائه .

نحن الآن نضع الاسس لتقدم اقتصادى واجتماعى وتنمية شاملة ، نحن نرسم الحلول لمشاكل مزمنة تزداد تعقدا مع الأيام ، وفى سبيل ذلك ننفتح على العالم ونفتح عقولنا ونتلقى عروضا عالمية بالمشاركة فى هذا الجهد وندرس مشروعات للاستثمار العربى

والأجنبى أو المحلى البحت . ولدى مصر ذخيرة لا نهائية من ابنائها المنتشرين فى كل مكان بالعالم ، يقدمون خبراتهم وخلاصة علمهم لعدد من المنظمات الدولية أو الدول المختلفة . فلماذا لا يعود هؤلاء ليشاركوا فى الجهد المبذول لاعادة بناء وطنهم . ان هناك الكثير من ابناء مصر الذين يتولون مناصب رئيسية هامة فى البنك الدولى للانشاء والتعمير وصندوق النقد الدولى ومختلف اجهزة الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة أن بعضهم قد وصل الى ارفع مناصب المنظمة الدولية اعترافا من العالم بمكانته وعلمه وخبرته ، ومنهم من يوفد الى دول مختلفة لبحث أو تنفيذ مشروعات النهوض بها . وهناك عدد كبير من ابناء مصر يقومون بالتدريس فى جامعات العالم المختلفة ، ومنهم من يقومون بدراسات بالغة الرقى فى اهم مراكز الابحاث العلمية . .

اليست مصر ـ وفى هذا الوقت [illegible] ات ـ أجدر بجهد ابنائها كلهم وبخبرتهم وقدراتهم . اننا الان « فى [illegible] القرار » كما يسمونها [illegible] عن وسائل النهوض والتقدم كما [illegible] طرق التغلب على المشكلات ، وندرس عروضا مقدمة واستثمارات خارجية . فليت كل خبراتنا وكفاياتنا تشارك معنا فى [illegible] البحث ، وتشترك معنا فى [illegible] ما يستقر عليه الرأى .

ان هذه الطيور المهاجرة تضم شخصيات لها وزنها الدولى ، وقد طلبت الامم المتحدة أو الدول المختلفة الاستفادة بخبرتهم ، وكان عملهم فيها تشريفا لوطنهم بقدر ما فيه من تكريم لمكانتهم الشخصية . وهؤلاء دون شك يرحبون بدعوة الوطن لهم لكى يضعوا خبرتهم تحت تصرفه . . وقد كان طيبا أن تظهر أسماء بعضهم فى تشكيل المجالس القومية المتخصصة التى اعلنت هذا الاسبوع . وهناك اخرون على استعداد لان يتركوا مناصبهم الدولية الكبرى ومرتباتهم الضخمة ، ويعملوا دون اى مقابل ـ كما قال لى بعضهم ـ فى خدمة وطنهم ومستقبل اجياله . فهم يشعرون أن فى ذلك زادا

لجزء من الذين للارض التى نشأوا فيها وأعطتهم كل ما أوصلهم الى ما وصلوا اليه من العلم والمكانة والمركز هؤلاء بلغوا من العمر والاكتفاء المالى ـ الى جانب الشعور الوطنى والوفاء للأصل والاهل ـ مايجعلهم لا يفكرون الا فى كيفية خدمة وطنهم ووضع خبرتهم تحت تصرفه والمساهمة فى اعادة بنائه .

اما الشباب من العلماء والخبراء الذين هاجروا أو اختاروا البقاء فى مجتمعات تتيح لهم ظروف عمل أو حياة أفضل ، فان معظمهم ولاشك يفضل العودة الان ويرحب ايضا باى فرصة للمشاركة فى جهود اعادة بناء مصر .. بشرط أن تتوافر له ظروف عمل ومواصلة بحث وحياة ، تتناسب مع جهده وما يقدمه ومع علمه وعنائه فى تحصيله ، ولا تبتعد كثيرا عما اعتاده حيث يقيم ، وان كانت بطبيعة الحال ـ وهو ما يجب أن يقدره تماما ـ لن تخرج عن الاوضاع الممكنة لبلد يبنى مستقبله ويقوم بعملية « تعويض » كبرى لظروف قاسية مر بها .

ان لكل من هذه الطيور المهاجرة ظروفه [illegible] صة بطبيعة الحال .. ولكن هناك ظروفا « عامة » تربط بينهم جميعا وكانت تتصل . [illegible] قفهم « كلهم » من الغياب عن ارض الوطن فى الفترة السابقة . ولكن الظروف قد زالت الان ، ولم يعد هناك مبرر لوجود أى « [illegible] لديهم بالنسبة لقرار العودة ..

مصر اليوم ـ كما هى حقيقتها دائما ـ أرض كر [illegible] انسانية وحرية وعدل .. مصر تهتم بمعالى الامور بقيادة شجاعة و [illegible] تنظر الى الامام وتبنى لاجيالها [illegible] دمة وتريد أن يشارك فى [illegible] كل ابنائها ..

نحـــــن والعـــــالـم

كيف أقنعنا الدنيا أننا لسنا أصحاب حق فقط .. ولكن .. أصحاب قدرة وتأثير .. ودعاة سلام أيضاً

فضيتنا باختصار شديد ، هى التحرير والتنمية . أرضنا وكل أرض عربية محتلة يجب أن تتحرر . ومجتمعنا وسائر المجتمعات العربية ينبغى أن تتقدم . وذلك كله لا يتم ولا يمكن أن يتم بعيدا عن ((العنصر الدولى)) الذى أصبح له فى عالم اليوم ثقل متزايد . وله بالنسبة لمنطقتنا بالذات دوره الذى لا يمكن تجاهله .

((٢٧ ابريل ١٩٧٤))

فى حديثه ((الهام جدا)) الى سيروس سولز بيرجر رئيس تحرير الشئون ا رجية لصحيفة ((نيويورك تايمز)) .. قال الرئيس السادات .. ((ان حكومة الرئيس نيكسون هى أول حكومة أمريكية تدرك طبقا لتصورات حقيقية ـ مصلحة أمريكا فى الشرق الأوسط التى تعتبر أخطر منطقة حافلة بالمشكلات فى عالم ((اليوم)) .

كلام الرئيس أنور السادات هنا هو المفتاح الصحيح لفهم كل ما يجرى فى المنطقة من تطورات .. وما سيجرى فيها فى المستقبل ، أو ما يجب أن نلحظه ونراعيه فى كل ما هو مقبل من تطورات بالنسبة لقضيتنا ، وعلاقاتنا مع العالم على اتساعه .. لا أمريكا وحدها .

قضيتنا .. باختصار شديد ، هى التحرير والتنمية ، أرضنا وكل أرض عربية محتلة يجب أن تتحرر ، ومجتمعنا وسائر المجتمعات العربية ينبغى ان تتقدم وذلك كله لا يتم ولا يمكن أن يتم بعيدا عن « العنصر الدولى » الذى أصبح له فى عالم اليوم ثقل متزايد ، وله بالنسبة لمنطقتنا بالذات دوره الذى لا يمكن تجاهله .. بسبب ظروف عديدة ، منها التاريخى ومنها ما يتعلق بموقع المنطقة أو بما تحفل به من مادة خام يتوقف عليها رخاء العالم كله .. بل حياته ذاتها .

ان كل دولة فى عالم اليوم مهما كانت كبيرة أو قوية ، لا تستطيع أن تنغلق على نفسها ، وليس فى وسعها أن تحل مشاكلها فى عزلة عن العالم من حولها .. ان كانت مكتفية ذاتيا من الناحية الاقتصادية ـ وهو فرض مستحيل فى عالم التقدم التكنولوجى وتبادل الخامات الأساسية والسلع المصنعة ـ فانها لن تستغنى عن غيرها فى المشاكل المتعلقة بأمنها ، وان كان لها حظ وافر من الأصدقاء فهى ليست فى غنى عن تحييد الأعداء أو بذل الجهد لكى ترى منهم أقل قدر من العداء .

ومن آيات هذا الاقتناع ما نشهده الآن من تقارب أو محاولات

للتفاهم بين الشرق والغرب ، أو ما يسمى بسياسة الوفاق . وفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى من ناحية والصين من ناحية أخرى . سياسة « الانفتاح على الشرق » التى يقودها المستشار . الألمانى الغربى فيلى برانت . سلسلة مؤتمرات الأمن الأوربى التى بدأت جولتها الثانية فى جنيف هذا الأسبوع . دعوة حلف وارسو الى الالتقاء بحلف الأطلنطى . مؤتمر منظمة الدول الأمريكية فى بوجوتا وتسوية العلاقات بين دول أمريكا اللاتينية والولايات المتحدة .. الخ .

وفى كل هذه الجهود أو هذه السياسات الطرف الأوفر حظا والأكبر فرصة فى الحصول على ما يريد ، هو الأقدر على تحريك الأمور وبذل اكبر قدر من الاقناع — بكل ما يعنيه تعبير الاقناع ، من استخدام ما لديه من قدرات — لجعل الأطراف الأخرى ترى مصالحها فى خطوط تتلاقى مع مصلحة هذا الطرف نفسه .

وعندما يقول الرئيس السادات ان حكومة الرئيس نيكسون تدرك مصلحة أمريكا فى المنطقة ، فان هذه الحقيقة تفسر كل ما نشهده من جهود بناءة فى سبيل حل قضيتنا بشقيها (التحرير والتنمية) تبذلها الولايات المتحدة عن طريق رئيسها ووزير خارجيته أو سائر مؤسساتها — التشريعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية . ان هذه الجهات كلها ، التى كانت تناصبنا العداء ، كانت فى الحقيقة تفعل ذلك بسبب ضيق فى الأفق و فى النظر والتصور التاريخى وخضوع لنفوذ الدعاية الصهيونية .. وأيضا بسبب تقصيرنا نحن فى عملية (الاقناع) أو فرض الاقتناع عليها .. بأن ترى مصالحها تسير فى خطوط متوازية مع مصالحنا .

كانوا يظنوننا جثة هامدة لا حراك فيها ، وليس فيها أمل لحركة . وهى حقيقة عبر عنها أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل فى لقاء له مع المسئولين الأمريكيين قبل حرب التحرير العربية . ان كل شىء هادىء .. والوضع (الراهن) أو الذى كان سائدا كان

مواتيا تماما لاسرائيل . وبهذا الشكل يكون الزمن فى صالح اسرائيل أو فى صالح الطرف الذى يفرض (الأمر الواقع) .. كل يوم يمر يزيد الاحتلال تثبيتا ويزيد المجتمعات العربية تفسخا ، وبالتراكم الزمنى يتحقق للعدوانية الاسرائيلية ما تهدف اليه من توسع ، وتتراجع المشكلة الى درجات متخلفة من الأهمية العالمية ـ فهى لا تهدد سلام أحد ولا تسبب أضرارا لأحد !

ولكن .. بهجوم عسكرى عربى جسور وغير متوقع ، وباستخدام شجاع وحكيم للقدرة البترولية العربية .. انقلبت هذه الصورة كلها . وبدأ (العنصر الدولى) يتحرك .. وفى اتجاه أهدافنا . بدأت الولايات المتحدة واوربا أيضا تتلمس مصالحها فى المنطقة ـ طبقا لتصورات صحيحة كما قال الرئيس السادات ـ فانتهى عهد التأييد الأمريكى الأوربى (الأعمى) لاسرائيل وبدأت مرحلة الموقف العادل من الصراع .. موقف يرفض العدوان والغزو سندا للتوسع ، ويمد يد التعاون فى جميع المجالات للطرف الذى يستطيع أن يؤثر والذى يفيد أن يكون التعامل معه ، والذى تم (الادراك) انه كان خطأ فاحشا اهماله أو التضحية به ، بكل ما له من قيمة بشرية وحضارية وانتاجية وموقع فريد ، من أجل حفنة من المستوطنين الدخلاء ، شقوا طريقهم الى أرض لا يملكونها بكل وسائل الخديعة وبالعدوان والتآمر الدولى .. واثبت كيانهم (الغريب) أمام أول اختبار حقيقى ، انه قائم على الأكذوبة والادعاء وانه لا يستطيع أن يصمد بهذا الشكل المتسلط الذى حاولوا أن يخدعوا به العالم عن حقيقة حجمهم ، اذا وجد أمامه من يتحداه ومن يرتفع الى مستوى حقه وحقيقته .. فيردعه بل ويؤدبه .

وهذا التحرك العربى لم يفد فى تعرية صورة ا نب الآخر بابعادها الحقيقية أمام العالم كله وأمريكا واوربا بالذات ، و ا اكثر فى توضيح حقيقة جانبنا ، لا باعتبارنا الجانب صاحب الحق ، ولكن ايضا باعتبارنا اصحاب قوة وتأثير ، وانّنا

نستطيع اذا اظهرنا درجة معينة من و " العمل والتنسيق ان نضر ونفيد .. وان نمنح وان نمنع !

تجلى ذلك فى العمليات العسكرية التى تم التنسيق بينها على جبهتى القناة والجولان .. وفى حرب البترول . ومنذ أيام كان رئيس شركة (اكسون) الأمريكية للبترول وهى أكبر شركة بترول فى العالم ، يدلى بشهادته أمام احدى لجان تقصى الحقائق التابعة للكونجرس ، فكشف النقاب عما أذهل أعضاء اللجنة . قال ان شركته منعت البترول عن القوات الأمريكية عندما أعلنت حالة التأهب فيها حول العالم .. لأن المملكة السعودية أرغمتها على ذلك ، وانه لم يكن يسعه الا الاذعان للمطلب السعودى ، لأنه اذا حاول المراوغة فيه أو الالتفاف من حوله ، فان نسب الخفض البترولى كانت ستزاد ، سواء لأمريكا أو أوربا .. مما يعرض العالم الغربى لكارثة !

بهذا المزيج من العمليات العسكرية والبترولية .. وبما تم اظهاره فيها من جدية وفداء وصلابة ووحدة عمل ، نجحنا فى حمل العالم على تغيير المواقف أو (فرض الاقتناع) على العناصر الدولية التى كانت من قبل لا تبحث عن مصالحها بما يتفق مع مصالحنا .. بأن تلتزم الموقف العادل ، الذى وجدت أيضا أنه يسير مع مصالحها فى خطوط متوازية .

وليس معنى هذا أن العالم بهذه الاجراءات بدأ ينظر الينا بخوف .. صحيح انه غدا يحسب لنا ألف حساب ، ولكن المهم انه بدأ ينظر الينا بفهم واحترام . فالعالم لا يستطيع أن ينسى أن أنور السادات من موقع النصر بعد أيام من الهجوم العربى الظافر ، وجه نداءه للسلام .. وان العرب بعد أن استخدموا سلاح البترول بنجاح وفاعلية كبيرة ، أعادوا النظر فى هذا الوجه لنضالهم ، عندما لاح لهم أن هذا النضال يوشك أن يصل الى أهدافه .. حرصا منهم على رخاء العالم وسلامه ، وتعقلا فى استخدام ما بين أيديهم من

قدرات ، واثباتا أن هدفهم هو العدل واستعادة حقوقهم فقط ، وانهم ليسوا مستهترين بمصالح الآخرين وليسوا غوغائيين ولا طائشين ، وانهم يعرفون لكل شيء حدوده ويحسبون لكل اجراء مداه .

وبعد وقف القتال والفصل بين القوات على الجبهة المصرية ، وبدء الاتصالات للفصل بينها على الجبهة السورية .. شهد العالم منا حرصا حقيقيا على السلام . فى كل بياناته وتصريحاته ومواقفه ، يؤكد الرئيس المنتصر أنور السادات ، أن الهدف هو تحرير كل شبر من الأرض العربية وان الحرب التى خاضها شعبا مصر وسوريا ومعهما شعوب عربية أخرى . هى حرب تحرير وطنية لا حرب عدوان . وان هدفها النهائى هو اقرار السلام .. سلام قائم على العدل وعلى الاعتراف بالحقوق لأصحابها وبذلك وعند بلوغ هذه النقطة ، يمكن الاتفاق على انهاء حالة الحرب فى المنطقة . وبدء مرحلة جديدة يسودها السلام والعمل البناء لا الهدام .

لقد أثبت تقرير أخير لمؤتمر التجارة والتنمية الدولى الذى نظمته الأمم المتحدة أن اغلاق قناة السويس كلف العالم خلال خمس سنوات فقط أكثر من سبعة آلاف مليون دولار .. بين زيادة فى أجور الشحن وخسارة فى التجارة الدولية ، ونحن الآن نتعاون مع العالم على فتح القناة من أجل مصلحتنا ورخاء العالم كله . أليس هذا موقفا جديرا بالتقدير والاحترام .

ولقد أعلن الرئيس أنور السادات أن شواطئنا وموانينا ستكون مفتوحة للملاحة جميع دول العالم التى تريد « تسهيلات » فيها ، على ان يقدم هذه التسهيلات خبراء مصريون على غرار ما يحدث فى يوغسلافيا .. كما أعلن أن مصر لن تجعل اعتمادها على ما تحتاجه من سلاح احتكارا لأحد . فقد ثبت لنا من خبرتنا « أن موسكو استخدمت امدادات السلاح أداة لممارسة سياسة النفوذ » . نحن نرفض النفوذ الذى يأتى مع السلاح أو أى شيء نحتاجه ، وسياستنا

الجـديدة هى الحيـاد الايجابى « المتوازن » .. ولذا فاننـا على استعداد للحصول على ما نحتاجه من سلاح من كل مكان ؛ أو على حد تعبير الرئيس « سأكون سعيدا اذا كانت أمريكا ستبيع لنـا السلاح وسأكون سعيدا أيضا اذا رغبت روسيا فى التفاوض من أجل مبيعات جديدة » .

ان ما نشهده اليوم من نجـاح لسياستنا فى المجال الدولى هو التعبير العملى عن احترام العالم لنا وفهمه لأهدافنا بعد أن نهضنا الى مستوى حقنا وحقيقتنا .. وهذه هى ((المتغيرات الدولية)) التى نجحنا فى فرضها على المسرح الدولى .. ولم نكتف بالحديث عنهـا ولم نقف فاغرى الأفواه أمامها لا نملك ازاءها الا ((الفرجة)) عليها !

الانفتاح فى العقول

الانفتاح .. ليس هو « الاقتصاد الحر » بالمعنى التقليدى لهذا التعبير أو هو الاقتصاد الذى لا اشراف للدولة عليه ، ولا تحكمه ضوابط من الصالح العام .

هذه الصورة لم يعد لها وجود فى اى مكان بالعالم .

« ١٢ ابريل ١٩٧٤ »

يظن البعض ان سياسة « الانفتاح » معناها فتح ابواب بلادنا امام السلع الاجنبية ، وفتح مجالات نشاطنا الاقتصادى أمام الاستثمارات الاجنبية ، وفتح الموانى والمطارات لكل من يريد الخروج ..

. ولا شك أن كل هذه اثار للانفتاح .. ولكن الانفتاح فى حد ذاته ــ وكما تريده مصر فى هذه المرحلة ــ أبعد من ذلك أثرا بكثير ، واعمق معنى .

انه انفتاح للعقول وفى اسلوب التفكير . نبحث عن المصلحة ــ مصلحة الوطن والناس ــ ونسير فى الطريق الذى تشير اليه .. بصرف النظر عن أى شىء اخر ، وبلا اعتبار للشعارات الجوفاء ، وبغير التزام بقوالب صماء .

وليس هذا بدعة ولا هو اكتشاف .. انما هو حال الدنيا كلها ، والشكل الوحيد المقبول من اناس يريدون مواجهة مشاكلهم بواقعية وجدية ،ويعملون من اجل مستقبل افضل ، مستفيدين ــ بصفة خاصة ــ بما مروا به من تجارب وعبر .

الانفتاح اذن .. ليس هو « الاقتصاد الحر » بالمعنى التقليدى لهذا التعبير ، أو الاقتصاد الذى لا أشراف للدولة عليه ولا ضوابط من الصالح العام تحكمه . هذه الصورة لم يعد لها وجود فى أى مكان بالعالم . ليس الحقل الاقتصادى فى اى دولة الان ، غابة يلتهم فيها القوى الضعيف . هناك ضوابط تشريعية ، وقيود تفرضها النظم ، وقوى مضادة للاستغلال تمثلها الحركات العمالية ونشاط النقابات والاتحادات .

والانفتاح ــ انفتاح الفكر ــ أكبر من ذلك لانه يبحث عن أفضل الصيغ لكل نوع من النشاط ويأخذ بها ، اذا كان هناك نشاط أو استثمار ، افضل اسلوب لممارسته ان تتولاه الدولة .. فيجب ان

تتولاه الدولة . ومن أمثلته الصناعات ذات ا بع القومى كصناعة السلاح أو الحديد والصلب أو عمليات البترول وما يشابهه من ا ' مات الاساسية .. وغير ذلك من المشروعات التى قد يحجم عنها النشاط الفردى أو نشاط الشركات لان عائدها لا يتحقق الا فى المدى البعيد أو لاى أسباب أخرى . واذا كان هناك نشاط يحقق فيه الافراد ــ أو ا ¨ ع الخاص ــ نتيجة أفضل ، وجب أن يترك لهذا ا ¨ ع .. ومن أمثلته السياحة وتجارة التجزئة والاستيراد والتصدير ، وما الى ذلك من النشاط الذى يزدهر عائده نتيجة وجود « الحافز الشخصى » لدى أصحابه .

بهذا الفكر « المفتوح » ننظر الى جميع أمورنا . نبحث عن مصالحنا ــ مصلحة الوطن والناس ــ ونسير فى الطريق الذى تشير اليه . ويكون هذا البحث « فى النور » تشارك فيه الامة عن طريق صحافتها الحرة فالقائد الذى يؤمن بسياسة الانفتاح ــ بمعناها الاشمل انفتاح العقول ــ هو الذى فتح الطريق لمناقشة كل شىء وترك الصحافة غير المراقبة حرية ابداء الرأى فى كل شىء وبحث كل فكرة .. لان « المجتمع المفتوح » هو الاخصب والاقدر على مواجهة مشاكله واتخاذ قرارات أسلم بشأن مستقبله . وهنا أيضا تلعب الديموقراطية الحقيقية دورها الخالد .. ولعل ما نشهده الان من مناقشات جادة فى مجلس الشعب وبعض لجانه حول مسائل بالغة الخطورة والاهمية اشارت اليها الصحافة هو من شواهد الانفتاح بهذا المعنى ، أو من معالم الطريق الى المجتمع المفتوح .

ان ذلك يجعلنا نطمئن الى الفكر المفتوح بأنه خطوة أولى ضرورية فى الطريق الى المستقبل الافضل ، أن كل شىء ــ كل رأى وكل فكرة وكل مشروع ــ تحت الرقابة الشعبية « الصحافة الحرة » والرقابة البرلمانية « مجلس الشعب » .

والانفتاح .. بالنسبة للعالم الخارجى يعنى فتح ابواب التعاون والتعامل مع الجميع وبلا أستثناء ودون قيد .. الا مصلحة مصر .

موقفنا من كل دولة .. ومن كل كتلة أو مجموعة دول ، تحدده مصالحنا والاعتبارات الخاصة بنا نحن ، وما نتوخى منه أفضل النتائج بالنسبة لمستقبلنا .. لسنا ملزمين بأن نرتبط بأحد ارتباطا لافكاك منه ، ولا ان نعادى احدا الا اذا كان عدونا نحن .

قوانيننا السارية .. نظم الحياة والعمل وعلاقات الانتاج .. روابط الاسرة .. أساليب التعليم .. العمالة والبطالة .. طرق استغلال قدراتنا المادية والبشرية .. الاخذ بالاساليب العلمية والحديثة فى كل شىء - قيم المجتمع عموما وعلاقات الدولة بالعالم ا رجى - كل هذه وغيرها جوانب من حياتنا ننفتح فيها .. نتناولها بفكر مفتوح ، لا بابواب ومطارات مفتوحة فقط .

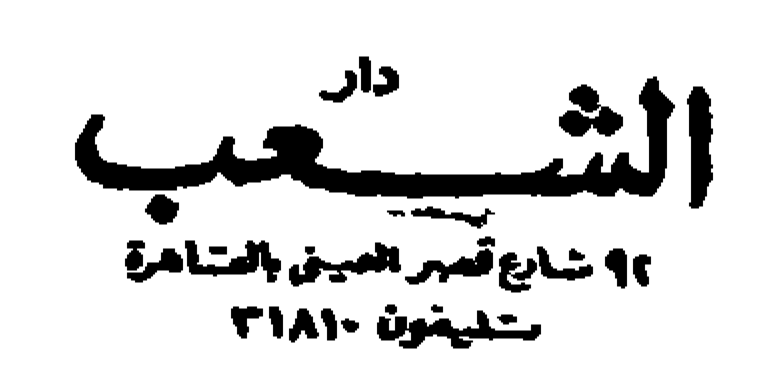
كتاب الاذاعة والتليفزيون صدر منه :

• لغتنا الجميلة	فاروق شوشه
• ممنوع من التداول	محمود عوض
• قصة الضمير المصرى الحديث	صلاح عبد الصبور
• عصر التليفزيون	عبد المنعم حسن
• مذكرات محمد كريم (جزءان)	محمود على
• اسـلاميات	سامح كريم
• ليالى مسرحية	عبد القادر حميدة
• لقاء بين جيلين	محمد عبد الحليم عبد الله
• أهل المغنى	مجدى نجيب
• الاحاديث البهية فى شرح الحيـاة الفنيـة	فؤاد معوض
• العطش	حسن محسب
• نافذة على الحياة	عبد الرحمن سليمان
• ترويض المراهق	فريد حسن
• خفايا النكسة	عاطف الغمرى
• البنات والبحر	عبد المنعم صبحى
• معركة العبور	صلاح قبضايا
• أحمد عرابى راهب الليل وفارس النهـار	حازم عرابى
• السينما والشباب	عبد المنعم سعد
• طه حسين فى معاركه الفكرية والادبية	سامح كريم
• فى الحب .. فى الحياة .. فى الفن	د. رشاد رشدى
• قدر الآخرين	جيلان حمزة

الكتــاب القــادم

((حرب البترول))

بقلم : محسن محمــد


دار
الشعب
٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون ٣١٨١٠

● **المراسلات :**

التحرير : ١١١٧ كورنيش النيل ـ ماسبيرو
تليفون ٧١٠٥٥/٧١٠٥٦/٧١٠٥٨

الادارة : ٢٦ شارع منصـور ـ باب اللوق
تليفون ٣٣٩٧٦ ، ٣٣٩٧٧
(صندوق بريد ١٣٢٨)

هذا الكتاب



سباحة هادئة استغرقت ثلاث سنوات فى بحر القضية المصرية والشرق الأوسط العاصف .

بدأت هذه السباحة بعد ١٥ مايو .. تستمد طاقتها من ((روح التصحيح)) التى بدأت تحلق فى سماء مصر من ذلك التاريخ .

والكتاب يتناول بالتحليل القضية من كل جوانبها :

- حركة التصحيح وأثرها فى التطورات التى شهدتها وتشهدها مصر .
- نحن واسرائيل .. وكيف استطعنا تحويل مسار الصراع الى مصلحتنا
- القضية فى المجال الدولى وتحليل لتطوراتها فى المحافل الدولية .
اسرائيل الذى نجحت عن طريقه فى
- المعركة .. وتحطيمنا لأسلوب اسرائيل الذى نجحت عن طريقه فى فرض الهزيمة علينا .
- سلاح البترول .. كيف ولماذا استخدمناه . وآثاره دوليا وفى الصراع .
- نظرة الى ما بعد الحرب .. والآفاق التى يفتحها لنا النصر .

٢٠ قرشا